

الكتب وجبهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

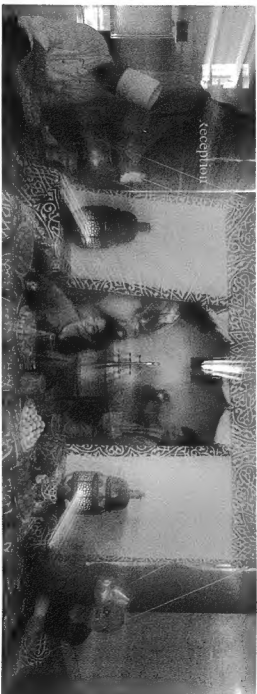
Weghat Nazar - Volume 11 - Issue 127 - August 2009

مجلة شهرية، العدد المائة وسبعة وعشرون - السنة الحادية عشرة - أغسطس ٢٠٠٩، الثامن عشرة جبهات

هل قتل الإعلام «مروة الشربيني»؟
أوروبا لا ترتدي «العمامة»
«الوسية»: من يملك مصر؟
جوارى هارون الرشيد



رمضان... ثلاثون من ليالي النور...!

[illegible]

مستتر افسوس، افسوس کی دو صورتیں ہیں

www.intercontinental.com

للحزب (إسرائيل) مكتتب حيزوات الطعام نظيف:٣ ٢٧٩٧١٨١٨ - (+٢٠٢) ٢٧٩٥٧١٧١ - (+٢٠٢) ٢٧٩٥٧١٧١



الكتب
وجهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

تصدر عن:
الشركة المصرية
للنشر
العربي والدوليرئيس مجلس الإدارة
إبراهيم المعلم
رئيس مجلس التحرير
سلامة أحمد سلامة

كتب العدد :

- السيد أمين شلبي.. الرئيس التنفيذي للمجلس المصري للشئون الخارجية.
- أمجد جبرون.. باحث مغربي في تاريخ الفكر السياسي.
- جين ماير.. صحفية أمريكية.
- سميح حمودة.. محاضر في العلوم السياسية بجامعة بوزيت.
- سيد محمد البخاري.. مدير متحف الفنون الإسلامية المأجزي.
- صلاح العمروسى.. باحث اقتصادي.
- طارق رمضان.. استاذ زائر بكلية سانت آنطوني جامعة أكسفورد - إنجلترا.
- كاي حافظ.. محاضر بمعهد العلوم السياسية بجامعة هامبورج
- مصطفى البرغوثي.. سكرتير المبادرة الوطنية الفلسطينية ورئيس الإغاثة الطبية الفلسطينية
- مليفه لوزي.. صحفية وديبلوماسية باكستانية.
- ميساء شجاع الدين.. صحفية مصرية.

رسوم العدد للفنان
محمد حجييحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعمات ورقية
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغير إذن كتابي مسبق من الناشر.

المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٢ ميدان طلعت حرب ، القاهرة . جمهورية مصر العربية
ت : ٢٣٨٢٠٤٩٢ / ٢٣٨٢٠٤٩٢ / ٢٣٨٢٠٤٩٢ فاكس ٢٣٨٢٠٤٩٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير): e-mail: info@weghatnazar.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشًا عشر عددًا) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد
بريد عربي : ٦٠ دولارًا أمريكيًا - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولارًا أمريكيًا - أمريكا وكندا : ٨٠
دولارًا أمريكيًا - باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي.
إدارة الاشتراكات : ٨ شارع سيهوبه المصري ، ص ب : ٣٢ البانوراما ، مدينة نصر
هاتف : ٢٣٣٩٩٩ - فاكس ٢٤٠٤٨٦٦ - subscription@weghatnazar.com

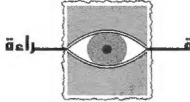
ضمن التسعة :

في مصر - ١٠ جنيهات مصرية - السعودية ١٥ ريالاً - الكويت ١٥ دينار - الإمارات ١٥
درهما - مملكة البحرين ١٥ دينار - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان ١٥ ريال - لبنان ٥٠٠
ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ديناران ونصف - ليبيا ديناران - الجزائر ٣٠٠ دينار - المغرب
٣٠٠ درهما - تونس ٤ ندانير - اليمن ٣٠٠ ريال - فلسطين ٢ دولارات.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٤ • أيمن الصياد
- مسلمتان في أوروبا
- ٦ • كاي حافظ
- صورة الصورة.. الإسلام في الإعلام الألماني
- ١٣ • مصطفى البرغوثي
- على مفترق طرق
- ١٨ • السيد أمين شلبي
- أمريكا.. والعالم
- ٢٣ • مليفه لوزي
- الاختبار الحقيقي.. إلى أين يذهب أوباما؟
- ٢٦ • جين ماير
- الماضي يطاردنا «مأزق CIA»
- ٣٤ • ميساء شجاع الدين
- اليمن.. القنبلة تعود للخط الأول
- ٤٠ • أمجد جبرون
- العلمانية بمفاهيم أصولية!!
- ٤٦ • سيد محمد البخاري
- أنغام وآيات
- ٤٨ • أحمد أمين
- صفحات: الرشيد في قصر الخلد
- ٥٢ • صلاح العمروسى
- السؤال له تاريخ.. من يملك مصر؟ الوسية
- ٦٠ • سميح حمودة
- أكاديميا: يوميات النخبة.. أيام الانتداب
- ٦٦ • باراك أوباما
- أحلام من أبي: قصة عرق وإرث
- ٦٨ • إصدارات جديدة
- ٧٤ • طارق رمضان
- أوروبا والإسلام



ملتان في أوروبا

أيمن الصياد



مظاهرات أوروبية ضد الحرب على العراق. لندن ١٥ فبراير ٢٠٠٣ (Reuters)

■ في الوقت ذاته الذي غادرت فيه رشيدة دالي (الفرنسية من أصل مغربي) مقعدها كوزيرة للعدل في فرنسا إلى موقعها الجديد كنائبة في البرلمان الأوروبي، وفي الأسبوع ذاته الذي احتلت فيه صورها بلباس البحر الأسود ذي القطعتين (تحمل رضيعها الذي ألجسته خارج الزواج) أغلضة المجلات الفرنسية الشعبية، سقطت مروة الشربيني (الأم المصرية الشابة الحامل في شهرها الثالث) صريعة بسكين متعصب الماني، كره، حجابها، إلى حد القتل، وصدرت النيوزبيك الجادة بموضوع غلاف أوجد حول «فرازة أسلمة أوروبا».

بين صورتَي السيدتين، كما بين المشهدين (الألماني والفرنسي)، تتسع صورة المسلمين في أوروبا لتشمل الألفا من قطع الفسيفساء الصغيرة، الملوثة بالثقافات، والمتقلة بالهواجس والتاريخ، والأحكام المسبقة، ربما.. وهي محض مصداقه.. مثلما هي المسافة، في التاريخ، بين ألمانيا وفرنسا ذاتهما.

رغم كل الأوهام هنا عن عودة مسجد الإسلام من أوروبا.. وكسل الهواجس هناك عن الغزو الإسلامي للغرب، يبقى حقيقة أن المسلمين كثيرهم، مختلفون. وأن موروثاتهم تتلاقح بحكم بلباغ الأمور مع ثقافة المجتمع المائدة. (انظر كتاب «من يتحدث باسم الإسلام، الذي نشرته دار الشروق قبل أسابيع، وفيه أن استطلاعاً للرأي أجراه معهد «جالوب، يشير إلى أن أكثر من ٣٠ بالمائة من المسلمين الفرنسيين مستعدون لتقبل المثلية الجنسية، مقارنة بنصف بالمائة في بريطانيا. وما يشارب نصف المسلمين الفرنسيين يعتقدون أن الجنس بين غير المتزوجين مقبول أخلاقياً، مقارنة بـ ٢٧ بالمائة من المسلمين الألمان...)

من هم المسلمون في أوروبا إذن؟ هل هم رشيدة (الوزيرة الشابة)؟ أم ذلك الداعية الذي يتعاضد من أموال دافع الضرائب البريطاني ليقيم في مسجده كل جمعة داعياً إلى محاربة «هؤلاء الكفار... أم هم محمد عطا، المصري الذي خطط لغزوته النيويوركية الباركة في المدينة الألمانية التي كان يدرس الهندسة في جامعتها المتقدمة؟..

أم هم (وعلهم) الأغلبية، وإن كانوا دائماً بعيدين عن مقعدة المشهد قوم بسيطاً، يبحثون عن علم أو لقمة عيش أو نسيمة حرية عزت عليهم ربما في أوطانهم، ولا يطالبون من الآخرين الذين يتباهون دوماً بالتنوع، غير احترام لمعتقداتهم، نحراً كان للأصاحي، أو زياً يختارونه لبائتهم.

قد لا تتفق قطعاً مع أمروحة الراحل «هجنوتن، حول صدام حتمى حضارات نراها نحن حضارة إنسانية واحدة» صب فيها الجميع ما زاد عندهم أوقات الفوضى، وسحب منها الجميع ما لمزهم أوقات الجفاف، كما ذهب الأستاذ هيكل في محاضراته الشهيرة في أكسفورد (راجع «وجهات نظر، عدد نوفمبر ٢٠٠٢)، كما أننا نتفهم تماماً رؤية محمد عابد الجابري، صاحب «نقد العقل العربي»، في مناقشته لإشكالية «الأنا والآخر»، وكيف أنها موروثة غربي لا تعترف ثقافتها، فضلاً عن صحيح لغتها أصلاً (راجع «فكر وفقد، أكتوبر ١٩٧٧»)

ولكن.. ماذا بعد؟ الصورة البسيطة، تبدو مزجحة بالتفاصيل، والتعقيد، فإلى جانب فلسفات هجنوتن والجابري، ورؤية هيكل وخاتمي، هناك أكثر من خمسة آلاف كتاب تناول موضوع «الإسلام وأوروبا» (Amazon.com)، وهناك مئات السنوات والمحاضرات والمؤتمرات، وهناك مظاهرات، هي الأكبر.. جاءت شوارع المدن الأوروبية تعارض الحرب الأمريكية/ البريطانية على العراق، وهناك.. في الوقت ذاته، دعوات في العالم الإسلامي لمقاطعة البضائع الأوروبية.. ثم، بعد كل ذلك.. أوروباً في سيقاه.. امرأة حامل سقطت في دماها، داخل محكمة، في قلب مدينة أوروبية... لا لسبب إلا لأنها مارست حرمتها الأوروبية، في ارتداء الخزي الذي تريده.

ربما الحادثة فردية.. نعم، ولكن الدلالة لألف ليست كذلك. ففي الواقع، هناك جهل وتمعصب (هنا وهناك)... وهناك خلط ومصالح وسياسات... هناك ظلم هنا، وبطالة هناك.. وتكريات ماض قريب مؤلم هنا، وتوجسات مستقبل قريب قلق هناك. وهناك من يدرك كل الآثار القديمة، فلا يخلو له الحديث إلا عن الصليبيين هنا، وعن «بوتانيه» هناك. وهناك بعد كل ذلك حالة من الارتباك الثقافي، اتت بها ثورة الاتصالات ورياح العولمة العاتية.

■ ■ ■

في أوراق قصيدة كان قد كتبها الشاعر العراقي المتمرّد «أحمد مطر»، قلت أن اندلعت أزمة الحجاب في فرنسا، ورغم حقيقة وجود زوايا متعددة للنظر إلى تلك المسألة، إلا أن قصيدة الشاعر التي كتبها في منصف الاختيار/ القصر، في أوروبا باحسا عن حرية اختفائها في وطنه، تبقى بعفويتها وشاعريتها، ولقظتها على قيم «الحرية الفرنسية، تبقى ذات دلالة. أرجو أن تسمحوا لي بأن أترك هذه المساحة لأحمد مطر.. ■

الحُسنُ أسفر بالحجاب ...

قرى بملكة الوقار
وسقى الملك السفىها
هى حرة ما دام صوتك ملاء فيها
وجميلة ما دمت فيها
هى مالها من مالها شىء
سوى (سيدا) بنيتها
هى كلها ميراثك المسروق
أسفلت الدروب
حجارة الشرفات
أوعية المعاصر
النفط
زيت العطر
مصحق القصيل
صفائح الغريات
أصباغ الأظافر
خشب الأسرة
زئبق المرأة
أقمشة الستائر



غاز المدافئ
معدن الشفرات
أضواء المتاجر
وسواء من خير يسيل بغير آخر
هى كلها أملاك جدد
فى مراكز
أو دمشق
أو الجزائر
هى كلها ميراثك المصنوب
فاغتصبى كنوز الأغصان
زاد الحساب على الحساب
وأن تسديد الحساب
فإذا ارتضت.. أهلاً
وإن لم ترض
فلتخرجى فرنسا عن فرنسا نفسها
إن كان يُرمعها الحجاب ١

أحمد مطر

نزلت على وجه السفور؟
وأهأ ...
أراحلة الزهور
تضير عاصمة العطور؟
أتعب عن رشف الندى شفة البكور؟
أضيق دوح بالطيور؟
يا للغباء!
... لا غرابه
أنا بسملة ضاقت بفرحتها الكأبة
أنا نغمة جرحت خنود الصمت
من أى سحر جئت أيتها الجميلة؟
من أى يارقة نبيلة
هطلت رؤاك على الخميلى
فانتشى صطر الخميلى؟
من أى أفق
ذلك البرد المتوج باللهيب
وهذه الشمس الظليلة؟
من أى بُع غافل الشفتين
تندلع الورود؟
- من الفضيلة
هى إمكانات مستحيله
قمر على وجه المياد
يلمه العشب الضئيل
وليس تدركه القباب
قمر على وجه المياد
سكونه فى الاضطراب
وبعده فى الاقتراب
غيب يمد حضوره وسط الغياب
وطن يلم شتاته فى الاغتراب
روح مجننة بأعماق التراب
وهى الحضارة كلها
تنسل من رحم الخراب
وتقوم سافرة
لتختزل الدنيا فى كلمتين:
(أنا الحجاب)



الشمس حائرة
يدور شرعها وسط الظلام
بغير مرسى
الليل جن بأفقه
والصبح أمسى
والوردة الفيحاء تصفعها الرياح
ويحتويها السيل دوسا
والحانة السركى تصارع يقظتى
وتصب لى الما وياسا
سأغادر المبحى الكبير ولست أسى
أنا لست غانية وكاسا



نعلاك أوسع من فرنسا
نعلاك أظهر من فرنسا كلها
جسداً ونفسا
نعلاك أجمل من مبادئ ثورة
ذكورت لتتسى.
مدى جنودك فى جنودك
واتركى أن تتركها

١١١ قمر توشح بالسحاب
غيبش توغل، حالما، بفجاج غاب
فجر تحمم بالندى
وأطل من خلف الهضاب
الورد فى أكمامه
ألق اللالئ فى الصدف
سرح ثرفرفه فى السدف
ضحكات أشرعة يورجحها العباب
ومرافئ بيضاء
تنبش بالنقاء العذب من خلل الضباب
من أى سحر جئت أيتها الجميلة؟
من أى يارقة نبيلة
هطلت رؤاك على الخميلى
فانتشى صطر الخميلى؟
من أى أفق
ذلك البرد المتوج باللهيب
وهذه الشمس الظليلة؟
من أى بُع غافل الشفتين
تندلع الورود؟
- من الفضيلة
هى إمكانات مستحيله
قمر على وجه المياد
يلمه العشب الضئيل
وليس تدركه القباب
قمر على وجه المياد
سكونه فى الاضطراب
وبعده فى الاقتراب
غيب يمد حضوره وسط الغياب
وطن يلم شتاته فى الاغتراب
روح مجننة بأعماق التراب
وهى الحضارة كلها
تنسل من رحم الخراب
وتقوم سافرة
لتختزل الدنيا فى كلمتين:
(أنا الحجاب)



الحُسنُ أسفر بالحجاب
فمالها حجب النفور

كاي حاف ظل

Kai Hafez

■ في عام ١٩٨١، أي بعد ثلاث سنوات من نشر كتاب «الاستشراق» ألف إدوارد سعيد، عملاً آخر بعنوان «تقطيع الإسلام» كيف تتحكم أجهزة الإعلام والخبراء في رؤيتنا لسائر بلدان العالم، يستكشف فيه إدوارد سعيد، المفاهيم الغربية للشرق الأوسط والعالم الإسلامي، ويثبت مرة أخرى قدرته الرائعة على إزالة سوء الفهم المنهجي عن الشرق، والمفاهيم النمطية عن المسلم.

«الأخرى» والافتعال طويل الأمد بين الشرق والغرب في الثقافة الغربية، هذه المرة أيضاً كان الكتاب تنقيلاً إلى حد ما، فمن الإنصاف أن نذكر أنه بعد تفكك الكتلة الشيوعية، بدأت وجهات نظر المثقفين عن الإسلام تتبدل، الفراغ الأيديولوجي الذي انتشر في المجتمعات الغربية.

من العلامات الفارقة في هذا المجال الأطروحة النموذجية لسماعويل هنتنجتون، عن «صدام الحضارات» التي نشرت عام ١٩٩٣، وقد كشف انتشار الكتاب عن القلق من النظرة الأيديولوجية السائدة والسطوة القائمة على أساس الدين أو العرق، والتي يمكن تأويلها حالياً بأنها تشبه إلى حد كبير التفكير السائد في العصور الوسطى أو في عهد الاستعمار. فهذا التحدي الذي يعرض على العلماء، هو إن محاولة لفهم طبيعة التواصل لهذا الفكر الأيوي المهيمن في وسائل الإعلام الرئيسية والمجالات العامة في كل من الغرب والشرق.

ولأسف، باستثناء «إدوارد سعيد» قام عدد قليل من الباحثين بدراسة آلية البناء وراء انتشار صور الانقسام بين الإسلام والغرب، ولما فشت هذه المسألة هنا أخذت أطروحة إدوارد سعيد، كنقطة انطلاق. ويجب أولاً ملاحظة أن هناك بعض

على هامش مقتل «مروة الشرييني» الأم المصرية الشابة داخل قاعة المحكمة الألمانية في درسدن، تبقى ملاحظتان:

١ - القاتل الألماني (ذو الأصول الروسية)، وصف مروة - التي كانت تلاعب طفلتها في حديقة عامة - بأنها «إرهابية»، لا شيء إلا لأنها كانت ترتدي الحجاب.

٢ - الجريمة البشعة بكل المقاييس (١٨ طعنة للأمر الحامل في شهرها الثالث داخل قاعة المحكمة، وأمام قضاها)، جرى تجاهلها - في بداية الأمر - من قبل الإعلام الألماني، الذي لم يهتم بالموضوع إلا بعد أن كان قد سبب ردود فعل غاضبة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

هل يتحمل الإعلام الألماني مثله مثل غيره من وسائل إعلام غربية أخرى، مسؤولية تعاظم مشاعر العداوة للإسلام في الغرب، أو بالأحرى عند البعض هناك؟

هنا دراسة أجراها أكاديميون من جامعة أكسفورد، عن كيف يتم تقديم صورة الإسلام في الإعلام الألماني، وجدنا في «وجهات نظره» أنها ربما تساعد في الإجابة على السؤال.

المحرر



للاستزادة

Mutual Understandings?
Muslims and Islam in European
Media
Europe in the media of Muslim
majority countries

تقاهم متبادل؟

المسلمين والإسلام في الإعلام الأوروبي
أوروبا في إعلام الدول ذات الأغلبية
المسلمة

Kerem Oktem and Reem Abou-el-Fadl (ed)
European Studies Center, St.
Anthony's College
University of Oxford: 2009

الصحافة

الإسلام في الإعلام الألماني

الميزانيات في التقارير الأجنبية جعل وسائل الإعلام عرضة لتعاليات العامة للحكومات وعرضة للتعليم سادسا، العديد من الصحفيين تلقوا تعليمًا سينا للغاية، وعدمه قليل جدا في معظم بلدان الشرق الأوسط، ومنهم فئة تعمل كمختصين في القسم الأخبار الرئيسية سواء بالصحافة أم الإذاعة أم التلفزيون. يمكن لنظم وسائل الإعلام القومية أن تكون متصلة، بمعنى أن يقوم المراسلون الأجانب، وتقوم وكالات الأنباء على وجه التحديد، بتزويد كل نظام إعلامي قومي على حدة بالمواد الخام للمعلومات. غير أن نظم وسائل الإعلام القومية ليست مترابطة. لأن الجمهور المحلي هو الذي يقيم ويحكم على طريقتها التي تقطعي بها الأحداث وليس هؤلاء الذين يتحدث عنهم النظم الإعلامية - والمقصود هؤلاء هم الناس في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي - ويسبب بدهم عن الموضوعات التي تتناولهم وتحدث عنهم، فمن الصعب نوعية الأخبار الأجنبية التي يظهرون فيها. ولهذا غالبا ما تسود القوالب النمطية، والسرور المحلي، وقلة الموارد، وسوء التعليم، والصالح السياسية على المعلومات المتوازنة. إن ما يبدو للوهلة الأولى مشكلة ثقافية، هو في الواقع تفاعل بين مختلف النظم الفرعية القومية للدولة القومية. وهذه التعالقات تكاد تكون تعالقات عالمية، بمعنى أن مجتمعات الدول والفرق القومية هي كل أنحاء العالم، هي كيانات متواصلة يتولد عن قواها الداخلية أخبار مميزة عالية الإنتاج. هذه الأخبار تدرجها القومية على تعزيز مفاهيم الصراع التي يمكنها بسهولة أن تؤدي إلى المزيد من التوتر في العلاقات الدولية، لكن في أوساط معينة، هي غرار الاتحاد الأوروبي المعاصر، فإنه يمكن لهيمنة النظم القومية البدء في إفساح المجال لتهلكات وتصورات إقليمية متكاملة، كما كانت الحال أثناء تعطيية وسائل الإعلام البريطانية للحرب في العراق عام ٢٠٠٣.

وإن كنت تردد في تسمية آليات صنع الأخبار (بالقوالب النمطية الثقافية) أو (التحيز)، فذلك لأنني اعتبر أنه الصمات أجزاء من عملية صنع الأخبار، لكنها لا تحدد المحتوى الإخباري بالكامل. إن الاختلاف بين الداخل النمطية الأخرى والداخل النظري المتقدم هنا ليس مجرد اختلاف

الأوساط والعالم الإسلامي، ينشأ في الغالب على أساس حقيقة، أنه حتى في عالم العولمة الظاهري الحالي، يتم تحديد التقارير الأجنبية - إلى حد كبير - بناء على التفاعل القومي (وأحيانا الإقليمي) بين النظام الإعلامي مع غيره من النظم الفرعية والأوساط الاجتماعية. هذا التثقيب للتفاعل القومي على التفاعل المولى يعبر عن نفسه بطرق مختلفة. أولا: هناك هيمنة مجتمعات اللغة المحلية التي تسجحت كتاباتها عن العالم على الذي الطويل بطريقتها الخاصة، وتلك السياسية الداخلية غالبا ما تتداخل مع الخطابات أو الحكايات هي التي تؤسس لتفانياتهم وأشكال التواصل والتفاهم بين الثقافات. ثانيا، المشاكل والتضامات السياسية الداخلية غالبا ما تتداخل مع القضايا الدولية، أو الأسوأ من ذلك، هو أن تتدخل في طريقة تفسير العالم وتثووه الفضة الأصلية. ثالثا، في كثير من الأحيان يمكن ملاحظة أولوية النفوذ السياسي القومي على النفوذ السياسي الدولي في وقت الحرب، حيث تستبدل التعددية والتغطية الإعلامية الحرة لكل صراعات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، بتخلفية إعلامية محدودة للغاية لديها القدرة على تعزيز الأزمات الدولية. رابعا، وفي معظم الحالات، لأن التقارير الأجنبية تستهدف في الغالب الجمهور المحلي، نجد أن للأسواق القومية الغلبة على الأسواق الدولية، لذا تقوم التقارير الأجنبية عادة باستئجار المواقيع المتعلقة بتلك الشؤون الدولية، حيث تقوم باختيار الأنباء التي يرغب الجمهور المحلي في سماعها وفهمها. خامسا، ربما نتيجة لانعزال الأسواق غالبا ما تكون الموارد المالية نادرة جدا في التقارير الأجنبية، وكالات الأنباء عادة ما تكون غير مجيزة ماليا، وعند الموظفين في قسم الأخبار قليل، والتعدي من وسائل الإعلام الغربية عليها أن تعطي ما يقارب من أربعين لدا خصوصا في الشرق الأوسط، والخصاف

المجتمعات والثقافات ككل مسئولة عن التغطيات الإعلامية، في حين أن الدور الذي يلعبه الأفراد مثل الصحفيين، والمؤسسات الإخبارية، والسياسيين، والحكومات، والمستهلكين، وكذلك القاعدة العرضية من التيارات السياسية، لا يزال دورا مهما. وغامضا. فتحليل النصوص الإعلامية دون الإشارة النظرية لعملية صنع الأخبار يؤدي إلى تفكير تأسري فيما يتعلق بالنفوذ المزعوم للحكومات الغربية وجماعات الضغط اليهودية وما شابه ذلك، على وسائل الإعلام الغربية، النفوذ الذي يمكن أن يوجد بشكل عرضي ولكن ليس هو كل القصة بالتأكيد.

نظرية نظم وسائل الإعلام

«السيادة القومية»

لكن تجنب مثل هذا الفخ التحليلي، فمت باستخدام الأطر النظرية المستوحاة من مختلف اتجاهات نظرية النظم. لأن إنتاج وسائل الإعلام هنا يتحدد عن طريق العديد من العمليات المستقلة والقابلة للتفاعل مع غيرها من النظم الفرعية والأوساط الاجتماعية والأخيلة على ذلك تتضمن النظام الاقتصادي السياسي أو النظام النفس للصحافي الذي يلعب دورا مهما لوسائل الإعلام، بالإضافة إلى الدور الذي يلعبه الوسط الحربي به، كما تعد وسائل الإعلام القومية واليهودية مرجعا مهما للصحافة، لكن في النهاية المرجع هو العامل الذي ينبغي أن يحسب له حصاره على الرغم من أنه يفرش التأثيرات الأكثر تأثيرا واختلافا، حيث إن الجماعات المنظمة تشكل مجموعات صغيرة - مثل جماعة الضغط - بينما معظم الجمهور العادي متفرق ولا يمكن اعتباره ممثلا فريدا. في اعتقادي أن اعتبار الهيكل في التغطية الإعلامية الغربية للشرق

الشمائل البينوي بين «سعيد» وهنتيكتون، فكلاما يتناول «الأخر» «الإسلام» من منظور هنتيكتون والغرب، من منظور إدوارد - وكأنه مسخرة ثقافية صماء. فمن وجهة نظر إدوارد، كانت وسائل الإعلام والغرب هما اللذان قاما بتيسيس الشرق الأوسط الأكثر تعقيدا ويوصفه ببؤرة التعصب والجهل. ويبدو أن إدوارد سعيد نفسه قد فشل في فهم المنطق الحقيقي وراء بنية الخطاب الإعلامي، فمن ناحية، انتقاد إدوارد سعيد للصورة المنحطة عن الشرق الأوسط والإسلام في وسائل الإعلام الغربية هو انتقاد دقيق وسليم، فبعد عشر سنوات من البحث الإعلامي في مجال تعقيد وسائل الإعلام الألمانية والأمريكية والبريطانية للإسلام والشرق الأوسط، اقتنعت بأن الصورة الإعلامية المعقدة تتضمن افتراء منهجي. ولكن من ناحية أخرى، لم تكن للتفوق وسائل الإعلام في أوروبا مكون من قوالب نمطية فقط.

انتقادي سعيد، يقوم على افتراض أن النصوص الإعلامية التي تقدم للجمهور في دول أوروبا وأمريكا الشمالية تتضمن بلا شك العديد من القوالب النمطية عن الشرق الأوسط، ولكن هناك ما هو أكثر من ذلك بكثير، فيما يخص تلك النصوص الإعلامية. فإنا أرى أن تحليل المحتوى الإعلامي لا ينبغي أن يقوم فقط على أسس المفهوم الاجتماعي والنقسي للقوالب النمطية أو «الانحياز» لأن هذه الطريقة لتطوي التي خطر أن تصبح مرجعية ذاتية، إن كان المرء يبحث عن قوالب نمطية فإنه بالتأكيد سيجد واحدة، ولكنه قد لا يجد البقية. الحقائق التي ذكرت والقصص التي قيلت - بسبب التدخل التحليلي الأساسي المحدود جدا في نفاذه، مثل هذا التوجه يتبع لنا فهم جزء من تعقيد وسائل الإعلام ولكنه لا يتبع فهم نسج الأخبار، وكيفية إدراج بعض الأحداث في الأنباء دون البعض الآخر، ومن ثم فإنه ليس من الممكن بعد ذلك أن نفهم التعاليف الغريب للصحافة عابثة الجورة، مع ما أسماه شوشين، صورة الشرق في وسائل الإعلام الأوروبية وأمريكا الشمالية.

علاوة على ذلك، ولأن عملية صنع الأنباء هي عملية ذات حد ذاتها، فإن نص وسائل الإعلام الذي يرتكز على التحليل، يستند إلى مفاهيم تشبه القوالب النمطية، وتصيب مجرد مفاهيم تأملية عندما يتعلق الأمر بالغة والتناقل القروية على التغطية الإعلامية. ويبدو أن

هل يتحمل الإعلام الألماني مثله مثل غيره من وسائل إعلام غربية أخرى، مسؤولية تعاطف مشاعر العداء للإسلام في الغرب



بإستثناء «إدوارد سعيد» ، قام عدد قليل

من الباحثين بدراسة موضوع تغطية الإسلام وكيف تتحكم أجهزة الإعلام في الأمر



وكما سيستضح فيما بعد، بعض جوانب الحياة السياسية في الشرق الأوسط هي التي يكتب عنها بشكل دائم تقريبا. لكن المحللون بدلا من ذلك هو المزيد من المعلومات والأخبار ذات السياق الجيد. - المناطق الخاصة، وثنين الأخبار والأزاد ذات التوجه السياسي عن الشرق الأوسط.

حوالي أربعة أخماس التقارير في الصحف والمجلات الألمانية على مدار الثلاثين سنة الأخيرة تناولت القضايا السياسية. فالمعلومات الاقتصادية يحول عليها بنسبة تقل عن عشرة في المئة، أما غيرها من المجالات مثل الثقافة ووسائل الترفيه والسياحة والدين وبلغت الحدود لتعالم الدين وقبوسه، فإنها لا تشكل ما يزيد على نسبة اثنين في المئة من التغطيات. ونظرا للدور المهم الذي تلعبه وسائل الإعلام في تشكيل المفاهيم الدولية، قامت ألمانيا بتجهيز الطريق للمشاهد المحوري السياسي لشمال إفريقيا والشرق الأوسط والدينامية الإسلامي. لكن الوضع الاعتباري للحياة اليومية يحتاج هذا المنظور الإسلامي.

من المثير للاهتمام ملاحظة أن الدين نادرا ما يلعب دورا في مثل هذه التغطيات، وفيما عدا مظهر الإسلام السياسي، وهو ما ينطبق أيضا على اليهودية التي نعرف شيئا عنها تقريبا بإستثناء دلالاتها الصهيونية. وهذا ما يترك أثرا مهما على التغطيات الإخبارية الأخرى. فعلى سبيل المثال، التراث المسيحي -اليهودي لأوروبا والغرب هو مصطلح يستخدم كثيرا في النقاش حول انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي. لكن يمكننا القول إن هذا المصطلح أقل بكثير من أن يكون أساسا بالإستناد إلى الفكر القديم في أحسن الأحوال، حيث إن اليهودية المعاصرة لا تعد من القصص البارزة في وسائل الإعلام الألمانية، ويلاحظ أن الثقافة الشرق أوسطية المعاصرة محجوبة تقريبا.

كان من ضمن الملاحظات الأخرى أن الموضوعات التفسيرية، مثل قصة الشهادة الإبراهيمي محمد رضا بهلوي، وقصة الملك فاروق أو الأخاخان، كانت تنصير الصفحات الأولى للأخبار في وسائل الإعلام الألمانية والغربية في الخمسينيات وبداية الستينيات، وقد اختفت تماما في نهاية الستينيات. هذا التغير قد تزامن مع التحديد مع حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، بغض النظر عن حقيقة أن شاه إيران قد استمر في الحكم، وأن الملك طلال يعيشون حياة البذخ في الحبس. لا أود أن أقول إن

مناطق العالم، مثل إفريقيا وأمريكا اللاتينية. ولقد بدأت هذه الزيادة في التغطية منذ عام ١٩٧٠، واليوم وصلت الأثبات والتقارير عن الشرق الأوسط تقريبا إلى نفس مستوى الأنباء والتقارير من أمريكا الشمالية. لكن ما يجعل هذه النتائج أقل تأثيرا هو: أن معدل نشر المقالات على مدار العقود الأخيرة لا يتجاوز نشر ثلاث مقالات يوميا عن الشرق الأوسط في الجرائد اليومية. وهو عدد يجب مقارنته بالكمية الكبيرة للمقالات التي تنشر عن الشرق الأوسط في الصحف، حيث، كما قلنا، لا تزال كثافة الإبداع في ألمانيا بدائية.

فضلا عن ذلك، فإن الزيادة في تغطية الأحداث الكبرى في العالم مثل حرب الأيام الستة، وحرب الخليج عام ١٩٧٣، والثورة الإيرانية، وحرب الكويت، كانت في السبب الذي أدى إلى تحفيز هذا النمو في إنتاج الإخباري، فخطقت هذه الأحداث كانت تنم على نطاق واسع في بعض الأحيان، لكن تغطية مكثفة الشرق الأوسط في حد ذاتها نالها ما كانت تنحصر بعيدا من نهاية الأحداث، كما يشير إلى انخفاض درجة الاستمرارية في إنتاج الأخبار. فغالبا ما يكون تقديم تقرير عن جوانب حرب معينة أو غيرها من أنواع العنف السياسي أسهل بكثير من تقديم تقرير عن النتائج المترتبة على مفاوضات السلام أو غيرها من علامات التطبيع، حيث تشكل أقل الأنباء إشارة بالنسبة للصحافة الألمانية الجادة.

فضلا عن ذلك خلال عام ١٩٧٠، نشأت فجوة بين الزيادة عدد التغطيات الصحفية للشرق الأوسط، وعدد التقارير الشبه ثابتة في الموريات السياسية. وهذا يعتبر دليلا على أن وسائل الإعلام الألمانية سمحت بحجور نمو مطرد في التغطيات الصحفية لحدوث الحدث دون توفير نفس الكم من المعلومات المتضمنة اللازمة لفهم هذه التغطيات وتحليلها.

في التحليل النهائي، نجد أن المعلومات التي يتلقاها المستهلك العربي عن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، أقل بكثير من المعلومات التي يتلقاها عن منطقة منطقتها. ويزداد كم التصوص الإعلامية التي تتم صياغتها على نحو ردي، وغالبا ما تكون مجتزأة من معلومات مبثورة. ويبدو أن الجمهور لا يمكنه أن يستوعب أو يفهم المزيد من الأخبار عن الشرق الأوسط، نتيجة لقصور الحياة اليومية. لا يطالب بالزبد من الأنباء. في الحقيقة،

الأوسط. خامسا: يمكن تفعيل القوالب النمطية. لكنها أيضا يمكن أن تتغير. استنادا إلى نوع القوالب النمطية وفترة استمرارها، فيفضل الانحيازات تستمر لعقود والبعض الآخر يستمر لقرون أو آلاف السنين.

باختصار، كما يقول إدوارد سعيد، الصور التي ترسمها وسائل الإعلام الغربية عن الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، غالبا ما تكون صورة غير مژدة. ومع ذلك، فإن «صورة الصورة» أيضا غالبا ما تكون مبسطة لأنها تقلل من قيمة الديناميكيات الثقافية ومن النظام الإعلامي. فقط إذا نظرنا إلى الطابع الحقيقي للمحتوى الإعلامي وعمليات الإنتاج، يمكن أن تصور المصالح النظم الغربية تجاه الشرق الأوسط والإسلام في المستقبل.

صورة الشرق الأوسط والإسلام

في الصحافة الألمانية

بعد أن عرضنا الحجج والطريقة المثلى لهذا البحث، نقدم في هذا القسم النتائج التجريبية استنادا إلى دراسة كبيرة أجريت على صورة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي في الصحافة الألمانية. فلفد تم تحليل ودراسة وتفسير ما يقرب من ١٤٠٠ مقال باستخدام الطريقتين الكمية والنوعية. وفي حين أنه لا يمكن استقراء الكثير من تلك النتائج الألمانية، فإنها تشكل حالة صالحة لدراسة النظم الإعلامية الغربية التي تغطي الإسلام.

النتائج الكمية

قبل أن ننظر نظرة متفصلة للمصدر الإعلامي، يجب أولا أن ندرس بعض البيانات الكمية عن نوعية المواضيع والعلاقات التي قدمت في الصحافة الألمانية على مدار العقود القليلة الماضية، والنتائج المترتبة على ذلك سوف تعطينا لحة سريعة عن مواطن القوة والضعف في التقارير الإخبارية.

- حجم التغطية: في ازدياد ولكن لا تزال بدائية.

من إحدى النتائج الإيجابية الإعلامية لفئة الشرق الأوسط، مقارنة بمناطق أخرى: أن تزايد استمرار في وسائل الإعلام الألمانية، بل إن هذه المنطقة تظل على المزيد من الاهتمام أكثر من غيرها من

اصطلاحا. بل هو أكثر أهمية من ذلك، لأن التغطية الإعلامية من منظور نظرية النظم تتيح لنا فهم التأثير القوي للقومية على التغطية الإخبارية بينما الترابط العالمي لا يزال ضعيفا، على الرغم من أن عمليات المعرفة العرضية متاحة في وسائل الإعلام. إن الترابط في صنع الأخبار تنتج عنه أخطار هائلة. ومع ذلك فإن الاستقلال الذاتي النسبي لنظم وسائل الإعلام القومية في الديمقراطية الغربية يسمح بعمل تغيرات من حين لآخر، وبمرونة في الشواهد الداخلية. إن المعلومات، الصادقة، والمحايدة، متاحة أيضا. بينما إشكاليات التفاعل بين النظم الإعلامية والقوى الاجتماعية يمكن أن تؤدي إلى تشويه صور وسائل الإعلام، أولا، نظم وسائل الإعلام الغربية تستعمل العديد من التحويلات لدرجة لا تسمح بوصول أية حقائق صادقة عن التطورات في الشرق الأوسط إلى الأخبار ثانيا، في وقت معين، تتجيز ديناميكية الجدل العام للدراسات الشرق أوسطية وغيرها من أنواع الخبرات أن تجد طريقها إلى وسائل الإعلام الرئيسية، من أجل توضيح المفاهيم الخاطئة العامة. ثالثا، الجهد النسبي لأي بلد من المشاركة في الأزمات القضايا الداخلية التي تتداخل مع التغطيات الإعلامية الخارجية قد تغير أيضا من المفاهيم، حتى لو لم يكن لهذه القضايا دخل بها في يحدث في الشرق





تحليل المحتوى الإعلامي لا ينبغي



أن يقوم فقط على أساس المفهوم الاجتماعي والنفسى للقبائل النمطية أو «الانحياز»

الكثير من الغربيين ضد الشرق الأوسط، لكنهم أيضا كثيرا ما يتعرضون لصور الحياة المجردة من الإنسانية في الشرق الأوسط التي لا تتضمن شيئا بخلاف السياسة والعنف.

مستوى السلبية العالي في التقارير الإعلامية السياسية ليس فقط نتيجة لطبيعة الحياة السياسية في الشرق الأوسط، حيث يعد الحكم الفردي البرزاني في العالم العربي سمة عادية إلى حد ما في السلوك السياسي والنقاش السياسي وأيضا في الانتخابات، ولكن عندما ننقل وسائل الإعلام هذه الأحداث فإنها تميل إلى تفضيل الأشكال المؤسسية للسياسات العادية، وتحديدًا في الانتخابات أو الاستفتاءات أو تغيير القيادة (مثل توريث الحكم بعد وفاة الملك فهد في المملكة العربية السعودية). لكننا نسمع من المناقشات السياسية الجارية إلا بالصادقة، ولا عن مؤسسات المجتمع المدني كذلك الموجودة حاليا في مصر أو الجزائر التي غالبا ما تنتقد الحكومات وتشنز مناقشتها في الصحافة القومية.

من جهة أخرى تبرز الأخبار الإعلامية عبر عتق الزجاجة للمحدودة عند تناولها للشرق الأوسط (فهو عادة تقوم بتقرير مقالاتها وثلاث مقالات يوميا) لأنها تفضل اختيار أخبار عن العنف، وهذه الحالات ليست أفضل بكثير مما يحدث عندما تغطي الصحف الإعلامية أجزاء أخرى من العالم، فالتقارير في أمريكا الجنوبية والحروب الأهلية كلها أشياء مهمة. والأسباب هي مثل هذه المعايير الإخبارية يمكن فقط الاستدلال عليها، لكن لا يمكن إثباتها تجريبيًا في الواقع، لأن الدراسات المتكسبة لجمعية الأخبار نادرة وتضعف إجرائيًا. يقول بعض علماء الاتصالات إن الوظيفة الأساسية لوسائل الإعلام الإخبارية، في نظير العديد من المستهلكين والصحيين، هي بمثابة نظام إنذار للمخاطر المحتملة التي تظهر في العالم الخارجي. وقد أثبت البحث القارئ في نظم وسائل الإعلام لدول العالم أن هذه المعايير الإخبارية تعد ظاهرة عالمية. فالتعريف السياسي في بريطانيا وإسبانيا، أو الإرهاب الإسلامي في سبيل المثال، يضعف الأخبار المضطربة. أيضا هناك فجوة ما بين العمال والجمهور في حيث أن التغيرات السياسية في الولايات المتحدة وأوروبا تحظى باهتمام أكبر في وسائل الإعلام غير الغربية بسبب موقع الولايات المتحدة وأوروبا في قلب النظام العالمي.

المحوري للنزاع في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي لديه القدرة على زيادة التوتر في العلاقات الدولية. وبعد تحليل هذه العينة الكبيرة من النشيطات الصحفية الألمانية خلال الفترة من ١٩٩٠ وحتى ١٩٩٩، وجدت أنه ما بين ثلث إلى نصف الأحداث الأساسية الواردة في المقالات (يتوقف ذلك على نوع الصحفية أو المجلة) كانت تتناول أحداث العنف مثل الإرهاب والحروب والاضطرابات. وثان هذه الفترة طويلة الأمد، فقد يحدث في أوقات معينة، تستمر في الغالب على مدار أسابيع أو شهور، أن تكون الغالبية المطلقة لأخبار عن العنف السياسي في الشرق الأوسط. وهذا يخلق صورة القوضي في الشرق الأوسط، وعلى الرغم من صعوبة قياس مدى تأثير وسائل الإعلام على آراء الناس باستخدام الوسائل العلمية، فإن يبدو من القول أن التركيز على الأخبار الإعلامية يخلق في المجتمع الأثافي شعورا غالبا بأن الشرق الأوسط مكان خطير - منطقتة من العالم من الأفضل ألا تذهب إليها.

لقد أظهر ارتباط البيانات أنه ليس من الغرب أن تحتوي الأخبار السياسية على عنف أكثر من الأخبار الثقافية مثلا. لذا فإن التركيز الشديد على الأخبار السياسية في النشيطات الإعلامية للشرق الأوسط يخلق تصورا عن جزء ناء من العالم؛ يبدو في حالة تناقض حاد مع تصور المستهلك من عالمه عن العالم المحلي أو الوطني، مع أن هذا العالم الإخباري يحتوي على نزاعات وأحيانا عنفا، ولكنه أيضا يحتوي على أجواب أخرى عديدة كالثقافة والترفيه. ونحن لسنا في حاجة لعمل دراسات مقارنة لنوضح أنه يوجد حاليا في الشرق الأوسط عنف سياسي أكثر من العنف المروج في الديمقراطيات الغربية. لكن على الرغم من هذا، الحقيقة الاجتماعية على أرض الواقع ليست على هذا النحو من الوحشية والشراسة كما تبدو من خلال عنايت وسائل الإعلام القومية. وقد تكون القبائل النمطية الثقافية المتأصلة في السبب في تحيز

الصلة يمكن أن يصبح روتينيا لاسيما في قسم الأخبار أو غيره من الميادين الاستمرارية مثل النظام الإعلامي الأثافي. في حالة تغطية الصحف القومية الألمانية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، كان هناك تدهور في المعايير، وخلق حالة روتين إخباري التزم به كل المعلنين - وكالات الأنباء والصحيين والجمهور - يبدو هذا بالطبع غير منطقي، لأنه على الرغم من كل المشاكل في الشرق الأوسط فإنه توجد أحداث إيجابية بما فيه الكفاية لتحدث عنها (مثل تحسين مستوي التعليم الجامعي في بلدان الشرق الأوسط خلال العقود الأخيرة). كما أن هناك أسبابا كافية لتعاطف مع الشرق الأوسط ليس فقط على أساس أنه يشكل خطرا سياسيا، وبينما من المعروف أنه يصعب التنبؤ بالتغيرات الإعلامية المستقبلية، فإن التغيير المدع بالوثائق في النشيطات الإعلامية الألمانية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا الذي حدث في الستينيات، يوضح أنه عند التقديرات تغييرا محتملا وممكنة. وهكذا فإن الأحداث الإيجابية المستقبلية، التي تتحدى روتينية وسل الأخبار الموجودة، وتعيد النظر في القيمة الإخبارية، يمكنها أن تشكل مفاهيم وسائل الإعلام الألمانية على نحو جيد. ليست وسائل الإعلام الألمانية التي لا تتعامل مع الحقائق على أرض الواقع، ولكنها تفرط في تبسيط الحقائق إلى حد يؤدي إلى التشويه وسوء الفهم. ويبدو أن عمليات التعمق في وسائل الإعلام الحديثة أبدا كثيرا مما يتوقع أحد.

السلبية كقيمة إخبارية

التركيز الإعلامي على القضايا السياسية يجعل نشوع جدول الأعمال الإخباري ضروريا لجمهور. فهو يؤدي بشكل حتمي إلى مشكلة أخرى: فالشخص

الجزء كانت في الواقع هي السلسلة الأولى من موجات الصدمة السياسية التي انتقلت عبر الإعلام الغربي، والتي قامت بتبسيط الأخبار وتغيير نظام صناعة الأخبار بالكامل، وكانت الصدمة الثانية هي الثورة الإيرانية وظهور الأصولية الإسلامية.

أيضا ينبغي أن ننسى الملاحظات عن فترة ما بعد الحرب؛ فبعد الحرب العالمية الثانية كانت الجوانب الثقافية والترفيهية للشرق الأوسط تكتسب الصفحات الأولى للأخبار في الغرب، وبينما يبدو أن غياب التقارير الإخبارية الدينية والثقافية للشرق الأوسط يدعم موقف إدوارد سعيد، فيما يخص تنميط القبائل الثقافية للشرق الأوسط من قبل نظام إعلامي غربي مثل الأخبار، إلا أن هذه التراسة سعيد، اعتراضا منهجيا مهما: فغياب جدول أعمال ليس دلالة على اللاعاج الجوهري للأخبار إن المشكلة الحقيقية لا تتعلق بتقدير الصحفيين أو الجمهور للشرق الأوسط بقدر ما تتعلق بتصورهم عنه، فأجزاء كبيرة من دفاع المسلمين والشرق أوسطيين لا يذكر عنها شيء في وسائل الإعلام الألمانية، حيث يتم رفض الأخبار دون حتى أن نتاج لها الفرصة لأن تكون قوالب نمطية، علاوة على ذلك، فإن التقديرات التي تحدث على المدى القصير نسبية في ثقافتنا وسائل الإعلام الإخبارية فيما يتعلق بالواضيع الترفيهية، توضح أنه قد لا يوجد على المدى الطويل، اشتراق أو تحيز يتم استيعابه ثقافيا أثناء العمل على اختيار المواضيع. ربما ستكون فائدين في المستقبل على إيجاد طرق لإحياء المناقشات الإعلامية المتعددة الأقدم عنها أو تطوير أشكال جديدة للدخول الثقافية والترفيهية للشرق الأوسط وشمال إفريقيا.



إذا كان مصطلح «الثقافة» هو تفسير غير واضح مثل هذه التغيرات التي تحدث في الثقافات الإعلامية، فقد يكون هناك أكثر معقولية بأن الأحداث الكبرى من ضاهنا أن تخلق معاييرها الخاصة. فمنذ زمن بعيد اكتشف العلماء أن التقديرات الإخبارية التي توجه عملية اختيار الأخبار، فعلى سبيل المثال نجد أن الأخبار المتعلقة بأحداث العنف والأحداث ذات الصلة على الصعيد الوطني، عادة ما تقرر تقديرها عاليا. فالحكم على ما يهزل بعض الأحداث ذات



تحليل النصوص الإعلامية دون الإشارة لعملية صنع الأخبار، يؤدي إلى تفكير تأمري فيما يتعلق بالنفوذ المزعوم لجماعات الضغط اليهودية وما شابه ذلك



صورة الصورة، غالباً ما تكون

مبسطة لأنها تقلل من قيمة الديناميكيات الثقافية ومن قيمة النظام الإعلامي

بلدان مثل أفغانستان وباكستان. وحيث إن هذا هو العمل الناتج عن التحليلات طويلة المدى منذ ١٩٥٠ إلى ١٩٩٠، فقد يظل البعض إن بعض الأمور قد تغيرت بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر التي يعتبرها الكثيرون لحظة تحول في العلاقات بين الغرب والشرق الأوسط، لكن بعد الاهتمام المبجل الذي حظيت به أفغانستان وباكستان في ٢٠٠١ و ٢٠٠٢، كان يبدو ظهور هذه البلدان في وسائل الإعلام الألمانية مقصراً إلى حد كبير على حرب الفرب على الإرهاب في المنطقة، ولتأكيد سينتهي هذا الظهور بعد ذلك بالتأكيد. جغرافيا أخبار الشرق الأوسط في وسائل الإعلام الأوروبية وبالتالي تختلف من بلد لبلد. ففي فرنسا على سبيل المثال، هناك دراية كبيرة بالغرب، ولكن تبقى حيرة أن صورة الشرق الأوسط ليست ظاهرة موحدة، فهي تضم مناطق اهتمام وتصورات مختلفة.

ولكن ببساطة لدينا الكثير من المعلومات المتاحة في نظام الإعلامية عن تلك الأجزاء في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والتي من شأنها أن تؤثر على الأخبار الجيدة، حيث تعرف قيمة الأخبار على سبيل المثال، من الصراعات الدولية في الشرق الأوسط أو الصراعات التاريخية المتعلقة بمنطقة بعض البلدان، مثل مصر بالتيبة والألبانيا والجزائر، أو مثل الجزائر وليبيا واليمن لفرنسا. من التأثير لاهتمام أنه لا يوجد علاقة بين حجم التبادل التجاري وحجم التغطية الإخبارية، في الوقت الذي تدبر فيه ألمانيا ما يقارب من نصف تجارتها الخارجية في الشرق الأوسط وألمانيا ما دول مثل تركيا وإيران وباكستان، نجد أن هذه البلدان لا تحتل سوى ما يقارب ٢٠٪ من مواضيع التقارير الإعلامية. هذا المخرج من المصالح السياسية، والصراعات الدولية ذات الصلة، والتجارة الثقافية، وليس الذي يحدد التقارير الأجنبية، وليس المصلحة الاقتصادية أو المصالح الاجتماعية الجغرافية مثل تعداد السكان في بلد ما، حتى التغطية الحالية لدرب مدغشقر على حد كبير بالأجانب الثقافية للحدادة المتفرقة والحرص الجديدة للساحة (الانفاق العملاقة وما إلى ذلك) وليس لاعتبارات اقتصادية، فالتقارير العميقة من حقيقة أن ميناء ديب أكبر عشر مرات من ميناء هامبورج الذي يعد من أكبر موانئ ألمانيا، وإن الناس في ديب قد تمكنوا من تنشيط ثقافتهم التجارية التقليدية بنجاح عند مفترق

المعارضة، في حين أن الحكومات الغربية تتعاون مع تلك القوى على نحو برمجي. في الأعوام الأخيرة بعد أن تم القضاء على وسائل الإعلام الألمانية بسبب (الإسلاموفوبيا) أو الخوف من الإسلام، بدأ العديد من الصحفيين في التظاهر بالولاء والاحترام لحقيقة أن الإسلام لا يتطابق مع الأصولية، إلا أنهم استمروا في كتابة الأنباء عن الأصولية والجهادية مع عدد قليل جدا من القصص عن جواب الإسلام المعتدل. وفيما يتعلق بهذه النظرة الضيقة للإسلام - وليس للشرق الأوسط ككل - يبدو أن هناك ما يبرر الكلام الذي قاله إدوارد سعيد وآخرون، على أنه يوجد في الحقيقة تحيزا ثقافيا راسخا على نحو عميق في الغرب الذي يطاول عمليات المعرفة. ويشرح (Droge) عالم النفس الاجتماعي بين القوالب النمطية الثقافية طويلة المدى، والقوالب النمطية العنصرية متوسطة المدى، والقوالب النمطية المعاصرة قصيرة المدى، ويبدو أن أن الإسلام من القوالب النمطية طويلة المدى. وفي حين أن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي ما زال مستمرا منذ ستين عاما، أصبحت خلالها صورة الفلسطينيين أو تدهورت لعدة مرات، إلا أن الصورة السائدة للإسلام في الثقافة الغربية والألمانية لا أكثر من ١٠٠٠. من هذا نظر في الحروب الصليبية و زمن الإصلاح المسيحي، وطوال فترة الاستعمار سادت التصورات السلبية على التصورات الإيجابية المعاصرة. الإسلام ليس موضوعا فريدا معزولا ولكنه موضوع فرعي يمكن أن يظهر في جميع المجالات والمواضيع، في السياسة بقدرا ما في الثقافة والاقتصاد.

الدول السليبية، جغرافيا الأخبار

الانتقال من مواضيع الصور السلبية إلى البؤرة الجغرافية مثل هذه التغطيات، يمكننا أن نؤكد أن تصورات الإعلام الألماني عن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بعيدة كل البعد عن التجانس. تحليل البلدان التي تحظى بالاهتمام يسمح لنا أن نستشف الجغرافية المحددة للأخبار في الخريطة الإخبارية. أولا، هناك عدد قليل جدا من مناطق مجاورة، في الأخبار الألمانية التي نذكرها ما تغطي دول مثل «اليمن» و «عمان»، لكن الأهم أن هناك تركيزا واضحا على أخبار دول الشرق (فلسطين، الأردن، سوريا، العراق، لبنان) ومصر، بينما هناك ندرة في الأخبار عن المغرب والسودان وشبه الجزيرة العربية أو

الثورة وبسبب عدد من الصراعات والفضائح الدولية مثل قضية الكاتب سلمان رشدي، وهجمات الحادي عشر من سبتمبر، أصبح الموضوع الذي يشغل الجمهور هو «الإسلام السياسي» وليس «الإسلام» كدين أو ظاهرة ثقافية. ويؤكد على ذلك يوجيتي نظير مختلفتين تمام الاختلاف عن الصراع في وسائل الإعلام الألمانية. وسار ينظر للإسلام السياسي على نحو متزايد باعتباره معادلا موضوعيا للإرهاب وليس لالأظمة الاستبدادية القائمة. لا تزال قائمة منذ أكثر من نصف قرن وتشتمل على جوانب مختلفة من المعارضة الفعلية للأظمة الاستبدادية القائمة. ومن النشاط الاجتماعي، إلى مختلف أنواع العنف السياسي وعلى الجانب الآخر، ينظر إلى الصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أنه صراع حضاري يمكن حله وبمراة أخرى، بينما ينظر للإسلام السياسي على أنه ظاهرة إرهابية بشكل أساسي. ينظر للصراع الفلسطيني الإسرائيلي على أنه مشكلة كبيرة لها عدة جوانب مختلفة، من العنف الجهادي السياسي إلى السلوك السياسي المعتاد. ويبدو أن هذه النزعة الاختزالية تتعارض مع حجة، خالد دوران، في أن الظاهرة المهمة حقا في العديد من الدول الإسلامية هي ظاهرة التسقيف الثقافي الاجتماعي الواسعة للمحافظين الجدد بدلا من الأصولية الإسلامية. وهي ظاهرة أصغر بكثير ولكنها تحظى بأكثر قدر من الاهتمام في أوروبا والولايات المتحدة.

علاوة على ذلك تواجه معظم وسائل الإعلام الألمانية صعوبات في فهم الفرق بين المصارات المعتدلة والمتطرفة داخل الحركات السياسية الأصلية.

المواضيع السلبية، الإسلام السياسي

والصراع الفلسطيني / الإسرائيلي

الناتج التي توصلنا إليها عن السلبية، نتيجة الاستمرار في التحليلات، يمكن أن تكون مرتبطة بمواضيع فريدة ضمن نطاق موضوع الأخبار السياسية. ولقد وجدنا أن هناك اختلافات هائلة تجعل من الضروري تغيير الافتراض بأن وسائل الإعلام الإخبارية تحمل تصورا سلبيا بشكل دائم عن الشرق الأوسط، وسوف أثبت هذا من خلال مقارنة موضوعين من الموضوعات الإخبارية الأساسية على جدول أعمال الصحافة الألمانية، الإسلام السياسي والصراع الفلسطيني / الإسرائيلي. من بين ٢٠ ٪ من إجمالي عناوين الأخبار، كانت أحداث العنف هي السبب في تناول الصحافة الألمانية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، بينما كان الإسلام هو الموضوع الرئيسي الذي يحتل من ٤٠ ٪ إلى ٧٠ ٪ من إجمالي التقارير الإخبارية. الاختلاف للتقارير الإخبارية في مجالات المواضيع المختلفة. وبعد الإسلام من أكثر المواضيع المعنية بالسلبية في الشرق الأوسط في التقارير الإخبارية الألمانية، ويمكن استنتاج السبب في ذلك من خلال المواضيع المعنية بالسلبية في الشرق الأوسط في التقارير الإخبارية الألمانية، المتعلقة بالإسلام على مدار العقود الأربعة الأخيرة، التي تبين أن الإسلام قبل الثورة الإيرانية (١٩٧٨ - ١٩٧٩)، نادرا ما كان يشترك جزءا من الأنباء الألمانية. لكن مع بداية





فقط إذا نظرنا إلى الطابع الحقيقي للمحتوى الإعلامي

وعمليات الإنتاج، يمكن أن نتصور افتتاح النظم الغربية تجاه الشرق الأوسط والإسلام في المستقبل



مختلفة. ففي الدول التي مرت بأزمات وجودية وأولى التي دخلت في حروب على واسع، كانت وسائل الإعلام العامة تبني على استعداد اللاتفاف حول راية القتال، لدعم حكوماتهم ومصاصيهم، وهو سلوك تم الاعتراف به في الدراسات الإعلامية الحديثة. وفترات قصيرة، يمكن أن تنقل قدرة وسائل الإعلام على التصرف بطريقة تعددية وإصغاء الشغل على الرؤى الشرق أوسطية. وهو ما لاحظته الميوسلوس (هانا أرندت) أثناء حرب فيتنام ووصفته بالعلقية التيريرية... التي تشكل تهديدا خطيرا على تعددية الديمقراطيات الغربية (أرندت 1971).

وحالة إسبانيا - البلد الذي كان ضالعا في حرب العراق ولكن مع العاصم على التنوع في وسائل الإعلام - لا تدحض هذه القاعدة، لأن الاشتباكات العسكرية للقوات الإسبانية كانت تتم على نطاق محدود، وبالتالي لم يتم تفعيل، أعراض الالتفاف حول راية القتال. ويبدو المثال البريطاني أكثر إثارة للاهتمام؛ فقد أجريت تحليل صغير المحتوى للعديد من التغطيات الصحفية البريطانية عن الحرب، وأثارت الانتعاش النسبي الذي تم الحفاظ عليه حتى في وقت الحرب (معاظف 2011). فعلى الرغم من وجود اتجاه وطني، كانت هذه التغطية على وجه التحديد أكثر تحفظا وتباينا من تغطية حرب فوكلاند.



هناك عدد من الأسباب يجعل وسائل الإعلام (لثقت حول راية القتال) عندما تحوش الدولة حربا أو عندما تشعر بالتهديد. أولا، فقد تعلمت الحكومات الغربية التي على حين مشدود بين المعلومات والتضليل والأشئلة: المعرفة تتضمن حملة الحكومة الأمريكية على عرصة لصياغة التغطية. لأن المعلومات المحررة للحكومة يتم ترشيحها من خلال وكالات الأنباء إلى أقسام الأخباء. وصار التحقق من المعلومات أمر شبه مستحيل تقريبا بسبب السرعة المتزايدة للإنتاج الإخباري. ثالثا الجماهير العامة دائما ما استعداد للالتفات حول راية القتال، وهناك دائما بعض القطاعات العامة، والقوة في الحالات العامة، وبالتحديد جماعات الصحف، اللوبي، التي تدعم هذا الاتجاه.

أجريت تحليلات على النص الكامل للصحف الكبرى أثناء الأحداث الكبرى مثل حرب الأيام الستة، وحرب أكتوبر، ومفاوضات اتفاقية كامب ديفيد، واحتياج لبنان عام 1982، وعلى العموم حدثت تغييرات هائلة وشاملة في الصياغة ككل. فبينما حيزت ألمانيا لإسرائيل تحيزا شبه كامل تقريبا عام 1967، تغيرت منذ ذلك الحين وسائل الإعلام بالترويج وبيانات حتى تطبيق نهج أكثر توازنا يميل إلى الإسرائيليتين من الدفاع عن أنفسهم، والتطلعات الوطنية للفلسطينيين، ولو مع بعض الفوارق بين الصحف التي يعتمد معظمها على نطاق الصحافة السياسية التي ينتمون إليها.

المثال الثالث هو حرب أفغانستان عام 2001، وحرب العراق عام 2003. ففي ألمانيا لم تتم حتى مناقشة مسألة مبررات الحرب على أفغانستان، ولم يتم وضعها أبدا على رأس جدول الأعمال الإخبارية. لكن هذا الوضع تغير تغيرا جديرا قبل إنشاء وحدة حرب العراق عام 2003. فبينما كانت كل وسائل الإعلام الرئيسية في الولايات المتحدة تتقدم الرئيس بوش أثناء الحرب، أو على الأقل لم تكن تسمح بانتقادات كبيرة، كانت وسائل الإعلام الألمانية تستخدم نهجا أكثر تعددية، سمحت للأصوات المناهضة للحرب وكذلك الأصوات المؤيدة بالتعبير عن خلال نفسها في مقالات صحفية وبرامج حوارية. إلخ. وفي حين كان 80٪ من الشعب الألماني والدولة الحكومة الألمانية ضد الحرب، إلا أن ذلك كانت متنوعة في وسائل الإعلام. ويبدو الوضع في ألمانيا مماثلا لذلك الموجود في بلدان أخرى مثل إسبانيا مع فريق أن الحكومة أترار كانت مؤيدة للحرب بينما كان الصحفي الإسباني ضدها، وكانت نظم الإعلام الإسباني تشكل عناصر مختلفة، من التليزيون الموالي للحكومة إلى الصحف التقدمية. وبناء على الأمثلة الثلاثة، فإن تسميري للصياغة ونقل الأحداث يشير إلى اتجاهات

الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ومختلف أنواع الأزمات مثل أزمة النفط عام 1973 (أزمة اقتصادية غير متوقعة)، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي (صراع طويل الأمد متعدد المراحل والجوانب من ناحية النشاط الدبلوماسي والعنف)، والحروب الأخيرة في أفغانستان (2001) والعراق (2003). الأزمة تحكم التعريف في نقطة تحول في إطار الصراع الذي يمكن أن يؤدي إلى زيادة حدة التوتر والعنف أو إلى الركود أو الحل أو التستوى. وقبل أن نحاول شرح هذه الصالات ينبغي أن نقول بضع كلمات عن صياغة تلك الأحداث بالتقرير. الحالة الأولى هي التغطية الصحفية لأزمة النفط عام 1973، في الصحف الألمانية، التي تمت برزت مراحل تقريرها. المرحلة الأولى، عندما بدأ الصراع، وكانت تتميز بالداخل المختلفة في الصحافة الألمانية، التي كانت تتراوح ما بين التعاطف اليساري الليبرالي مع الدول العربية التي تسعى إلى تصديق الحقبة بين الشمال والجنوب في مجال العلاقات الدولية، والتأويلات المحافظة للأحداث بوصفها خطرا على الأمن القومي الألماني، وفي ذروة الأزمة، يعد حرب أكتوبر لعام 1973، تفتحت التغطيات ولبنى القطع اليساري الليبرالي من الصحف الألمانية إطار الصحف المحافظة فيما يتعلق بالرخاء والأمن القومي. وعلى مدار أسبوعين تقريبا، في حين قاطعت منظمة الأولك كلاً من أمريكا وهولندا، كان يبدو كما لو أن هناك تواهلا كاملا تقريبا في الآراء في الصحف الألمانية أن الحرب لم يكن الحق في أن يغفلوا ما معلوم. وعلى أي حال، بعد انتهاء الأزمة تغيرت التغطيات مرة أخرى. فهي سبيل الذكر، قامت مجلة (Der Spiegel) الليبرالية بإطلاق سلسلة كاملة من المقالات عن استغلال كبرى شركات النفط الأمريكية والبريطانية للدول العربية. الحالة التالية هي التغطيات الألمانية للصراع الفلسطيني الإسرائيلي. ولقد

الطرف في الشرق الأوسط، هذه الأخطاء ليست إلا مشهدا جانبيا في الإعلام الألماني. ويغض النظر عن القيمة الإخبارية، أظهر ارتباط منزلة الدولة بالتحليلات الموضوعية أنه كلما يزداد تقديم دولة ما في الأنباء الألمانية، يزداد توازن المواضيع المأخوذ من المعلق، وتزداد فرص في الهروب من التركيز الشديد على القضايا السياسية. فلو ربطنا تلك النتائج بالتحليلات من السلبية، نجد أن هناك ثلاثة أنواع من البلدان بشكل أساسي في جغرافيا الأخبار الألمانية، لكن هناك مناطق مبهمة كالمين الذي نادرا ما يظهر منه شيء، في الصحف ووسائل الإعلام. ثم هناك الدول التي يتم تغطيتها في العناكب بسبب العنف السياسي، وأيضا بسبب الأحداث السياسية غير الاستثنائية مثل الانتخبات وفضايا الخلافه في الحكم. وأخيرا هناك الدول التي تقتصر صورتها إلى حد كبير على الصراعات العنيفة، مثل لبنان والعراق وإيران وسوريا وأفغانستان والسودان. وهكذا فإن ما يبدو أحيانا وكأنه مصفوفة من القوابل التغطية - التقارير الألمانية عن الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا - هو في الحقيقة جغرافيا إخبارية مركبة (معمدة). تتألف من مجالات متعددة التقارير والمعرفة المكثفة، كما تتألف بشكل أو بآخر من أنماط متباينة ومعدلة ومتوازنة مع مفهوم التطور السياسي.

النتائج النوعية، الصياغة

والخطاب وطرق السرد

إن ما يتعين علينا أن نستكشفه الآن هو الجانب النوعي، أي الكيفية التي تنقل بها الأخبار. ونوم الصياغة وطرق السرد المستخدمة. ويحت أن هذا المجال هو من الحالات الضخمة، وحيث إنه يتجاوز تحليل المحتوى الكمي، لذا من الصعب تقديم إجابات نموذجية وأولية في هذا المجال. لكن بدلا من ذلك، أو أن نعمل على توضيح عدد قليل من الدراسات التي تظهر كيفية تفسير عمليات التفاعل بين طرق السرد الإعلامي، والنظام الإعلامي، والأساطير القومية لوسائل الإعلام. ومبارة أخرى كيف يمكن للعقد السياسية والاقتصادية، وللقطاعات المختلفة من الجماهير عامة الشعب أن تتعارض مع التصور الإعلامي للإسلام والشرق الأوسط وشمال إفريقيا؟ سوف أركز على حالات



كيف يمكن للعقدة السياسية والاقتصادية وللقطاعات من الجماهير والشعب أن تتعارض مع التصور الإعلامي للإسلام والشرق الأوسط



كتاب الزاوية



الحلاج

٨٥٨ - ٩٢٢ م / ٢٤٤ - ٣٠٩ هـ

هو الحسين بن منصور بن محمى الملقب بالحلاج. وهو أحد مشاهير الصوفية الكبار، اهتم بالزهد. من أتباع المذهب السني الذي انتصر في بغداد بعد أن سحق المعتزلة. ويعتبر من أكثر الرجال الذين اختلف في أمرهم، فجماهير علماء السنة اجمعوا على تكفيره وتبديده ورميه بالسحر والشعوذة ونسبه إلى مذهب القرامطة، وهناك من وافقوه وفسروا مفاهيمه.

كان محمى جد الحلاج مجوسياً من أهل فارس ثم دخل الإسلام. وقد نشأ الحسين بواسط ثم دخل بغداد وتردد إلى مكة واعتكف بالحرم فترة طويلة وأظهر للناس تجلداً وتصبراً على مكاره النفوس من الجوع والتعرض للشمس والبرد على عادة متصوفة الهند، وكان قد دخلها وتعلم بها فنون السحر، ويرى البعض أن الحلاج تحت تأثير ثقافة الهند دخل الإسلام بالتصوف ومفاهيم الحلول والاتحاد الذي وصل إلى مراحل متقدمة في الفلسفة الهندية.

ويمتد أن الحلاج كان قد طور النظرة إلى التصرف، فجعله جهاداً ضد الظلم والظفان في النفس والمجتمع ونظراً لما لتلك الدعوة من تأثير على السلطة السياسية الحاكمة في حينه، فقد كان أن أعجزها مما أدى في النهاية إلى التخلص منه، وتقول الروايات إنه عندما دأبت شهرته وأخباره، وصلت لوزير المقتدر بالله الخليفة العباسي أخبار ادعائه النبوة فقبض عليه ووضعه في السجن فترة ثم صلبه حياً صلب تشهير، ثم أعيد للسجن. وعندما تم القبض على عدد من أتباعه اعترفوا عليه بأنه يدعى الربوبية، فلما واجهوه بالثبوت أنكر وجعل لا يزيد على الشهادتين والتوحيد، فمقدوا له مجلساً مع الفقهاء فأفتوا بكفره وضلاله ووجب قتله، فأصدر الخليفة المقتدر بالله أمراً بضربه ألف سوط ثم قطع يديه ورجليه ثم صلبه على جسر بغداد.

قد أثبتت وسائل الإعلام الألمانية قدرتها الفائقة على دعم التصورات المتخلفة للصرعات الشرق أوسطية

تخضع وسائل الإعلام لرقابة مشددة من الجيش، يمكن تفصيل القيمة الإنسانية الأساسية للمجتمع من خلال تسليط الضوء على الناس الإنسانية (لاحظ الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧، التي أدت إلى تحسن الحوار الدولية تجاه الشعب الفلسطيني).

رباعاً: في الصراعات طويلة الأمد، مثل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، تبرز الثقافات السياسية الحربية ببعض التغييرات التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيرات في التقارير الإعلامية الأجنبية - فتغطية الصراعات طويلة على سبيل المثال، طفت على ذكرى الهولوكوست وانفصلت تلك القضايا في بعضها البعض، ولكن ببطء شديد.

الواقعة

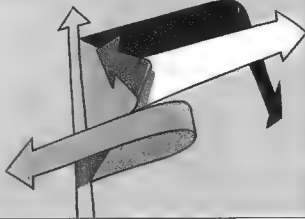
على العموم، وفي ظل ظروف معينة، يمكن لتقارير الأجنبية الألمانية عن الشرق الأوسط أن تعزز الحجج والانتقادات القومية التي تسخر من الحديث عن المولة والتبادل العالمي في النظام الإعلامي. إلا أن التغطيات في أوقات أخرى، كانت شديدة التشوش - تنوع التغطيات الإعلامية للشرق الأوسط التي ربما لم يخطر ببال إدوارد سعيد وغيره من النقاد على قسط واف منها، وفي حين أن العديد من البيانات التكمية - مثل تركيز الصحف القومية الألمانية على قضايا العنف المرتبطة بالإسلام - تبدو وكأنها تدعم حجة إدوارد سعيد من الرؤية السلبية للمستشرق النمساوي إزاء الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، إلا أنه ينبغي علينا أن نتعرف بأن الانتقائية في الأخبار ليست نمطية بشكل كامل. فالتركيز الدائم لوسائل الإعلام على قضايا مثل الإرهاب يدل على أن القضية تحدث من جانب الجمهور وليس المقصود منها تشويه سمعة (الأخرى) على اعتبار أنه أقل شأناً أو شريراً. فضلاً عن ذلك، إن إمعان النظر في تعقيدات وتغييرات الخطاب وطرق السرد ذات الصلة يدل على أنه يجب علينا أن نحرس على عدم المبالغة في التغطيات الإعلامية المتجانسة في أوروبا الغربية. إن ما نحتاج إليه هو تحليلات فنية مبسطة للتصورات الإعلامية، وطرق المرد، والتأمل في الأسباب والنتائج المتعددة الآراء الغربية عن الشرق الأوسط وبقية العالم الإسلامي. ■

وبينما تحظى وسائل الإعلام بالحقم الداتي، والقدرة على المناورة والتنوع على فترات منتظمة من جانب الجمهور والسياسيين ولعبهما ضد بعضهما البعض، ولكن هذا النظام ينهار في وقت الحرب لأن كلا الطرفين يميلان على دفع وسائل الإعلام العامة في نفس الاتجاه الذي يجعل منهم مقاتلين شركاء لحكوماتهم.

موقف بريطانيا عام ٢٠٠٣، كان محيراً إلى حد ما، ولكن يمكن للمرء أن يقول إن التغطيات الإعلامية البريطانية أظهرت علامات بطرئة وتدرجية تدل على الأوربة. وبعبارة أخرى، نتيجة عملية الاندماج في الاتحاد الأوربي، قد يفقد النظام القومى لوسائل الإعلام سيطرته ويفتح على التأثيرات العارمة لمحدود من الدول الأوروبية الأخرى بالرغم من التشكيك في ضرورة الاتحاد الأوروبي داخل حدود الدولة البريطانية، ولكن على أية حال كل هذا مجرد تكهنات وليس لدينا أية أدلة تحريرية لتعززها.

ويضخ الخطر عن حالات الحرب استطاعت وسائل الإعلام الألمانية أن تبقى على مسافة محصورة. ففي حين الدائم تعد فيه التقارير الإعلامية أثناء الأزمات مشكلة حقيقية، نجد أن تقارير الصراع الغربي على وجه العموم أفضل بكثير. ويستضح هذا في تغطية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وتبين هذه التغطيات أن إذا كان بلد مثل ألمانيا ليس عليه أن يلق صول رأيتة، وإذا كان الصراع ذو طبيعة طويلة الأمد على هذا النحو، كما هو الحال في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، فقد أثبتت وسائل الإعلام الألمانية قدرتها الفائقة على دعم التصورات المتخلفة للصرعات الشرق أوسطية.

أولاً: يمكن لجامعات الضغط، والجماعات ذات الاهتمام المشترك، أن يكون لها تأثير لفترة وجيزة، ولكنها ليست سوى أحد العوامل التي تؤثر في النظام الإعلامي ولا تستطيع على وسائل الإعلام. ثانياً: في أوقات تصعيد الصراع، نجد أن الانتقادات السياسية بين حزب اليسار وحزب اليمين تجسم الجبال للمرتد من المناهج المتنوعة داخل وسائل الإعلام. (فمثلاً مسألة انضمام تركيا للاتحاد الأوروبي راسخة بشكل ثابت في مثل هذه التوجهات الحزبية التي يتردد صداها في وسائل الإعلام الألمانية). ثالثاً: بغض النظر عن أوقات الحرب المكثفة، حيث



على مفتراق مفتراق

مصطفى البرغوثي

إسراييل شنت ثلاث حروب كبرى وانزلت إلى ارتكاب جرائم حرب واحدة تلو الأخرى، خلال مسيرة مفاوضات السلام. ومن منطلقها فإن إسرائيل لم تخض المفاوضات لإيجاد حل وسط للصراع بل للانصاف فيه. وارتبطت كل مرحلة منها - بتحقيق إنجازات معينة، منها :- (أ) تفكيك الصف العربي وأحداث اختراق استراتيجي في وحدته خلال اتفاق كامب ديفيد (الأول)، وكان الهدف المركزي إبعاد مصر عن المحيط العربي وإبعاده عنها باعتبارها - تاريخياً - الركيزة الكبرى لأي صراع ضد المستعمرين والعثنين في المنطقة. (ب) محاولة احتواء حركة التحرير الوطني الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية بما تشلله من خلال تحويلها إلى مجرد سلطة (اتفاق أوسلو).

أن محاولة الهروب من الصراع لا تلقى وجود الصراع

ما هي الخيارات والبدائل المطروحة، أو المتبقية أمام الشعب الفلسطيني وقواه ومؤسساته؟ هذا هو سؤال اللحظة الذي على ما يبدو يشغل الكثيرين. البعض بدوافع تشويق البحث الأكاديمي، وبعض الأطراف الخارجية من منطلق محاولة كسر ما يبدو لهم عتاداً غير مبرر لفلسطينيين مصممين على مقارعة لاعقلانية لتوازن قوى مختل بصورة لا ينفع معها العناد، وللبعض الآخر من منطلق البحث الصادق عن مخرج لازمة ومعالجة تبدو بلا نهاية.

أما بالنسبة للشعب الفلسطيني نفسه المكتوى على جلده وفي أعماق نفسه بنار القمع والاضطهاد والتمييز العنصري وعناصر الإحباط والألم، فإنه السؤال البسيط، «أن نكون أو لا نكون، ولا شيء آخر».

وقبل أن نخوض في الخيارات، لا بد من إيضاح بعض الأساسيات في مجالين:-

أولاً : إن المعضلة الأساسية في معالجة القضية الفلسطينية بالنسبة للقائدات الرسمية منذ وقع اتفاق أوسلو حتى اليوم تمثلت في صعوبة إدراك الحقيقة البسيطة بأن محاولة الهروب من الصراع لا تُلغى وجود الصراع، وما بدأ منطقياً في بداية ما سمي

«بمعمية السلام»، أي في مؤتمر مدريد ومفاوضات واشنطن التي تبعته. باعتبار المفاوضات عملاً أساسياً وجزءاً من إدارة الصراع، تحول للأسف منذ وقع اتفاق أوسلو عام ١٩٩٣ إلى معنى مفهوم غير منطقي، غير علمي، وغير مجد، ومتعارض مع المصلحة الوطنية، بأن «المفاوضات هي بديل للصراع وإدارته».

ثانياً : إن المفاوضات والمعمية السياسية أدبرت من الجانبين العربي - الفلسطيني والإسرائيلي من منطقتين مختلفتين.

فمن الجانب الفلسطيني والعربي، كانت المفاوضات سعياً وراء حل الصراع في ظل اختلال فلاح في ميزان القوى، تحول مع تراكم الفشل، وتسرب الرمن إلى هروب للامام ثم استسلام للقدر والاستعاضة عن إدارة الصراع بالتوكل على الآخرين، وآخر المتوكل عليهم أوياما دون التقليل من معزى التحول الإيجابي الذي حملته خطابه الأخير.

أما من الجانب الإسرائيلي، فالمفاوضات كانت دوماً جزءاً من، وعنصرها، هي، نهج شامل لإدارة الصراع بالسلاح وبالكلام، بالحصار وبالإعلام وهل من دليل أبلى على ذلك من أن

(ت) أحداث وتشجيع انقسام داخلي فلسطيني مريع في البداية بين الداخل والخارج، ثم بين حماس وفتح وأحيراً بين الضفة والقطاع.

(ث) محاولة تعميق الانقسام العربي بين معسكر ما سمي بالممانعة والاعتدال بتكريس نهجين مختلفين - متعارضين وأحياناً متضادين - في مواجهة نهج إسرائيلي موحد يستهدف الجميع ويحاول تحقيق إضعاف استراتيجي للمعسكرين، ولولا ذلك لما تجرأت إسرائيل على شن حربها الهمجية على قطاع غزة، ولما تجرأت على الاستمرار في حصارها - الذي عادل عملاً من أعمال الحرب على مليون ونصف مليون فلسطيني، محرومين من أسسط مقومات الحياة الإنسانية

وعند اختيار البدائل والخيارات، في إدارة أي صراع علينا أن نحدد ما نريده الطرف الأخرى إسرائيل، وأن نطرح الأسئلة الأساسية :-

- ما هي دوايانا وأهدافنا الحقيقية؟
- هل لديها استعداد لحل وسط؟
- ما مدى قوتها، وما هي نقاط ضعفها؟

إن أي تحليل موضوعي لمواقف الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة لا يمكن أن يشير إلى أن إسرائيل لا تريد حلاً وسطاً، ولا تريد حلاً شاملاً، بل تريد فرض الاستسلام الاستراتيجي على الجانب الآخر.

فهناك فرق في ذلك، بين الحكومات المختلفة، أو بين باراك - ليفني، وأورثا أو نتنياهو.

فإنك مؤسسة صهيونية واحدة لها أهداف متدرجة، وتوزيع أدوات دقيق، وهي تتصرف بذكاء استراتيجي وطول نفس غير معهود وضمن خطة استراتيجيية لم تتغير أسسها منذ عام ١٩٤٨، ولا عناصرها القليلة منذ عام ١٩٦٧.

لقد كان خيارها الأساسي التخلص من كل أو معظم الشعب الفلسطيني بالتطهير العرقي والحروب ومن ثم الصفط الاقتصادي/ الاجتماعي، ثم لما فشل ذلك عام ١٩٦٧ بصمود الشعب الفلسطيني رغم فداحة الهزيمة ونشأ واقع ديغرافي خطير، جرى تعميل الخطة وابتكار فكرة «حكم ذاتي للفلسطينيين تحت الاحتلال، وإتيح لإسرائيل السيطرة على الأرض والموارد، ويبقى السكان في إطار معازل وبانوستانات كوجود بشري مؤقت محروم من السيادة، وكان ذلك ضمن خطة الدون

فلسطين.. خيار.. أم خيارات!!!!

التي استمر تنميتها بمنهجية منذ عام ١٩٦٧، وركزتها كان التوسع الاستيطاني أولاً حول القدس ومنطقة الأغوار، ثم في أعماق الصمة العربية في الشمال والجنوب.

وتطهر الخرائط المرفقة كيف كان التوسع الاستيطاني ومن ثم بناء الحواجز، وخرائط اتفاق أوصلو (مناطق أ، ب، ج) وبعد ذلك مسار جدار الفصل العنصري بمثابة تصيد تدريجي لخطبة الأمن التي لم تتوقف أبداً.

هناك حكومات إسرائيلية أصرت على تسمية الكيان الفلسطيني حكماً ذاتياً، وأخرى كالت مستعدة لتسمية الحكم الذاتي دولة أو دولة مؤقتة، لكن هذا الاختلاف لم يتعد كونه اختلافاً على التسمية فقط، فالخاضعون بقى واحداً، دولة أو سلطة أو حكم ذاتي بدوى سيادة ودون سيطرة على القدس أو الحدود الأغوار أو الأجواء أو الموارد الطبيعية وتبقى فيه سلطة الأمن العليا بيد إسرائيل.

التطور الجديد، إن المؤسسة الصهيونية الجامعة تعتقد اليوم بحكم تحكمها الاستراتيجي غير المسبوق «أنها دخلت في مرحلة تصفية عناصر القضية الفلسطينية».

ولم يكن انتخاب حكومة نتنياهو
ليبرمان مصادفة، بل كان ناجما عن قناعة
بأن إسرائيل وصلت تلك المرحلة،
وكنيجة العطف المجتمعي الإسرائيلي
بصورة يهودية مسيحية نحو التطرف
والعصية، فأختمت تماما حركة السلام
بإستثناء حركات نضال عاصية بقيت
صغيرة رغم ثورتها، وأصبحت
الاستطلاعات تشير إلى أن ٨١٪ من
الإسرائيليين يرفضون مبدأ التفاوض
على القدس، ٨١٪ يرفضون تفكيك
المستوطنات، ٦٩٪ يرفضون حتى تجميد
توسيع المستوطنات القائمة، ووصل الأمر
بمداء بدعم ٩١٪ من اليهود الإسرائيليين
للحرب على غزة مع معارضة لم تتجاوز
٢٠ فقط.

وتتطور إجماع آخر على رفض الانسحاب من الجولان. ولم يقتصر إعلان «ولا لاجئ واحد» سيسمح له بالعودة على نتائجه، بل أصبحت هذه علامة تسيبى ليمنى (المعتدلة!!!!) الميرة.

ولذلك لم تظهر هي إسرائيل حتى الآن حكومة واحدة توقف الاستيطان الذي لم يتوقف للحظة منذ عام ١٩٦٧، بل تصاعد بشكل جنوني بعد اتفاقات السلام مع العرب والفلسطينيين، حيث

تأسيس معطيات حركة السلام الآن
الإسرائيلية إلى ٥٩ ٪ من المستوطنين
في الضفة الغربية، قد استوفوا فيها
بعد توقيع اتفاق أوسلو ١٩٩٣.

والآن بعد انقضاء نتائجه على الفكره
تقديمه - الحقيقة بقرصم الدوله
للمستوطنين إلى حكم ذاتي هزيل
يسطر عليه، يقوم روبرت وكيل المراسل
لاحتلال واستبدال الاستقلال المماس
خديعة التحول الاقتصادي في عوده غير
محدوده لخطاط - شاون - مناحيم
ميسلوسون (١٩٨١ - ١٩٨٨) متحسين
مواقف المعيشه تحت الاحتلال، والذي
هو عامل في إنشاء روابط طوريه ثم
لدى الإدارة الدولية.

لقد مثل خطاب نتنياهو رداً على خطاب أوباما، وشكل التأكيد القاطع والحاسم على مواقف المؤسسة الحاكمة في إسرائيل، خصوصاً أنه استقبل بالترحاب - رغم عنصريته المطلقة من قبل كافة الأحزاب الإسرائيلية من ساراهما إلى يمينها.

وأظهر ذلك الخطاب أولاً عدم وجود شريك للسلام في إسرائيل، وأن قيادتها عاجزة عن صنع السلام.

وثانياً دخل نتنياهو التاريخ باعتباره رئيس وزراء إسرائيل الذي أعلن تكريس إسرائيل كدولة تمييز عنصري رسمياً، يؤكد أن منظومة الأبارتاهيد، لا تشمل فقط الفلسطينيين الضفة والقطاع بل الفلسطينيين الحاملين للجنسية الإسرائيلية (٢٠٪ من السكان) ممن ضُموا داخل أراضى ١٩٤٨.

ونالاً كان خطاب ننتياهو برنامجاً للحرب على السلام الحقيقي والعدل، فقد تلاعب بالأوضاع في محاولة لتجنب الضغوط الأمريكية والاستياء الدولي مير أن الحقيقة ظهرت على اوضح ما يكون.

وفي خطابه الذي يجب اعتباره

برنامجاً رسمياً للمؤسسة الإسرائيلية
الحاكمة، عند تنفيذها ستة مساهم
رئيسية :-

(أ) أن الأولويات بالنسبة لإسرائيل،
إيران أولاً والاقتصاد ثانياً وبعد ذلك تأتي
مسألة السلام ثالثاً.

(ب) الهدف هو السلام الإقليمي أي التطبيع مع الدول العربية دون إنهاء الاحتلال، أو حل القضية الفلسطينية، ولذلك لم يذكر ثنائيا هو مرة واحدة المادة العربية.

(ت) السلام الاقتصادي كبدیل
للسلام السياسي، أي تحسين ظروف
العيشة تحت الاحتلال بدل إنهاء
الاحتلال.

(ث) الأمن قبل السلام - لوضع السلطة الفلسطينية أمام مهمة لن تنجز أبداً لأنها موضوعياً مستحيلة الإنجاز. (ج) تكرار أكثوية الانسحاب من غزة، لتحرير عدم الانسحاب من الضفة، مع أن غزة ما زالت تحت الاحتلال براً وبحراً وجواً.

(ح) اما المفهوم الأخطر - فقد كان إلغاء الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، بتزوير التاريخ والجغرافيا والقوائم.

نتنياهو هو قال بكل الوضوح - كل فلسطينيين ارض يهودية بما في ذلك الضفة الغربية والقدس، وارض لليهود فقط من الناحية التاريخية، وإسرائيل تنصديق على الفلسطينيين منحهم جيتو، او «جيتوات» تحت السيطرة الاسرائيلية.

وهي هذه النقطة تحديداً أصعب
تتفاوض علناً ومباشرة بكل قواعد القانون
الدولي والقرارات الدولية من قرار
التقسيم عام ١٩٤٧ ومروراً بقرارات ٢٤٢،
٣٣٨ وحتى قرار محكمة العدل العليا في
الاماي.

ومع ذلك فمن المؤسف أننا لم نسمع

إدانة لذلك من المجتمع الدولي ولا تصدياً حازماً على مستوى المنطقة لهذا الموهوم القاتل لكل إمكانية للتفاهم أو السلام.

وبعد ذلك قلب نتنياهو الأمر ليهرب من الاعتراف بدولة فلسطينية من خلال مطالبة الفلسطينيين والعرب الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية والتخلي الكامل عن حق العودة وبذلك وضع ثلاثة شروط تعجيزية أمام الفلسطينيين:

(١) الاعتراف بنظام التمييز العنصري الإسرائيلي والقبول به وبمصادرة حقوق ٧٠٪ من سكان أراضي ١٩٤٨ من الفلسطينيين.

(٢) القبول بتصفية الحقوق التاريخية والشرعية لأكثر من خمسة ملايين لاجئ فلسطيني.

(٣) الاعتراف بأن الضفة الغربية أيضاً أرض يهودية وما سيمتلكه الفلسطينيون فيها لن يتعدى حقاً بالإقامة والمعيشة دون أن يصل أبداً إلى مستوى حق بالسيادة.

لقد استعرب الكثيرون وصف خطاب النشطاء الإيجاسيين من قبل بعض الحكومات لأنه ذكر مجرد كلمة دولة، وهنا تكمن مغايرته الأولى أن الذين ينادون إيجابية، كانوا يقارنون نشأتها بنشأتها ولم يقارنوا مواقفهم بمواقف الحكومات السابقة كما يفعلوا هم أن يفعلوا مع الفلسطينيين - إن ذلك التجسلي ازدواجية الحايير، الموهودة عند التعامل مع الفلسطينيين من قبل دوائر عديدة في العالم.

غير أن الأمر الأهم يبقى ما هو مفهوم الدولة الذي طرحه نيتياهو.

لقد قال ، دولة منزوعة السلاح بدون سيطرة على الحدود والمخابر والمصادر الطبيعية وبدون سيطرة على الأجواء، وبدون سيطرة على المستوطنات التي ستواصل التوسيع، وبدون وجود هي

القدس التي ستبقى عاصمة يهودية
موحدة لإسرائيل، على أن تبقى السيطرة
على الأمن بيد إسرائيل، وأن تكون
السلطة وكبلاً أمنياً لها.

محرز وليس دولة هو أسوأ حتى من مفهوم البانتوستان، وبالتالي هو يكرس نظام الأبارتهيد - التمييز العنصري. فما هو الإيجابي في ذلك؟

تبقى قضية المفاوضات التي يقول إن حكومة إسرائيل تريد استثنائها بدون شروط مسبقة، غير أن نتنياهو يحدد نتائجها النهائية قبل أن تبدأ.

فالقلمس - تبقى يهودية موحدة مع



إيريك أوباما وإشغاله وتحديده أيدية عناصر تعارض مع المخطط الإسرائيلي الاستراتيجي الذي وصمناه. وقد بدأت ملامح الأصبغ الإسرائيلية في مواجهة التغيير النسبي الذي حملته إدارة أوباما تنتزع من خلال أخفاخ أربعة تحاول المؤسسة الصهيونية نصبها له وللمجتمع الدولي وللפלستينيين.

أولاً : الخلف بين المستوطنات وعددها ١٦٦ وكلها غير هانوية وغير شرعية في العرف الدولي وتضم حوالي نصف مليون مستوطن (١٧٩,٠٠٠)، وبين نصف مليون النطاق الاستيطانية وعددها ١٠٦ (ومعظمها ملتصقة بمستوطنات قائمة أو تشكل امتداداً لها) وسجمع من يقيمون فيها لا يتجاوز ٤٠٠٠ مستوطن. وما يستحوط حكومة إسرائيل عمله إغفال العالم بالنقاط الاستيطانية لجلب الانتباه من المائة وستة وعشرين مستوطنة، وسيدوان لعبة إغلاء بعض النقاط الاستيطانية (٧ بالنسبة لتتجاو ٢٢ حسب باراك)، ولا يتجاوز عدد الذين سيتم إخلاؤهم بضع عشرات، وسيعود بعضهم مجدداً بعد الإخلاء، بهدف إعطاء شرعية لنصف مليون مستوطن الآخرين.

ثانياً : الحديث عن النمو الطبيعي للمستوطنات لتتخلص من مطلب لتحديد الاستيطان، وكان النمو الطبيعي ليسمح غير شرعي بجملة شرعية، في حين تتنكر إسرائيل لجملة المقدسيين والقاطنين في معظم مناطق الضفة الغربية (المسماة مناطق C) في الحصول على رخص للبناء، ولتهدد ٦٠,٠٠٠ مواطن في القدس بيهدم منازلهم بهذه الحجة. ثالثاً : العودة إلى فيغ الذات ذات الحدود الموقّعة - وهذا ما يروج له اليوم أكثر قادة إسرائيل خبثاً شمعون بيريس، والهدف الحصول على أوسلو جديد لهجة زمنية جديدة لتوسيع الاستيطان وفرض الأمر الواقع.

رابعاً : الضغط على الدول العربية للقيام بإجراءات وخطوات تطبيع مع إسرائيل، دون وقبل أن تنتهي إسرائيل استيطانها واحتلالها ونظامها للفصل العنصري.

الخيار قبل الدائل

بعد كل ذلك فإننا كفلسطينيين نواجه واحداً من خيارين لا ثالث لهما.

حازماً وحاسماً وغير مسبق صد التوسع الاستيطاني وضد الاستيطان، ولقد بدأ لأول مرة في تاريخ الرؤساء الأمريكيين خطباً بلاحتظ الوجه الإنساني للشعب الفلسطيني. وأقدم على مقارنة جريئة وغير مسبوقة بين معاناة الفلسطينيين وتلك التي عانى منها أسلافه من الأمريكيين الأفارقة في ظل نظام التمييز العنصري أو معاناة أهل جنوب إفريقيا والهند في معيهم للحرية والاستقلال والمساواة مشدداً على ما يسببه الاحتلال من مهانة وظلم.

وإذا أعاد التأكيد على هدف الدولة المستقلة فإنه عاد إلى جذور القضية الفلسطينية، أي إلى عام ١٩٤٨ وقضية اللاجئين ولم يحصر الأمر باحتلال عام ١٩٦٧، وأشار إلى القدس كمكان مشترك لا يستطيع الإسرائيليون احتكاره. وإذا كان الموقف الأمريكي من الاستيطان وضروته وقفه قوفاً - مثل الموقف الرسمي الفلسطيني - قد تأخر ستة عشر عاماً، فلا بد من استذكّار أن إسرائيل لتسجّم الآن كل طاقاتها، وكل أجيالها، كل محترفي التسهيل السياسي لديها وفي مقدمتهم بالطبع شمعون بيريس، لكي تنفذ مرة أخرى الضغط والعوامل الإيجابية - كما فعلت خلال عملية أباتوليس التي شخضت بعد عام ونصف عن صغر سياسي كبير للفلسطينيين واستيطان كبير وغير مسبق للإسرائيليين.

ومن هنا فإن الوقوع مجدداً في فيغ خريطة الطريق التي يرفضها نتنياهو بالناصفة، ومفاوضات جديدة دون أسس واضحة، بدون إنهاء شامل لكل نشاط استيطاني وتهدد إسرائيل قاطع بالالتزام بالقانون الدولي وإنهاء الاحتلال لتجميع الأراضي المحتلة والاستمرار بحقوق اللاجئين الفلسطينيين، سيخدم هدف إسرائيل في كسب الوقت واستنزاف الضغوط.

أول خلق ظروف اقتصادية هجرة قسم كبير منهم، أو إلحاقهم وإلقاء عيهم مرة أخرى الأرض على الأردن لاحقاً. * أما الهدف المركزي الثاني: فهو تحقيق الهيمنة الإقليمية على المنطقة التي يدور فيها صراع بين ٣ قوى إقليمية - تركيا - إسرائيل - إيران. ويحاول الكثيرون دمج العرب حتى من مجرد أن يكونوا قوة إقليمية رابعة في هذا الصراع، وهدف إسرائيل الهيمنة عسكرياً واقتصادياً على المحيط العربي، ولذلك يريدون تشويه المبادرة العربية بطرح التطبيع قبل العرب، على طريق الوصول إلى تطبيع بدون حل.

وتستهدف إسرائيل الدول العربية دون استثناء، فالأردن يتبع في دائرة الأطماع المباشرة - أطماع التوسع الجغرافي الإسرائيلي وأطماع تحويله إلى وطن بديل للفلسطينيين، ومصر معرضة لحوالات التهميش ومنعها من لعب الدور الاستراتيجي المقرر لها، ودول الخليج معرضة للوقوع بين فكي كاشاة صراع إقليمي شرس.

على عدم عقود، كان نضال وصمود الشعب الفلسطيني وعنده في الطاع عن حقوقه العقبة الكأداء التي لا تنتهي تحت الضغط الإسرائيلي، وعلى مدار عقود بدأت تتعاظم تحولات على الصعيد الدولي انكشف خلالها تدريجياً الطابع العدواني العنصري لإسرائيل التي أصبحت نظام الأبارتهيد الأسوأ في التاريخ البشري.

ولولا هذا الصمود الفلسطيني لما شهدنا كل ذراء اليوم من معاكسة القدر لإسرائيل بعد انتخاب أوباما واضطر الإدارة الأمريكية لإحداث تعديلات في سياستها تجاه القضية الفلسطينية تجلت بوضع في خطاب أوباما الأخير، والذي وإن لم يغير موقع الانحياز الاستراتيجي لإسرائيل، وتجاهل وصف العنف الإسرائيلي، إلا أنه أخذ موقفاً

حق آداء الشاعر الدينية الذي يستثنى طبعاً معظم الفلسطينيين، اللاجئون يجب أن تحمل قضيتهم خارج فلسطين - أي تصفية حق العودة، أما الدولة هيبتو بلا سيدة.

ولماذا تبقى بعد ذلك للتفاوض سوى تنسيق العمل بين الأجهزة الأمنية وتحديد آليات العمل الاقتصادي في ظل نظام الأبارتهيد العنصري. وإذا كان نتيانها قد اضطر لنطق كلمة دولة، فالفضل في ذلك يعود لصمود الفلسطينيين وتضحياتهم، ولكنه عندما عمل ذلك لم يغير شيئاً سوى أنه أصبح في نفس مدرسة ليفني وباراك، انطلقوا كلمة دولة ولكن ابتوها مجرد حكم ذاتي هزيل.

وفي الخلاصة فإن كل ذلك يظهر خطورة اللعب في ملعب الإسرائيليين وأن التفاوض معهم حسب قواعدهم لا يجلب إلا الدمار.

في الماضي لم يمثل الاتفاق أوسلو بالنسبة للمخطط الإسرائيلي سوى وسيلة لتفريغ وإخلاء الضغط الإيجابي الذي خلقتة الانتفاضة الشعبية الأولى بكل قضياتها، ولكتسب الوقت من أجل توسيع الاستيطان وتوجيه ضربات لحركة التحرير الوطني الفلسطينية واعتماد نهج التحزلة والتأجيل.

والمفاوضات في هذه الحالة، وكما كان الحال طوال ستة عشر عاماً منذ وقع اتفاق أوسلو لن تكون سوى غطاء لسياسة الأمر الواقع الإسرائيلية ولعملية التوسع الاستيطاني.

والتي جانب تصفية وتشويه فكرة الاستقلال الأبواب والسولة الفلسطينية، وإغلاق الباب أمام مجرد التفاوض على قضايا الحل النهائي، تسعى إسرائيل إلى تحقيق هدفين مركزيين -

١- معالجة المعضلة الديمغرافية الفلسطينية - والمتعلقة في أن عدد الفلسطينيين يساوي اليوم عدد اليهود على أرض فلسطين التاريخية، - من خلال أولاً : التخلص من قطاع غزة، بالفصل التام عن الضفة الغربية، والاستفادة طبعاً من الانقسام الداخلي الفلسطيني، وبذلك فإن إسرائيل لا تترك ١,٢ فقط من مساحة فلسطين التاريخية، إذإنها تتخلص من ١/٣ المعضلة الديمغرافية. (حوالي ٧٠٪ من السكان الفلسطينيين). وثانياً : بتحويل التجمعات السكانية الفلسطينية في الضفة إلى معازل وبلدات ومخيمات (أو جيوتات) صغيرة على



إسرائيل لم تخض المفاوضات لإيجاد حل وسط للصراع بل للاتصاف فيه





وعلى سبيل المثال فإن إصدار قانون الصندوق الوطني للتعليم العالي وتطبيقه فوراً يمثل نموذجاً لتلبية احتياجات مئات الآلاف، وإطلاق الية لرفع مستوى التعليم الجامعي وتطويره، وكذلك وسيلة لديمومة تأثير المساعدات المستمرة وتقليل الاعتماد على الدعم الخارجي.

إن هذا الصندوق مثلاً من شأنه رفع عبء الأقسام الدراسية عن ما يزيد عن مائة وخمسين ألف عائلة، وإنهاء كل شكل للمحسوبية والواسطة في التعامل مع العثبات الرسمية والقروض، وإتاحة فرص متكافئة للتطور العلمي والتعليم لكل الشباب والشابات بغض النظر عن فقرهم وغناهم.

هذا مجرد مثل من أمثلة عديدة في حقول التعليم والصحة والزراعة والثقافة لبرامج ومشروعات يمكن أن تعزز الصمود الديموقراطي الفلسطيني وتحوله إلى قوة نوعية قادرة، متعلمة وعصرية.

(٣) الوحدة الوطنية وبناء قيادة وطنية موحدة للشعب الفلسطيني بما يشمل ذلك من إعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية على أسس ديموقراطية وتفعيل ما أقر عليه سابقاً ولاحقاً في حوارات القاهرة.

لقد كان محور الهجوم الإسرائيلي خلال السنوات الماضية التركيز على الانقسام السياسي الداخلي والتشديد على ضعف القيادة الفلسطينية غير الموحدة.

إن تحقيق هذه الوحدة يتطلب أربعة أمور :-

(أ) التخلي عن عقلية وممارسة التكتل على سلطة ومهية ما زالت تحت الاحتلال سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة.

(ب) التخلي عن الوهم بأن أي قوة فلسطينية مهما عظم شأنها، قادرة على قيادة الساحة والنضال الفلسطيني منفردة.

(ت) اعتماد الديمقراطية الداخلية كنهج حياة وقيادة وممارسة والنحو السلمي والاحتكام السلمي للممارسة الديمقراطية كخيار وحيد لحسم الخلافات والاختلافات، والرفض الحازم لتلجج نقي الآخر، والقبول ببعدها التعددية السياسية.

(ث) صد الضغوط والتدخلات الخارجية في الشأن الداخلي الفلسطيني وفي القرار الفلسطيني وأولئك التدخلات الإسرائيلية، وترسيخ

الفصل العنصري والاستيطان وتبثل مقاومة تعالين التي قدمت خمسة شهداء حتى اليوم - ويلعبن في المعصرة وجورة الشمعة وقفيرين وعزرون العتمة وسوسيه - يطأ ويبت امرر والبلدة القديمة في الخليل وإرطاس والخضر وجيبوس وقفليلية وصفا نماذج رائدة لنضال لا بد أن يتسع ويتعاطف.

وتتمثل مقاومة سكان القدس وسلوان لإجرات التهودي وهم المنازل نموذجاً آخر.

وتنهض اليوم بجهد مثابر حركة مقاطعة البضائع الإسرائيلية وتشجيع المنتجات المحلية كنموذج واعد آخر، تلحج الاحتلال من مواصلة حلب أرياح تسويق منتجاته، ومشاركة ضعيفة في المقاومة لكل طفل وشيخ ورجل وامرأة، فيما يمكن أن يعيد خلق ثقافة وروح.

العمل الوطني الجماعي

وتبثل حملات كسر الحصار على قطاع غزة، وتسيير السفن والقوافل إليه والضغوط لإجبار إسرائيل على رفع حصارها نموذجاً آخر لهذه المقاومة.

(٧) دعم الصمود الوطني؛ ويركز هذا الجانب على تعزيز القوة

الديموقراطية للشعب الفلسطيني وتحصيل ملايين الفلسطينيين إلى قوة فاعلة، وتلبية احتياجاتهم وصمودهم على أراضهم وتنمية القوة البشرية الفلسطينية باعتبارها أساس اقتصاد فلسطيني قوي، مستقيل ومقاوم.

وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه بدون تغيير موازنة وخطة السلطة الفلسطينية الاقتصادية لتشكل مركز ثقلها إلى حقول التعليم والصحة والزراعة والثقافة بدل هدر ثلث الموازنة على الامن.

الإسرائيلية وهضحتها والمطالبة برفض عقوبات عليها.

ومن هنا فإن نظرية بناء مؤسسات دولة تحت الاحتلال، يطغى عليها الطابع الأمني ولتسلك أجهزتها الأمنية ٣٥ من الموازنة الخاصة، في ظل حديث نتنياهو عن التطور الاقتصادي كيبديل للحل السياسي يحمل أيضاً مخاطر التآكل مع الظروف، بدل العمل على تغييرها.

فهناك المؤسسات الفلسطينية والتطوير الاقتصادي يجد أن يتم في إطار فلسفة «التنمية المقاومة، ودعم الصمود الوطني في وجه إجراءات الاحتلال، وتخصيف الاعتمادية على التمويل الخارجي التي جعلت الضفة والقطاع تحتل المواقع الأولى المقلق في تبعيته واعتماده على المساعدات الأجنبية في العالم.

إن الهدف الاستراتيجي للنضال الفلسطيني يجب أن يكون.

«عمل لكلفة الاحتلال والابارتهايد الإسرائيلي متصاعدة إلى درجة لا يمكن احتمالها».

وإذا توافقنا على خيار إدارة الصراع، إلى استراتيجيته يجب أن تقوم رايانا في المبادرة الوطنية الفلسطينية على أربعة أعمدة:

(١) المقاومة، وهي حق للشعب الفلسطيني بكل أشكالها التي يقرها القانون الدولي، ويمثل النضال والمقاومة الشعبية الجماهيرية والتي تأخذ طابعاً سلمياً ولكنها تعيد ثقافة المقاومة المشاركة لدى مختلف فئات الشعب الفلسطيني ولا تجعل النضال محصوراً أو محتكراً من مجموعات صغيرة، نموذجاً صاعداً يتواصل اتساعه. ولدينا نمدج واضحة لهذه المقاومة، منها المقاومة الباسلة والمتواصلة ببطولة وعزم مشهود بهما لجدار

إما مواصلة الهروب من الصراع كما حاول المحص، أو قراراً وطنياً جماعياً بحوض الصراع.

وليس قرار حوض الصراع بالصورة دعوة لنش حرب عسكرية، ولا يخفى على أحد تشوق إسرائيل في هذا المجال بالهزيمة العسكرية التقليدية وغير التقليدية البووية، كما لا يحسن على أحد عدم وجود استعداد وهذرات لدى الدول المجاورة بأخذ هذا الحيار.

يجز أن عدم القدرة على شن حرب لا يعني الاستسلام للطرف الآخر والهروب من الصراع.

ورغم التوق العسكري الإسرائيلي للصمود فإن إسرائيل تعاني من نغفط صعب أو يطن رخو - في مجالين.

(١) محدودة قدرة القوة العسكرية الإسرائيلية على فرض حلول سياسية على شعب مصر على المقاومة والنضال. نجلى ذلك مرتين في حربين على لبنان، وتجلت مرة أخرى في العدوان على قطاع غزة.

(٢) نتيجة نجاح الفلسطينيين في الصمود ونتيجة العامل الديمغرافي في الصراع، تكومت إسرائيل كخطام تميزت وفصل عنصري - ابارتهايد معاد للسلام، إلى جانب ملامح أخرى كالتشهير العرقي الذي مورس عام ١٩٤٨، أو الاستعمار الإحالي، وتؤدي القوايين الأميرية المطروحة على التكتيت مثل قوايين الولاء ليهودية الدولة، ومنع الفلسطينيين من إحياء ذكرى النكبة إلى مزيد من الكشف الطابع العنصري الإسرائيلي.

والمرارة هنا، أن وصول إسرائيل بحطة الذروة في تجزئة الشعب الفلسطيني جغرافياً، بين حارح وداخل، وبين القدس والصمة، والضفة والقطاع، ثم بين كل محافظة وأخرى بالحواجز والطرق، قد تترافق مع إعادة توحيد معاتلة وتوحيد التحديبات التي يواجها فكل الفلسطينيين - سواء كانوا في الخارج أو الداخل وسواء حملوا هوية إسرائيلية أو كانوا من مواطني القدس أو الضفة أو القطاع. يعانون جميعاً من نفس منظومة التمييز والمصل

العنصري الإسرائيلي.

إن البديل الوحيد للهروب من الصراع هو حوصه من أجل حله، وهذا يعني الإقرار بأننا ما زلنا في حالة حركة تحرر وطني وأن العمل السياسي والدبلوماسي هو جزء من عملية إدارة الصراع وليس بديلاً له، بل يجب أن يكون وسيلة لتعزل ومحاصرة السياسة



هناك مؤسسة صهيونية

واحدة لها أهداف متدرجة، لم تتغير

أسسها منذ عام ١٩٤٨





يعيشون في الشتات يبدو استبدال شعار «حل على أساس دولتين، وشعار حل «الدولة الواحدة» علاجاً يقدم الخلاص، وهو علاج أفضل بدون شك، لكنه لا يقدم «الحل» إلا تبنّي الشعار لا معنى لإنجازه سيبيضي أمنية طيبة، أو وسيلة مشرفة للبعد، لعدم بدل الجهود التي تتطلبها مسؤوليات إدارة الصراع».

وليكن واضحاً هذا، أن تدعيم إسرائيل لخيار دولة فلسطينية مستقلة ولحل الدولتين - وهو ما تقوم به فعلياً الآن وبالملموس على مدار الساعة - لا يتركز الشعب الفلسطيني يدور خيارات بديلة كما يظن بعض قادة الحركة الصهيونية، فالدولة الديمقراطية الواحدة - وليس ثنائية القومية - التي يتساوى فيها الناس بغض النظر عن دياناتهم وأصولهم في الحقوق والواجبات هي خيار بديل قائم، لمحاولة جعل الفلسطينيين يقبلون العبودية للاحتلال ونظام الأبارتهايد في ظل حكم داني هزيل - أو حكم داني هيريل يسمى دولة أو دولة مؤقتة.

أمره أنه سواء كان الهدف دولة مستقلة حقيقية أو دولة واحدة، فإنه لا يمكن تحقيق أي من الهدفين أو التوازنين (الفرعيتين) كليهما بنفس القوة من قبل إسرائيل، إلا عبر إسقاط وإفحال وهرسة منطوقه الأبارتهايد، ولذلك تلزم استراتيجية، وبذل القسم الجديد ساسق لألانه في صفوف الفلسطينيين بين الضعافين، علينا أن نتوخد خلف الهدف المشترك لكليهما استراتيجية النضال ضد الاحتلال والأبارتهايد والتمييز العنصري.

وتملأ أن أوان الانتقال من عالم الضعاف إلى عالم الواقع التضامني الملموس، والمهمات الواحدة والخطط الاستراتيجية التي توضع موضع التنفيذ، وهذا يشمل المتظاهرين ضد الجدار مثلما يشمل المفصلين والقادة السياسيين، فإنه قد أن الألوان كذلك لإنهاء الطن بأن العمل الدبلوماسي وأروق المعاضات تقنن عن مهمات النضال الضلع.

أماناً طريق واحد، نهايته واحدة، حرية الشعب الفلسطيني، وليس هناك ما هو أنبل من السير عليه حتى نهايته وذلك ليس مشروعة سنوات بعيدة، إنه مشروع اليوم الملح والذي لا ينتظر ولذلك بحسن بنا ربما أن نعيد تبنى شعار مناضل ومناضلات جنوب إفريقيا، الحرية... والحرية في حياتنا، ١٧

وإلا أن أتوقع أن يوافق عليها الجميع، فمصالح البعض المزوجة بمشاعر الإحباط واليأس تجعلهم أبعد عن أن يريدوا خوض أو مواصلة المواجهة مع إسرائيل، وعليها الاعتراض بوجود فئات اجتماعية أصبحت اعتماديته على المشاريع والفرقيات الانتقالية وتبنيها تفتل إرادتها وتغيب إمكانية مشاركتها في النضال من أجل التغيير الحقيقي.

غير أن هذا الطرح - الاستراتيجية الشاملة - يستجيب بالتأكيد ويمثل مصالح الغالبية الساحقة من الشعب الفلسطيني بكل مكوناته، ويضمن مستقبله.

وإذا كان النضال الوطني الفلسطيني، ولا بد أن نسميه اليوم النضال الوطني - الاجتماعي - الفلسطيني بحكم تداخل المهمات الوطنية والاجتماعية (الحرر مع الديمقراطية والعدالة الاجتماعية)، قد مر برحلتين غلب في الأولى منها إدارة الصراع مع إهمال لدور الداخل، وتغلب في الثانية انتقال مركز الثقل للداخل مع إهمال للخارج، فإن التطور الثالث الذي ندخله اليوم يقضي الجمع الناتج بين الداخل والخارج بما يشمله ذلك من استنهاض لطاقات الجاليات الفلسطينية والمقيدين لها في الشتات والخارج.

وهي الختام، لا يمكن إنهاء هذه المعالجة للاستراتيجية الفلسطينية دون التطرق إلى موضوع دولة أو دولتان، ومن المصحح نظرياً وعملياً دون شك طرح هذا الموضوع، لسببين :

أولاً : محاولات إسرائيل لتبويه فكرة الدولة بتحويلها لحكم ذاتي - أو دولة مؤقتة - هزيلة دون سيادة. وثانياً : ما يراه العالم على أرض الواقع من تغييرات استيطانية تحول فكرة الدولة إلى حلم مستحيل النال. وبالتالي للبعد خصوصاً الذين

الدولية الأولى: تنظيمها بإحكام وفعالية والصياغة عالية وتناسق محكم، وثانياً: عقلانية ومنطقية وحضارية خطتها لتفويت الفرصة على الاستفزازات الإسرائيلية؛ وثالثاً: أن تستهدف «الشراخ والحركات التقدمية في المجتمعات المختلفة بما في ذلك اليهود المعادون للصهيونية والسياسات الإسرائيلية وتجنيدهم إلى جانبها.

وليس في كل ما قيل ابتكار جديد، غير أن ما قيل لم يطبق حتى الآن. ونقطة الانطلاق في تطبيقه يجب أن تكون في التركيز على أن قضية فلسطين، وإن كانت قضية فلسطينية

باطبيع وعربية وإسلامية كذلك، ولكنها قبل وبعد ذلك قضية إنسانية شاملة لكل من تعز عليه قيم الإنسانية والعدالة في العالم. هذا ما نجح في صنعه مناضلو جنوب إفريقيا والناهضون للحرب على فيتنام، والنازيون لاستقلال الهند، وهذا ما يجب أن نفعله نحن بحيث يكرس عنوان التضامن مع الشعب الفلسطيني باعتباره، نصلاً وموقفاً ضد الأبارتهايد الجديد والظلم العنصري، ونصلاً إلى جانب العدل والحق في الحرية.

ويشكل قرار محكمة لأهالي النولية ضد جدار الفصل العنصري والاستيطان وتغيير معالم القدس، سابقة قانونية مهمة جرى إهمالها على مدار ٤ سنوات من قبل المؤسسات الرسمية الفلسطينية، وهي يجب أن تشكل منطلقاً للمطالبة بفرض صفوق وعقوبات على إسرائيل كما كان القرار ضد احتلال ناميبيا ركيزة لاستنهاض حملة ضد نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا.

إن الاستراتيجية التي نطرحها، بعناصرها الأربعة والتي تبتناها حركة المبادرة الوطنية الفلسطينية، تحتاج مع الرؤية الواضحة إلى صبر ومثابرة وإصرار ومنهجية.

قناعة ثابتة لحق الفلسطينيين في اتخاذ قرارهم الوطني المستقل. إن مهمة الأصعب التي تقف أمامنا اليوم هي كيف تبنى استراتيجية وقيادة موحدة تحضل لها كافة القرارات السياسية والكماحية ولا ينفرد بعدها أي طرف بالقرار.

والنتيجة لذلك ستكون مواجهة الحصار بالوحدة، بدل الابتعاد عن الوحدة خوفاً من الحصار، وستكون انتزاع زمام المبادرة من الآخرين بدل المواجهة في دائرة ردود الأفعال وستكون فرض القرار الفلسطيني الموحد، بدل استقواء أطراف الصراع الداخلي بأطراف خارجية لتقوية نفسها.

وسيمرر ذلك في قلب المداولة التي أدت إلى تقزيم حركة التحرر الوطني داخل السلطة (سواء في الضفة أو القطاع) وجعل السلطة أداة في خدمة حركة التحرر الوطني.

(٤) بناء وتعزيز حركة التضامن الدولية، وحركة فرض العقوبات على إسرائيل.

إن هذه الحركة المتصاعدة تبشر بالخير، ولكنها تقتضي جهداً عالياً لتنظيمها وهما تناسقتها، وتأثيرها على صائري القرار خصوصاً في الولايات المتحدة وإوروبا الغربية.

وهي بحاجة إلى إعادة تنظيم الجاليات الفلسطينية والعربية والمسلمة في إطار جهاز متناسق موجه نحو هدف واحد.

وإذا كانت هذه الحركة قد حققت نجاحات مثل فرض العقوبات على استنجاز إسرائيل، وقرار الاتحاد الجامعات البريطانية بفرض مقاطعة أكاديمية على إسرائيل، أو سحب الاستثمار الذي قامت به كلية هامبتون وبعض الكائنات في الولايات المتحدة، فإنها ما زالت بحاجة إلى تنظيم كبير وتوسيع نطاقها.

إن وضع القضية الفلسطينية - التي سماها نيلسون مانديلا - قضية الضمير الإنساني الأولى في عصرنا، يشبه إلى حد ما حالة جنوب إفريقيا في بداية الثمانينات من القرن الماضي. وقد اقتضى الأمر سنوات من الجهود الموحدة والمنظمة التي تمثل حركة المقاومة إلى الحكومات، بعد أن أصبحت التكلفة الاقتصادية لتعامل مع نظام الفصل العنصري أكبر من أن تحتمل، من قبل الشركات الكبرى.

وفي الحالة الفلسطينية يبدو لي أن هناك ثلاثة شروط لنجاح الحملة

تعتقد المؤسسة الصهيونية اليوم أنها دخلت في مرحلة تصفية عناصر القضية الفلسطينية



نقاش حول مسألة تقبل السياسة الخارجية

٢٥

السيد أمين شلبي

والصعوبات التي يواجهها في عالم متغير. ويجب برجسكي أنه صدم عندما استمع الرئيس - جورج بوش - يتحدث في رسالة الاتحاد أن الحرب على الإرهاب هي التحدي الأيديولوجي الرئيس في هذا القرن وأنه سأل نفسه اليس هذا نوع من الفطرية ونحن في بداية عام ٢٠٠٨، إن الحرب على الإرهاب لن تكون هي التي ستحدد التحدي الأيديولوجي الرئيس لقرننا إنه شيء أكثر مروعة وأنه يتضمن ثلاث تحديات كبرى: أحدها هو ما أسميه الصحوة السياسية العالية فلمرة الأولى فإن كل البشرية في حالة نشاط سياسي، إن هذا تغير درامي جداً، ولأنها هناك تحول في مركز القوة العالمية من العالم الأطلنطي إلى الشرق الأدنى، ليس انهيار عالم الأطلنطي ولكن فقدان السيطرة التي امتلكتها لحصيلة عام. والثالث هو ظهور مشكلات عالمية مشتركة التي علينا أن نواجهها والأف سوف تعاني بشكل خطير وأغنى المناخ والبيئة والفرق وعدم العدالة، وهذه تحديات التي نواجهها على أمريكا أن تستجيب لها، وأن بقاها ومكانها في العالم سوف يعتمد على الدرجة التي تستجيب بها - أما عن القدرة

أمريكا بأمان من العراق إلا أنها في كل جلسة نقاش كانا يتحول نحو إطار مشترك، ويعتبر إجناتيوس أنه أقدم على إدارة هذا الحوار كصحفي يكتب لمدة ثلاثين عاماً وأنه في عمره في الواشنطن بوست يحاول أن يكتب من وسط النقاش وأنه يستمع لما سوف يقوله الناس وأنه يثيرهم إذا كان الأمر يتطلب ذلك وأن يفرض الأسئلة التي سوف يسألها إفرام إذا كانوا حاضرين في هذا المقام.

ويبدأ النقاش بالحديث عن وصف المشكلة والوضع الذي تجد فيه أمريكا نفسها في وقت يتقلد فيه رئيس جديد

جمهورية بارز وديمقراطي بارز يستطيعان أن يجدا أرضاً مشتركة لبداية جديدة في السياسة الخارجية، ولكل من برجسكي وسكروفت وضع خاص في هذه التجربة باعتبار أن كليهما كانا متشككين مبكراً حول الحرب في العراق، فقد أدركا قبل الكثير من محللي السياسة الخارجية أخطار وصعوبات التي سوف تواجهها الولايات المتحدة إذا ما أطبع بصدام وإنما قررا بشجاعة أن يتكلموا علانية عن قلقهما، ولهذا السبب فإنه من المفيد أن نستمع بعناية لما سوف يقولانه ورغم أنهما يختلفان حول بعض الخصوصيات وخاصة حول السرعة التي تتسحب بها

■ ثمة القناع واسع أن ثمة شيئا في السياسة الخارجية الأمريكية قد اكتسب وأن السياسات وعادات الفكر التي سادت خلال الحرب الباردة لم تعد صالحة حيث ظهرت تحديات جديدة - الإرهاب والقانون غير الحكوميين - وصعود الصين كقوة عالمية وتحول في طبيعة القوة، وعدم ثقة منتشرة حول العالم في نوايا أمريكا وحيث تبدو استجابات أمريكا لها غير فعالة، وإذا كانت أمريكا، وفق المعايير التقليدية هي أكثر الأمم قوة منذ الإمبراطورية الرومانية، ورغم هذا فإن الحدود على ما تستطيع فواتها أن تحققها أعظم مما كانت منذ خمسة عشر عاماً، إذا هذه الواقع يعتمد هذا الكتاب على أهمية التكيف مع بيئة دولية جديدة ودائمة التغير، ويدعو اثنين من أبرز المفكرين الإسترأجيين الأمريكيين وهما ريجنيو وبرجسكي، ويرتد سكروفت والدائم التغير، ويدعو اثنين من منصب مستشار الأمن القومي في إدارات ديمقراطية وجمهورية، لكي يناقشوا علاقة أمريكا مع العالم، وكيف تستجيب وتعامل مع قضايا وتحديات مثل العراق، وإيران، وإسرائيل وفلسطين، وتوسيع حلف الناتو إلى الحدود الروسية، وكيف

أمريكا

الأمريكية التي اكتملت في التعامل مع هذا العالم فإن برجسكي يعتبرها في فقدان الثقة، فقد واجهت أمريكا صراع الحرب الباردة بالثققة، ولكن ما يجده مثيرة للمشقة هذه الأيام هي ثقافة الخوف التي يواجهها المرء في كل مكان، وعندما يسأل إجناتيوس عن اليوم الذي تغير فيه العالم وهل هو اليوم الذي سقط فيه حائط برلين، يجب سكروفت أنه اليوم الذي وقف فيه جيمس نيكرو وإدوارد شيفرناردا ما تكي يدينون غزو العراق للكويت، هذا هو اليوم الذي انتهت فيه الحرب الباردة بحق، فهل جرح السوفيت بشكل سيئ عند سقوط حائط برلين، وهل كانت الإمبراطورية تتصدع؟ نعم، أما النقطة القصوى بالنسبة لبرجسكي فكانت عندما نزل العلم السوفيتي من فوق الكرملين في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٩١. أما عن الفرض الضالفة عندما اهانزت الإمبراطورية فهي في رأي برجسكي أن الولايات المتحدة لم تفعل الكثير لخلق مؤسسات مشتركة بينهم فيها الروس أنهم جزء من مغامرة أوروبية والتي هي هامة جداً اليوم ولكن كل هذا يهبط مقارنة بسوء الحكم المميت الذي استجبتنا به ١١ سبتمبر ويتنقل النقاش إلى تعامل أمريكا مع غزو صدام للكويت وهل كان من الخطأ إسقاطه.

ويجب سكروفت أنها لم تكن مهمة غير متمكلة، فالهدف الرئيس من



يمكن لأمريكا أن تحتفظ بدورها في الشرق الأدنى وعديد من الأسئلة الأخرى، أما الشخصية التي أدارت النقاش ووجهت الأسئلة فهو دافيد إجناتيوس الذي يكتب في قضايا السياسة الخارجية الأمريكية على مدى ثلاثين عاماً. وقد دار هذا النقاش على مدى عدة شهور خلال عام ٢٠٠٨ وقبل انتخابات الرئاسة الأمريكية.

ويقول دافيد إجناتيوس في تقديمه للكتاب إن نقطة البداية هي النقاش في اعتقاد أن العالم يتميز بطرق أساسية وأن نمادنا التقليدية هي فهم دور أمريكا لاتعمل جيداً جداً، وكلا الرجلين يعتقد أن الولايات المتحدة في موقف صعب في الخارج لأنها لم تتكيف لهذا الواقع الجديد وكلاهما يتساءل حول الحكمة والأفكار التقليدية ويحاولان النظر إلى العالم بمعين جديدة، وكلاهما متشائل بشكل أساسي حول مستقبل أمريكا ولكن ففقد إذا ما استطاعت أن ترتفع إلى مستوى التحديات في التعامل مع العالم كما هو الآن وليس كما نود أن يكون، ولهذا جاء الكتاب كتجربة لكي نرى إذا ما كان

Zbigniew Brzezinski, Brent Scowcroft, "America and the World: conversations on the future of American foreign Policy, New York : Basic Books, 2008

يكن يسمح لنا أن نتحدث مع فتح لأنها كانت منظمة إرهابية، وهذه هي نفس العملية التي نرى بها الآن، واعتقد أننا يجب أن نكون مستعدين للتحدث مع حماس، فقد اقترحت حماس وقف لإطلاق النار ولكن لا أعلم ماذا يعني هذا. وإحماس أنه إذا أمكننا تحقيق تقدم مع عملية السلام فإن حماس سوف تقرر أنها لن تستطيع أن تبقى خارج العملية وأن تنتهي - على أحسن حال، بالسيطرة على غزة والتي لا تستطيع البقاء بدونها.

ونبه برجنسكي إلى البعد الأخلاقي في استبعاد حماس، فقدم المتحدث إليها يعني مقاطعتها وقطعها وهو ما يعني معاقبة مليون ونصف مليون فلسطيني، حيث يوجد بالفعل مشاكل إنسانية خطيرة: المرض، ولإجاعة وعدم التواصل مع المجتمع وأظن أن هذا ليس طريقا جيدا للتفاوض، ولكن المليون ونصف في غزة ليسوا أعداءنا ويجب ألا ننسى ذلك، وأن فكرة أننا يجب أن نثبت صداقتنا مع إسرائيل بإجاعة شعب لها هي فكرة غير الأخلاقية في المحتوى وغير عملية سياسيا، ويستخلص برجنسكي أن ما يقولوه هو في صالح إسرائيل، فإذا استطعنا أن نحقق السلام فإن إسرائيل يمكن أن تكون جزءا دائما من الشرق الأوسط وأن تظهر هناك، وإذا ما لم نتمكن من الشرق الأوسط كيف نستطيع أن نراى على بقاء إسرائيل؟



وينقل إجناتيوس النقاش إلى الصين ويشير إلى أن العديد من الناس يشعرون أنها ستهدد الولايات المتحدة، فكيف نحول نمو الصين إلى شيء في صالحنا؟ ويجب برجنسكي أن يتتلاف فيءاءه، فإن القلق الأمريكي حول بعض مظاهر المنافسة الصينية في التجارة والأعمال واحتلال الصين للمحيط الهندي، أو شراء مشروعات هناك كقوة رقمية هي أسبابه الصين في النظام العالمي، وهذا يعني بالطبع رؤية أمريكية في التكيف مع الواقع. واستيعاب أمريكا في النظام العالمي ليس مثل استيعاب بلد صغيرة أنه يتطلب التعرير التدريجي للنظام العالمي وإعادة تحديد مدى الانسجام الأمريكي، في هذا الشأن اعتقد أن الاتجاه الأمريكي هو أبعد نظرا مما كانت عليه خلال القوى الإمبريالية عام 1914 حين كانت ألمانيا تستخدم عصبانيتها وتريد قوة عالمية كبيرة لها أصالي إمبريالية واستعمارية فحزن متصرف بشكل أكثر ذكاء، ولأننا فإن جزء من أسباب تفاؤلي هو شعوري بأن القيادة

وأنها من العمق أن تترك لكى يحلونها بأنفسهم، ولذلك فأنا أشكك جدا حول مستقبل سلام يتحقق بمفاوضات فلسطينية-إسرائيلية دالية وبيديروني بأنفسهم، فخبيري من كاتب ديبسج وأيضا من خبرة سكوكروفت ومراحلته إدارته يقودني إلى الاستخلاص الحازم بأن الولايات المتحدة وحدها يمكن أن تصبح وسيطا فعالا وهذا يعني بالنسبة لي أمرين: الأول أن لا تصبح الولايات المتحدة طرفا في الصراع لجانب ضد الآخر، والثاني ألا تحتفظ الولايات المتحدة بموقف سلبي ولكن تقدم وجهات نظرها فيما يتعلق بما يجب أن يحدث وأن تحاول أن تكون طرفا عادلا بقدر ما تستطيع وأن تدمر المصالح الحيوية للأطراف ولكن لا تجعل من أن تجعل موقفها واضحا وأن تقرر أن يحترم وعندما يلاحظ إجناتيوس أن هذا يعني أن تفرض اتفاقيات من الخارج، يعقب برجنسكي أن العبارة التي يفضل أن يستخدمها هي «أن تساعد»، ويضيف أنه تستند على أوراق تفصيلية أعدها الجانب الأمريكي والتي تحدث ترتيبات بدلية لها وذلك كما بإرشاد رئيس يعرف مؤلفه وكان مصرا جدا، فإذا كان نود أن تقدم اليوم يوم أن تكون مستعدين أن نقرر علينا على الأقل المؤشرات التي للتسوية يقولون، إن الباقى متروك لكم للتفاوض حول، وهذه المؤشرات الأربعة هي: لقد العودة للفلسطينيين، وهي جرعة مبررة للفلسطينيين جدا، وعلى المرء أن يفهم أنها جرعة مبررة جدا للفلسطينيين لأن هيكل الهوية الفلسطينية مبنى على فكرة أنهم قد طردوا بدون عدل من إسرائيل، والثانية هي التقاسم الحقيقي للقدس وهي جرعة مبررة لإسرائيليين، ولن يكون هناك سلام قابل للحياة إذا ظل المسجد، وإذا قلنا جزء من المدينة الفلسطينية وشرق القدس ليست عاصمة فلسطين، فإن ينظر إلى السلام كشرى ولن يكون هناك نقطة انطلاق للتصالح، ولذا فإن الثالث هي حدود 19٦٧ بتقرير متبادلة، والمؤشر الرابع هي دولة فلسطينية منزوعة السلاح، لقد اقترحت حينها أن يمكن حتى أن يكون هناك قوات أمريكية صبر فسر الأردن لكن فسد لإسرائيليين الإحساس الإسرائيلي ضد أي تهديد وإذا كان الرئيس الحالي - بوش - غير مستعد لتقديم هذه البذعة، فإن الرئيس القادم يجب أن يتقدمها.

وعندما يسأل إجناتيوس إذا ما كان على الولايات المتحدة أن تتصل ببحماس الحركة التي لا تحفر بإسرائيل، يعقب سكوكروفت أنه عندما انخرج في القضية الفلسطينية في أوائل السبعينيات لم

والطريقة الأخرى للتعامل مع المشكلة هو أن نقول أننا نستاقص بدون شروط، هالدي يخلق هذا الركود المضاد هو إصرارنا على الشروط المسبقة، فيجب أن يكون هناك إما شروط مسبقة لأي أحد أو اتفاق متبادل يسامير فيه وقف التصعيد مع وقف العتقيات، ويعقب برجنسكي على النقطة التي أثيرت حول تصور إيمان لكانتها ويعتبر أن هذا التصور مهما داتيا، فإيران ليست من الإطلاق تمثل هذه القوة فهي بلد لديها عدد كبير من المشكلات الداخلية والتي تأخرت في التنمية الاقتصادية وحيث جزء كبير من الشباب غير راضين عن القيادة الدينية المتعصبة، والذين ينظر جزء كبير منهم وخاصة النساء إلى تركيا أو أوروبا كمود لستقبلهم وليس للتصوير الأصولي للفران.



ويحاول إجناتيوس النقاش إلى ما يعتبره أكثر القضايا تعقيدا للشرق الأوسط هي حياثنا على الشرائع العربي الإسرائيلي والمركز الآن على القضية الفلسطينية، وباختيار أن برجنسكي قد ساعد الرئيس كارتير في تحقيق الاتفاق الأول الأكبر وهي إقامته كاتب دافيد والتي وفرت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وأن سكوكروفت كان لا عابيا مركزيا في عملية السلام التي وصلت قصتها هي معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن، ولذلك فهو يتابعها بأن ينظرها إلى القضية منذ أن غادرو البيت الأبيض ويشاهدوا كونداليزا رايس وهي تتعامل مع مهمة أوناكوبولس للسلام، ويعقب برجنسكي بأنه يتأكد من شعوره أن المشكلة بين الإسرائيليين والفلسطينيين عميقة جدا وكبيرة جدا وعاطفية جدا

يقول إجناتيوس في تقديمه للكتاب أن نقطة البداية في النقاش هي الاعتقاد أن العالم يتغير وأن نماذجنا التقليدية لا تعمل جيدا



ويعتبره أكثر القضايا تعقيدا للشرق الأوسط هي حياثنا على الشرائع العربي الإسرائيلي والمركز الآن على القضية الفلسطينية، وباختيار أن برجنسكي قد ساعد الرئيس كارتير في تحقيق الاتفاق الأول الأكبر وهي إقامته كاتب دافيد والتي وفرت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، وأن سكوكروفت كان لا عابيا مركزيا في عملية السلام التي وصلت قصتها هي معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن، ولذلك فهو يتابعها بأن ينظرها إلى القضية منذ أن غادرو البيت الأبيض ويشاهدوا كونداليزا رايس وهي تتعامل مع مهمة أوناكوبولس للسلام، ويعقب برجنسكي بأنه يتأكد من شعوره أن المشكلة بين الإسرائيليين والفلسطينيين عميقة جدا وكبيرة جدا وعاطفية جدا

الصينية لا يوجهها أيديولوجية مهووسة التي يعتمد فيه مستقبلها على فرض نظام قيمها على العالم مثل روسيا الستالينية أو ألمانيا هتلرية، إنهم يمتدحون بشكل أكثر بالثقافة التي يجب عليهم أن يكونوا جزءاً من العالم ويحاولون، بالعقل، أن يتبنوا كيف يفعلون ذلك. واعتقد أنه إذا بقي الجانبان معقولان ولم يحدث شيئاً مدمراً فإن هذه العملية سوف تستمر. أما سكوكروفت فقد اعتقد أنه متفائل كذلك، فعلى الجانب الأمريكي فقد بدأت العملية في بداية السبعينيات وتواصلت مع الصين في قلب الحرب الباردة وتوصلنا إلى اتفاق مع الصين أن نشتري ما لحضارة الهيمنة السوفيتية. وقد وضع هذا لونا مختلفا في عيون الشعب الأمريكي مع الصين وما تشكته. أما على الجانب الصيني فقد بدأوا بعد عام 1969 كأمة ناسكة ولم يشدوا أي علاقات إلا مع الاتحاد السوفيتي بل تدريجياً فقط بدأوا يخرجون من عيون قوقعتهم الانزلائية، وفي تطوهم الاقتصادي اعتماداً على استيراد المواد الخام، وأخذوا فإنهم يمتدحون جداً على الأسواق الخارجية لتنتائجهم وهذا يعني أنهم يحتاجون بنية عالية مستقرة لضمان أنهم يعتمد عليها لكل من المواد الأولية والأسواق. وعلى عكس ألمانيا في الحرب الأولى فإنهم لا يريدون الإطاحة بالنظام الذي يريدون الانضمام إليه وقد تصادف هذا بأنه نظام مفتوح تماماً، ورغم ظهور بعض الإشارات العصبية والسلبية اعتقد أن لدينا فرصة أكبر مما رآه العالم في فترة طويلة تضم الصين إلى النظام.



وفي فصل يخصم روسيا والولايات المتحدة معها ويطلب من Unatnual Boundaries إجناتايوس أن يتجاوز باعتبار أنها شخصيات رئيسية في فترة الحرب الباردة التي أدت إلى هذا التحول الكبير، أن يجيبوا عن سؤال كيف ولدت روسيا الجديدة التي تتحدى الظروف التي نشأت فيها روسيا الاتحادية وعهد بلستين وما حدث فيه من تصدع، اقتصادي وولوي، يصل سكوكروفت إلى حجة بوتيي أن أدلته هذه الأوضاع، ورغم دوافع بوتيي فإن يعمل إلى المركزية يحاول أن يجمع شتات الدولة الروسية وأن يحافظ على ما تبقى من الدولة السوفيتية وربما كان دافعه هو إعادة خلق الاتحاد السوفيتي وإن كنت أشك في هذا

ولكن بالتأكيد يريد أن يبعد مركزية القوة في روسيا. أما برجنسكي فإن يقول إننا نعرف ماذا حدث في ظل بوتيي ولكننا لا نعلم تأكيداً ماذا كانت دوافعه وإن كنا نملك بعض المفاتيح غير المباشرة، أولاً ما هي وجهة نظره عن العالم؟ لقد قدم لنا بعض المؤشرات من ذلك، لقد قال إن نهاية الاتحاد السوفيتي هي أكبر مصيبة جيوبوليتيكية في القرن العشرين وهو قرن حدثت فيه حربين عالميتين وقتل مئات الملايين من البشر... ولكن بالنسبة له فإن التناقض السلمي النسبي للاتحاد السوفيتي هو أعظم كارثة جيوبوليتيكية في القرن. وثانياً وفي مقابلة في بداية رايسته والتي تحدث فيها عن عالمته وأصولها فإن الشخص الذي أعجب به بشكل أكثر كان هو جده، فمن هو جده؟ جده كان حارس أمن للثلاثين وستالين. وهنا هو الرجل الذي يجب به بوتيي بشكل أكثر. ومع هذا فإن إحساس بوتيي أن يرد على ما حدث، ولا اعتقد أنه قد استوعب حقيقة أن النظام الإمبريالي القديم لا يمكن إعادة خلقه أنه مدفوع بدرجة كبيرة بالحنين إلى الماضي. وهو أيضا وأهمي. ويجب برجنسكي أنه إذا كان ينصح الرئيس سوف أقول إن علينا أن نحدد ذات المصالح المشتركة وأن نحاول رؤية ما إذا كان من الممكن دفعها ومثالاً فإن ضميد التسليح هي منطقة مصالح مشتركة أن في مصالحتهم ومصالحتنا ولكن لا نخرج

كلا الرجلين يعتقد أن الولايات المتحدة في الخارج موقف صعب في الخارج تنكيف لهذا الواقع الجديد



سياق التسليح من السيطرة كما حدث في الحرب الباردة، وعلى هذا سوف يبدأ بذلك. كذلك أظن أن الروس لا يريدون تلك المنطقة البلقان أن تكون منطقته عدم استقرار لأن ذلك يمكن أن يمتد إلى روسيا، حين نتحدث عن روسيا كدولة قومية فإن الحقيقة أن ٢٠ أو ٣٠ في المائة من المواطنين الروس ليسوا روساً بما فيها حوالي ٣٠ مليون مسلم وعلى هذا فإن أزمة امتدادا يعطي للروس مصلحة في استقرار البلقان، كذلك فإن الروس قلقين حول الصين وأمريكا أن يصبحوا حلفاء لأن ذلك سوف يعطي للصين ميزة أعظم ضد روسيا، وهذا يعطينا فرصاً دبلوماسية التي يمكن استغلالها بشكل بناء، فهو لا يذهب إلى أي محاولة خلق اتحاد سوفيتي جديد ولكنه يتجه إلى فعل أمرين، الأول أنه يحاول عزل القوى الوسطى من أجل أن يبقى العرب خارجة بقدر الإمكان وهو يفعل ذلك قلقين فعال باستغلال البترول والغاز في أسكن الوسطى أن يمر عبر روسيا، وثانياً فإنه يحاول أن يخضع دولا مثل أوكرانيا وجورجيا لأهم حاسمتين جيوبوليتيكيتين.

ويتساءل إجناتايوس عن كيف تتعامل الولايات المتحدة مع روسيا الجديدة وقوميتها الشائكة وإحساسها بالظلم تفكك إمبراطوريتها القديمة، وإزاء رغبة الإدارات الأمريكية لتبني الخاتمة لكسي يتضمن جمهوريات سوفيتية جديدة وهو ما يبدو أنه أزعج الروس. وهو ما كانت الولايات المتحدة تستعمله إذا ما واجهت خصما محتملا يوسع تحالمة لكي يضم كندا والمكسيك.

أما سكوكروفت فإنه يعتبر أن هناك مناطق أكثر في العالم لنا فيها مصالح مشتركة مع الروس أكثر مما لنا من صراعات أساسية. فالقاور القريبة، هي منطقة توترات بالنسبة للروس وكذلك قضية الديمقراطية كما نحبدها، فالروس لن يتجاوزوا إلى الديمقراطية إلا عندما يحولها، وهم يصلون إلى استنتاجاتهم الخاصة، وعلياً أن نوضح أين نقف، ولكن أن نلاحظهم أن توتراتهم إنما يخفيها فقط إلى إحساسهم بالاستشهاد. أما عن قضية جذب أوكرانيا إلى الناتو، فإن سكوكروفت، عكس برجنسكي سوف يرى من جانب الروس كخطوة أبعد لإهانتهم.

ويخلص إجناتايوس أن الموضوع المشترك بين برجنسكي وسكوكروفت وفي الهدف الأمريكي يجب أن يكون جذب روسيا بالغرب وأن يدع روسيا أن تكون لها هوية أوروبية ومستقلة، وأن أوكرانيا الأوروبية هي مقدمة لذلك، فتحرر أوكرانيا نحو الاتحاد الأوروبي فإن من المحتمل أن تتحرك روسيا معهم، وعلى

هذا نحن نريد أن نجد أوكراينا إلى أوروبا ولكن بالطريقة التي لا تخلق أزمة أو مواجهة. غير أن سكوكروفت لا يوافق على هذا الطرح، فكلاً من روسيا وأوكراينا يجب أن ينظر إليهم بشكل منفصل، لا اعتقد أنه إذا ما جذبتا أوكراينا إلى أوروبا فإن روسيا بالضرورة سوف تلحق بها، على العكس فإن الكبرياء الروسي حول مكانتهم وشعورهم أن أوكراينا هي شقيق صغير يلعب في الاتجاه العاكس سوف يفيقهم على مسارين مختلفين.

غير أن هذا لا يعني بالنسبة لسكوكروفت أن مستقبل روسيا كعضو في الاتحاد الأوروبي غير واقعية، فهو يستبعد صعوبة توسيع منطقة في الناتو إذا ما تطور الناتو إلى شيء آخر، كما أنه لا يستبعد عضوية روسيا في الاتحاد الأوروبي ولكنها قضية معقدة بشكل لا يمكن الحديث عنها الآن.

ويتبنى إجناتايوس الجدول والحد مستقبل روسيا؟ ورئيسها السوفياتي حول حين تحدث عنه مع رسميين في الكرملين فإنه إنه الخطأ رؤية سيديف بمسألة لعبة في دولتين ذلك أنه أول رئيس روسي يمثل الجيل الجديد بينما كان بوتيي شخصية انتقالية صاغها خبرته مع KGB وهو بهذا فهو ابن الحرب الباردة. ويجب سكوكروفت أنه لم يلتقي معه ولكنه شخصية مثيرة للاهتمام بعد يصل إلى ما وصل إليه باعتبارها متساهلة فمن الواضح أنه شخصية صعبة ويبدو أن لدى أسوأ أكثر عالمياً من بوتيي. واعتقد أننا إزاء أوقاتاً مثيرة للأهتمام في روسيا. فقد يكون بوتيي قد اختاره لأنه شخصية يمكن التعامل معها ولكنه في يوم ما سيقول أنا الرئيس، أما برجنسكي فيقول إنه مامناً لا تعرف ماذا وراء الستار فيجب التعامل مع سيديف وكأنه الرئيس وصحيح أن تاريخ حياته وتربيته مختلف عن بوتيي، ولكن ليست متفانلاً أن التعامل معهم كبريس سوف يضر بشكل سريع لأنه اختيار بوتيي، واعتقد أن بوتيي سوف يتدبر الأمور لبعض الوقت.

وعندما يسأل إجناتايوس عن ما هي المصالح والأهداف الأمريكية حين تفكر في روسيا يجب برجنسكي بأن نود أن نرى روسيا بطريقة أو بأخرى أقرب إلى الغرب واعتقد أن الثقافة السياسية الروسية هي أكثر أوروبية مما أوروبية وفي بعض الجوانب يمكن أن نصفها بأنها أوروبية، ولكن الأسلوب للسيطر الذي يتصلح إليه الروس والميرات الحضاري الرئيس الذين يرتبطون به في أوروبا هي الأساس، الأساس الأمريكي المسيحي، ولهذا فإنه هدف

معقول حتى لو كان بعيداً أن يعتقد أن روسيا ستطوّر بشكل متزايد نحو الديمقراطية. واعتقد أن الجيل التالي بعد ميديفيد سيكون أكثر ديمقراطية ومالية والجيل من الجيل الحالي وبالتالي أن الجيل السابق، وأوقع أنه في يوم ما أن الرئيس الأسبق، ورمبا الذي سيأتي بعد ميديفيد ربما يكون متخرجاً من مدرسة هارفارد للإدارة أو من مدرسة لنسبن للاقتصاد. وليس هذا تخميناً خياليا فيشكل متزايد فإن النخبة الروسية تحاول أن ترسل أرباباً لها إلى جامعات أمريكية أو بريطانية وليس إلى طوكيو أو بكين، وعند نقطة ما، ومن وجهة النظر الروسية فإن أوروبا، التي تشنّد من تشبّهة أنها فلاذيفوسك، ستكون رؤية يرحب بها لأنها ستتمكن أن يبقوا المسيطرة على ما يقربوا لى أرض الشرق الأقصى. أما سكوكوفت فيعتقد أن هدف أمريكا هو أن تكون روسيا مستريحة مع جيرانها الأوروبيين، فمنذ بطرس العظيم والروس يتجادلون حول أين تقع روحهم هل هم أوروبيين أم آسيويين، أم آسيويين هؤلاء الأوروبيين، وألقى مع برجنسكى أن يجب أن تشجعهم لأن يجدوا بينهم المناسبة لا أن يكونوا مبسوطين منهم أو عذوليين أو مستائنين، وإن يجمعهم يشعرون أنهم متساوون وإن كانت هذه عملية طويلة. فإذا طوّر الروس مجتمعاً يشعرون الناس فيه بالراحة والأمان وليسوا مهددين لا داخليا و لا خارجيا فإن الجانب الأفضل من روحهم سوف يزدهر.



ويطرح إجناتيوس قضية العلاقة بين أمريكا وشركائها الأوروبيين التي يسميها شراداً لا غنى عنها، ويشير إلى أنه حين نتحدث عن أوروبا فإننا نميل إلى التحدث عنها كشئ ثابت غير متغير يعرف عنها كل شيء ونشئ أنه غير المتغيرين عاما الماضية فإن أوروبا قد تغيرت أكثر من أي منطقة أخرى، فما هي أوروبا الجديدة. وما التي يجعلها مختلفة وما هي القضايا الأمنية التي تمثلها للولايات المتحدة ويجيب برجنسكى أن أوروبا الجديدة هي هذا الجهد الممسي بدرجة عالية الذي يعمل على السيادة القومية وهذا الجهد بالغ... وإذا نظرنا إليها من وجهة النظر الأمريكية فإن من مصلحتنا أن أوروبا هذه الواسعة والأكثر تحديدا سياسيا ولديها قدرة عسكرية متزايدة خاصة مع تحالفا مع الولايات المتحدة، وفي ضوء هذا يستخلص برجنسكى أنه في الوقت الذي مازالت أمريكا البلد المتقوى رغم الثمن الذي دفعته في العراق

فإنها حقا تحتاج لأوروبا كحليف لأن هذا سوف يعلى من نفوذنا المشترك. ويلاحظ سكوكوفت أن الولايات المتحدة كانت متناقضة تجاه أوروبا الاتحاد الأوروبي اقترعة ما، فمن ناحية فإننا نجد، كما فعل هنري كيسنجر، إذا أردت أن تتصل بأوروبا فما هو رقم التليفون؟ ومن ناحية أخرى فقد كنا ننظر شررا تجاه أوروبا الموحدة، ومن نواحي عديدة فإنه من الأفضل التعامل بشكل منفصل مع بريطانيا وفرنسا والألمانيا وقد أصبح لدينا أوروبا أكثر اتساعا التي تدعوها اتحادا وهي اقتصاديا واجتماعيا ناجحة جدا، ولكن مازال عليها أن تجد نفسها سياسيا ومن وجهة النظر الأمريكية سوف يكون هذا جيدا إذا فعلته واعتقد أنها ستفعل هذا لأنها تتحرك ببطء، في هذا الاتجاه.

ويثير إجناتيوس مخاوف الأوروبيين من أن إنشاء أمريكا يتحول عن علاقتها التقليدية إلى أماكن أخرى في آسيا والشرق، ويعقب سكوكوفت إن هذا حقيا فإنها حقا يتحرك في أماكن أخرى، إنه جزئيا نتيجة نهاية الحرب الباردة وقد تم نهاية الصمغ الذي أجبرنا على أن نلحق خلافتنا بسبب التهديد المشترك الأعظم، وحالا اختفى التهديد السوفيتي طهرت هذه العلاقات إلى المقدمة وما هنا كانت فكرة فرنسا عن نفسها كقائد لأوروبا وأخير كان نولفنا في العراق الذي أدى إلى تقسيم الأوروبيين.



يلاحظ إجناتيوس أن كلا الرجلين كان لديهم بعد النظر للتحدث قبل الحرب على العراق والتحذير بأنها خطأ



ويعقب برجنسكى أنه من المؤكد حقيقية أن مركز الجاذبية العالمي يتحول إلى الشرق الأدنى، وأن المستأجلة عام من السيطرة لبلدان الأطلنطي تتراجع ولكن إذا لم نظرت إلى مجموع الموارد العسكرية لأمركا الشمالية وأوروبا، فإنه من الواضح أنه إذا كان يمكن تمثيلهم بذكاء وجرى التركيز على سياسة بناءة، فإن الجماعة الأطلنطية مازال لها دور هام بل ومتفوق لكي تلعبه، ولكن هذا يعتمد إلى حد كبير على ما قاله سكوكوفت وإلته: هل نستطيع أن نحرك اتجاه استراتيجيا مشتركا؟ هل نستطيع أن نجد توازينا متساويا بين المشاركة في القرارات والمشاركة في الأعباء؟ هل نستطيع أن نجد الأهداف التي ليست مجرد خدمة للثبات ولكن التي تتعامل مع الأبعاد الأوسع للاقتصاد العالمي؟ فإذا ما فعلنا ذلك فإن الغرب سيظل هو المنطقة الأبرز في العالم لعدة عقود، وحتى لو كنا أكثر انتباها للشرق الأدنى فإن اليابان تحتاجنا على الأقل بمقدار ما تحتاج إليها وربما أكثر، والصين بكل ما لديها من إمكانيات للقيادة العالمية سوف تظل لعبة مفقودة قائمة بلد لديها مشكلات ضخمة في البنية التحتية والفقر، ونحن نحتاج عليها أن تثبت أنها تستطيع أن تحافظ على وحدتها الوطنية، وهي ذات سكان يبلغون المليون والذين مازالوا غير نشطين سياسيا وليسوا بعد معيارين، لا نعلم ماذا يحدث حين يستيقظ هؤلاء المختلفين اثنيا ولعويا ودنيا وأن يستيقظوا بحق آسيا ويستخلص برجنسكى أن الغرب لديه دور يلعبه ولكنه حقا يتطلب نوعا من القيادة القادرة على تحديد الاتجاه والتعاون عبر الأطلنطي.



ويحول إجناتيوس الحديث إلى الجديد الذي يحدث في العالم، وعن التجميدات المختلفة عن تلك التي نشأ عليها المتحاورين، ويعقب سكوكوفت إننا إذا تغير حاسم في البيئة الدولية أكثر من أي وقت في التاريخ الحديث، تغير أساس الذي يجري تحت العناصن العريض للعودة، إنه تغير في الطريقة التي تتعامل بها الشعوب وتفاعل، وهذا ما يطور العالم، شعوب العالم أكثر نشاطا سياسيا، فقد كانت هناك دائما تفتتات للهجرة، ولكنها ضخمة الآن بسبب الراديو والتلفزيون يسمحان لشعوب أن يشاركون وضمهم (الراهن) بغيرهم حول العالم، وبعض الآثار سيئة والبعض الآخر جيد، والنقطة الهامة أنها حقا تغير من وضع الدولة القومية،

وكيف تعنى بشعبها وكيف تستطيع أن تدبر مسئولياتها تجاه مواطنيها، والحقبة أن دور الدولة القومية رغم أنه مازال مسيطر، إلا أنه يتناقص بنات، ويستخلص سكوكوفت أنه يعتقد أنه قلب ما نواجهه فإن التحدي الرئيس في العالم كله يتغير مرة واحدة. وهذا ما يسمى عصر المعلومات إنما يغير حرفيا العالم الذي نعرفه والمؤسسات التي تقوموا عليها.

أما برجنسكى فهو يقول إنه بداية يجب أن نذكر أن المشكلات التقليدية للقرعة والجيوپوليتيكي مازالت معنا، ولكن ما يفرض على هذه المشكلات التقليدية ويحول طبيعتهم وخصب جينيين وأساسيين، الأول هو التحول في الطرف الثاني للبشرية وهو ما أسميه بالهيفظة السياسية العالمية ففي المرة الأولى في التاريخ فإن كل العالم ينشعب سياسيا الأمر الذي بدأ مع الثورة الفرنسية والنشر عبر أوروبا وآسيا في نهاية القرن التاسع عشر وعبر القرن العشرين والأل عالميا، والأل نحن إزاء مشكلات بقاء ذات طابع عالمي، فمثل المستوى الثاني في المرة الأولى في النقطة السياسية العالمية تخلق عدم تسامح جماعي، وهذا عصر ومعه مساواة مع مستويات مختلفة للمعيشة، وهذا يخلق حسدا واستياء وهجرة أكثر سرعة، وعلى المستوى الموضوعي فإن المشكلات العالمية الجديدة تتضمن أشياء مثل أزمة البيئة والتهديد المصاحب للوضع الإنساني بالتغير المناخي، والموت الجماعي الذي ينزله بشير عمدا على بشر آخرين، فحين الآن قادرون على أن تقتل الكثير من الناس في الحال وبسرعة جدا.



وهكذا يعتقد كل من برجنسكى وسكوكوفت أن الولايات المتحدة يجب أن تتخبط في عالم متغير من أن تزد بشكل دفاعي، وهدهما أن تحالف أمريكا مع قوى التغيير هذه، مرة بعد أخرى فإنها تتحدثان عن الحاجة للمرونة والانفتاح وعن الاستعداد للتحدث مع الأصدقاء والأعداء أيضا. وفكرتهم أن أمريكا كقوة أعظم في القرن الواحد والعشرين هي أمة تتواصل مع العالم وليس لكي تبشر ولكن تستمع وتتعاقون وأن تفرض إذا لزم الأمر، وكلاهما يصغان الثورة السياسية التي تحتاج العالم، فبرجنسكى يتحدث عن «الصحة العالمية»، بينما يتحدث سكوكوفت عن «التطلع نحو الكرامة»، وهما يريدان أمريكا أن تكون في جانب عملية التغيير. ■

الاختبار الحقيقي.. إلى أين يذهب أوباما؟!

ملححة لوزي

مثلت الدكتورة ملححة لوزي باكرستان دبلوماسيا لدى كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وهي حاصلة على جائزة «الهلال والامتيان» للخدمة العامة في باكستان. حصلت لوزي أيضا على الزمالة الفخرية من كلية لندن للاقتصاد عام ٢٠٠٤ وكذلك على درجة الدكتوراة الفخرية في الآداب من جامعة ميتروبوليتان في لندن عام ٢٠٠٥. عملت كعضو في لجنة المجلس الاستشاري لأمن عالم الأمم المتحدة لشئون نزع السلاح في الفترة من ٢٠٠١-٢٠٠٥. في عام ١٩٩٤ اختارتها مجلة التايم الثامن كأحد من بين مائة شخص على مستوى العالم سوف يساعدون في إعادة صياغة العالم في القرن الواحد والعشرين - وهي واحدة فقط من باكستان - عملت كمحررة في الصحف الباكستانية الرائدة الإنجليزية اليومية، وهي من أكبر المعلقين السياسيين على مستوى البلاد في باكستان. وهنا ترجمة لمقال نشرته قبل أيام الدورية العلمية التي عن جامعة هارفارد، تعددت فيه الأسس التي ترى أن الالتزام الكامل بها على أرض الواقع هو وحده الذي سيعيد المستقبل الحقيقي للعلاقات الأمريكية مع العالم الإسلامي.

المسرد

للمتطرفين في حشد الدعم لقضاياهم. في حقيقة الأمر فإن هذا الوضع يحمل إلهاما للولايات المتحدة بفكرة جوهرها إنها لابد أن تقود الجهود التي تعيد بناء وتشكيل العالم الإسلامي ويضئ النظر في الواقع فإن كل وجهات النظر تحت على ضرورة مراجعة السياسة الخارجية الأمريكية للولايات المتحدة وإعادة صياغتها

الإدارة الجديدة والتحديات المقبلة

يجب أن تبدأ الإدارة الجديدة بتغيير الصورة التي تتعامل بها مع العالم الإسلامي لإقامة علاقات أساسها الاحترام. ينبغي أن تشير الولايات المتحدة إلى اهتمامها بما يقوله الآخرون وما يعتقدونه ويعد هذا نموذجا يقدم التحولات في المنهج حتى لو استغرق تغيير السياسات وقتا لكي يأتي آثاره. لابد أن تأخذ الولايات المتحدة بعين الاعتبار مسالة تغيير مغزى عبارة «الفصاء على الإرهاب» التي كان لها العديد من العواقب غير المقصودة خاصة في العالم الإسلامي حيث أدى هذا الغرق إلى تكوين الخطايا عام بأن هذه الحرب «بالحرب على الإرهاب» قد أخطأ تحديد المستهدف من التحدي وتلا ذلك رد فعل خاطئ، ما ينبغي أن تدركه أمريكا جيدا هو أن الإرهاب شيء والإسلام شيء آخر. إن استخدام لفظ «الحرب» في الشعار الأمريكي كاستلوب مجازي لمقاومة الإرهاب قد خلق استراتيجيات عسكرية الطابع قامت بمزج تهديدات منفصلة متنوعة كانت تعكس فقط جنورا محلية - كان من

كانت أكثر سلبية بالمقارنة بالنظرة في باكستان، وكان ذوو النظرة المؤيدة للولايات المتحدة بنسبة ١٢٪ بينما ذوو النظرة المتحفظة ٢٧٪. في العالم الإسلامي يعد هذا التدهور نتيجة طبيعية لسياسة الولايات المتحدة على مر السنين. عقود من السياسات الأمريكية المتفاوتة ومزدوجة المعايير قد شكلت تلك التصورات في العالم الإسلامي، وضعت هذه السياسات الأمن الإسرائيلي والحاجة إلى النفط الرخيص فوق اعتبارات القانون الدولي والعدالة للفلسطينيين. تعدد هذه الميادسة الأمريكية في جوهرها هي المسؤولة عن فجوة الثقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي. في الغرب كان هناك مزيج من الآراء المهمة بقضية هجمة الثقة في العالم الإسلامي. كثير من هذه الآراء أرجعت هذا الصدد في العلاقات ليس فقط للسياسات الأمريكية ولكن أيضا لعوامل داخلية في العالم الإسلامي. تشمل هذه العوامل في الصحف والتناقضات التي تتواجد في هذه المجتمعات وعلى وجه الخصوص حالة الفصل الديمقراطية التي تسمح

التي تستطيع بها الإدارة الأمريكية الاستفادة من هذا الوضع الدوي النادر بين جميع المسلمين إعادة إنشاء وترميم مصداقية وسمعة الولايات المتحدة. والطريقة التي سوف يتعامل بها أوباما القضايا في العالم الإسلامي سوف تكون الفيصل في تحديد نجاح أو فشل سياسته الخارجية، يمكن التحدي الأعظم في هذا الشأن في معالجة الأمور داخل جبهتي الحرب في أفغانستان والعراق.

العلاقات مع العالم الإسلامي

أجريت سلسلة من استطلاعات الرأي على مدى سنوات عديدة من قبل منظمة «بيو» وكشفت تلك الاستطلاعات عن تدهور في العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي بمعدل لفتره طويلة، ففي أثناء إدارة بوش تراجعت شعبية الولايات المتحدة في العالم الإسلامي. فعلى سبيل المثال كشف استطلاع «بيو» الذي أجرى في وقت سابق هذا العام عن أن اتجاهات الرأي العام في تركيا - إحدى حلفاء الناتو - نحو الولايات المتحدة

فيما أطلق عليه الانتخابات العامة الأولى اعتبر الرئيس المنتخب مبارك أوباما المرشح المفضل والأوفر حظا. ومع ذلك فتمتة شكوك واضحة في البلدان الإسلامية حول ما إذا كانت السياسة الخارجية الأمريكية سوف تتطور للأفضل مع رئيس جديد. قبل الانتخابات الأمريكية أظهر استطلاع للرأي في باكستان أن الغالبية العظمى من الناس تعتقد أنه حتى في حالة فوز أوباما فإن تغييرا طفيفا سوف يرافق إدارته. وفي استطلاع جلوب الذي أجرى في سبعين دولة على مستوى العالم وجد أن من بين كل عشرة باكستانيين يوجد مرشحي الرئاسة ولكن هذا المزاج تغير بشكل كبير بعد فوز أوباما. لاقى اختيار أمريكا لأوباما ترحيبا واسعا في جميع أنحاء العالم الإسلامي وتحولت خيبة الأمل إلى بارقة أمل وأتوقع لسمار جديد في السياسة الخارجية الأمريكية تطبيقه تلك الاستجابة للمتمسة للمسلمين الأمريكيين الذين استجابوا بشكل إيجابي جدا لرسالة التغيير النشأ لأوباما ولم يكن الأمر قاصرا على تزايد إقبال المسلمين الأمريكيين على الانتخابات بل إن الغالبية العظمى قد صوتت لصالح أوباما. السؤال الرئيسي يدور حول الكيفية



السؤال الحقيقي هو ما إذا كانت إدارة أوباما ستكون مستعدة فعلا للضغط على إسرائيل لتحقيق تسوية تمنح العدالة للشعب الفلسطيني



للعودة إلى النص الأصلي:
Harvard International Review
Volume 30, Winter 2009, Issue 4

ترجمة: إيمان عبدالهادي الكيلاني



ولكن ذلك تم بشكل بدائي يقتصر على الإعداد الجيد وجودة تحديد الأهداف والأولويات. لقد أدى هذا الوضع إلى اندماج بين قومية البشتون ورايكانية المسلمين وهذا الاندماج يغذي روح التمرد وتزداد مخاطر تحويل هذا الوضع إلى «حرب تحرير البشتون». إن الاعتماد المفرط على القوة العسكرية قد أدى إلى ارتفاع الضحايا بين المدنيين وأصبح ذلك عاملا قويا وراء تأييد طالبان.

لا بد أن تسمى الاستراتيجية الجديدة إلى الفصل بين القاعدة وطالبان من خلال إدماج طالبان كمشاركة في عملية المصالحة ومواصلة الجهد في تحقيق انسحاب نهائي للقوات الأجنبية في مقابل وقف الهجمات وتقديم الدعم لإنشاء جيش افغانى قادر على البقاء. ليس من المتوقع حدوث تسوية سريعة ولكن إنشاء روابط الثقة تدريجيا من شأنه أن يكون أساسا للتفاهم النهائي. من ناحية أخرى ينبغي أن يتحول التركيز من حملات القصف إلى التسوية السياسية والتنمية الاقتصادية وإعادة الإعمار. إن الجهود المبذولة لبناء السلام يجب أن يتم الاضطلاع بها في كل منطقة وفي كل قرية على حدة من خلال ترتيبات تقاسم السلطة وتوزيع موارد التنمية في المجتمعات المحلية، وهذه الخطوة تحتاج إلى دعم من جميع أصحاب المصالح الإقليمية، ولابد أن تصاعد واشنطن في التنسيق بين هذه الآراء الإقليمية والتي لا بد أن تشمل إيران وروسيا.

المزيد من الدعم للاستراتيجية الإقليمية تجاه أفغانستان وباكستان يعنى خلق نهج يعزز الأمن والاستقرار

استعراض السياسات المختلفة وهي تؤكد خطورة الوضع وتعترف بأن السياسة الحالية لا تعمل مما يشير إلى احتياج الوضع إلى استراتيجية وليس مجرد رد فعل.

لقد أدت سلسلة من الأخطاء الاستراتيجية وسوء تحديد الأولويات إلى تدهور خطير لموضع الأمن في أفغانستان ودفعت جبهة الحرب إلى المنطقة الحدودية مع باكستان. تسبق كثير من هذه التفاصيل من حقيقة أساسية هي أن الحرب في أفغانستان قد نتجت من الظروف المألة التي خلفتها هجمات ٩/١١ وبالتالي فإن هذه الحرب تفتقر إلى استراتيجية واضحة المعالم والأهداف.

يلتزم الرئيس أوباما بزيادة أعداد القوات في أفغانستان ولكن بدون إحداث تغيير جذري في الاستراتيجية وهذا لن يتبعه انهيار الأمن في البلاد. لقد نشرت موسكو في ذروة احتلالها لأفغانستان ١٥٠ ألف جندي وهي لا تزال عاجزة عن تجنب الهزيمة في أرض تعد مقبرة للإمبراطوريات.

لا يمكن تجاهل المبرور التاريخي في مثل هذه الظروف الخطيرة حيث يتطلب الوضع استراتيجية أكثر واقعية تكون موجبة إقليميا ويتميز نهجها بالشمول. إن إعادة النظر في الاستراتيجية يجب أن يبدأ بإعادة تحديد أهداف الولايات المتحدة مع ضرورة التمييز بين اختيار أداء ما هو حيوي، تعطيل الشبكات الإرهابية، وبين ترك ما هو أفضل للأفغان وهو بناء الديمقراطية وتحويل المجتمع. لقد حاولت واشنطن وحلفاؤها في حلف شمال الأطلسي فعل العديد من الأشياء

لبنان - وفي أفغانستان فإن المشاركة لمحادثات مباشرة مع إيران سوف تكون ضرورة حتمية للإدارة الأمريكية، فيدون التعامل مع إيران لن تكون هناك إمكانية لتصيير في السياسة فيما يتعلق بهذه المسائل، مشمولا في ذلك التوصل إلى حل للقضية النووية.

لقد وعد أوباما بإعادة ترتيب الأولويات الاستراتيجية، التحول من العراق والتركيز على أفغانستان. يهدف هذا إلى تصويب خطأ كبير وقعت فيه أفغانستان لإعطاء أولوية استراتيجية لحرب لا طائل منها في العراق. كان هذا التحول في الاستراتيجية الأمريكية سببا في تعزيز الشعور لدى المسلمين على مستوى العالم بأن المول الإسلامية كانت مستهدفة لعدوانية واشنطن.

يتطلب التعامل مع هاتين الحربين الصعبتين اتخاذ قرارات صعبة، إن تنفيذ التهديد بالانسحاب من العراق سوف يكون مبنيا على إيجاد توافق في الآراء سواء على المستوى الداخلي بما يشمل توازن القوى بين زعماء الشيعة والسنة أو على المستوى الخارجى في إيران التي سوف يكون دورها حاسما.

الجيـهات

وفاء بوعدنا إعطاء أولوية لأفغانستان وباكستان سيكون التحدى الأكبر لسياسة إدارة أوباما هو تأسيس استراتيجية شاملة لأفغانستان حيث تلاحظ أجهزة الاستخبارات الأمريكية وجود دوامة، تسيطر على الوضع هناك مما دعا واشنطن أن تبدأ بالفعل في

الممكن معالجة كل منها على حدة وكوت من هذه التهديدات تهديدا واحدا ضخما وغير متميز. وللمسيطرة على ردود الفعل كانت الوسيلة العسكرية لها الأولوية بالرغم من أن مكافحة الإرهاب تتطلب الجمع بين القوة الصارمة والقوة الناعمة فضلا عن مجال واسع من الأدوات السياسية تكون فيها الأهمية الأعظم لسيادة القانون والاستخبارات. إن لغة الحرب ترفع الإرهابيين - عن غير عمد إلى مكانة المحاربين وتعرض رؤية ملحمية لصراع مفتوح وحرب لا نهاية لها. يحمل هذا النوع من الخطاب عواقب وخيمة على السياسة الأمريكية بإخضاع كل المصالح الاستراتيجية والأهداف الأخرى لهم واحد شامل. ينبغي للولايات المتحدة إلغاء كل من هذه اللغة والاستراتيجية واستبدالهما بنهج آخر تتعامل من خلاله أمريكا مع قضية مكافحة الإرهاب باعتبارها أرى أمريكا مؤسسة متعددة الأبعاد تتحدى بقوة الغاوب.

انتقل الآن إلى السياسة، إن الخطوة الأولى والأكثر أهمية والتي ستهم في تحويل المناخ النفسى في الشرق الأوسط هي الإشارة إلى حل مكرر للقضية الفلسطينية. حيث يشير هذا الموضوع بالغ الأهمية المسلمين في كل مكان لأنه أصبح رمزا للاستصهاة والمظالم التاريخية. إن عناصر التسوية معروفة جيدا ومعترف بها حتى من جانب الإسرائيليين. السؤال الحقيقي هو ما إذا كانت إدارة أوباما ستكون مستعدة فعلا للتصعد على إسرائيل لتحقيق تسوية تمنح العدالة للشعب الفلسطيني. على صعيد كل قضايا الشرق الأوسط - الأحداث في فلسطين، العراق،

كتاب الزاوية



من شعر الحلاج

التبليّة

لَيْكَ لَيْكَ يَا سَرَى وَجَوَائِي
لَيْكَ لَيْكَ يَا قَهْدِي وَمَعْنَائِي
أَدْعُوكَ بَلِّ أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَيْكَ فَهَلْ
نَادَيْتُ أَيَّاكَ أَمْ نَاجَيْتُ أَيَّائِي
يَا عَيْنَ عَيْنٍ وَجُودِي يَا مَدَى هَمَمِي
يَا مَنْطِقِي وَعِبَارَاتِي وَيَا عِمَائِي
يَا كُلَّ كَلِّ يَا سَمْعِي وَيَا بَصْرِي
يَا جَمَلْتِي وَتَبَاعِيضِي وَأَجْزَائِي
يَا كُلَّ كَلِّ وَكُلَّ الْكَلِّ مَلْتَبِسٍ
وَكُلَّ كَلِّكَ مَلْبُوسٍ بِمَعْنَائِي
يَا مَنْ بَهْ عُلْفَتِ رُوحِي فَقَدْ تَلَفْتُ
وَجِدَا فَصُرْتُ رَهْنًا تَحْتَ أَهْوَائِي
أَبْكِي عَلَى شَجْنِي مِنْ فَرْقَتِي وَمَلْنِي
طَوْعًا وَيَسْمَعُنِي بِالنَّوْحِ أَعْدَائِي
أَدْنُو فَيَمْدَعُنِي خَوْفٌ فَيَقْلِقُنِي
شَوْقٌ تَعَكَّنَ فِي مَكُونٍ أَحْشَائِي
كَيْفَ أَصْنَعُ فِي حَبِّ كَلْفَتْ بِهِ
مَوْلَايَ هَدْمَ مَنْ سَقَمَى أَطْيَائِي
قَالُوا دَاوُءْ مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُمْ
يَا قَوْمُ هَلْ يَتَدَاوَى الدَّاءُ بِالْأَدَائِي
حَتَّى لَمَوْلَايَ أَضْئَانِي وَأَسْقَمِي
كَيْفَ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَوْلَانِي

ولكن بتدعيم الاقتصاد ومعالجة الخصومة الطويلة مع الهند. إن الاقتصاد غير المستقر لباكستان يحتاج إلى الدعم الدولي، وينبغي أن تترجم المساعدات الاقتصادية في شكل المزيد من التجارة وليس المعونات الاقتصادية. يجب أن تعرض الولايات المتحدة اتفاقية بشأن التجارة الأفضل لدى باكستان وهي تجارة المنسوجات الباكستانية - شريان الحياة الاقتصادية - ولابد أن يكون ذلك هو محور المساعدة الاقتصادية وينبغي النظر في إلغاء الرسوم الجمركية تماما لفترة محدودة. التجارة تخلق فرص العمل والدخل الدائم وهي أدوات أكثر فعالية في مكافحة الإرهاب من القنابل والرصاص.

في حديث معه تم قبل الانتخابات الأمريكية اعترف الرئيس المنتخب أوياما بضرورة حل النزاع طويل المدى حول كشمير لتمكين الجيش الباكستاني من التحول من التركيز على التهديد التقليدي المتمثل في الهند إلى مكافحة التمرد للمساعدة على تحقيق ذلك يتعين على واشنطن والتقلب على تردها المعتاد في المشاركة في النزاعات حول شبه القارة الهندي ويدا لا من ذلك تبادر إلى إطلاق مبادرة ديبولوماسية تهدف إلى التوصل إلى تسوية للخلافات بين باكستان والهند. يعد هذا الأمر أكثر إلحاحاً في أعقاب الهجمات الإرهابية التي وقعت في ممباي

خاتمة

أهم التغييرات السياسية التي تحتاج الولايات المتحدة إلى الإشارة إليها لبداية جديد مع العالم الإسلامي هي: إيجاد حل عادل للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، تسوية واسعة النطاق للخلافات مع إيران لمنع طهران من الاستقرار الإقليمي الذي تراه من عليه، إنهاء الاحتلال الأمريكي للعراق بالانسحاب المنظم، استراتيجية جديدة أكثر واقعية في أفغانستان تفصل بين القاعدة وطالبان وتركز على بناء جيش أفغاني فعال وأجهزة أمنية لتمكين القوات الأجنبية من الانسحاب النهائي من أفغانستان مع المساعدة على تعزيز الاستقرار في باكستان.

هذه التغييرات سوف تمكن العالم الإسلامي من إصلاح نفسه ومعالجة أوجه العجز في التنمية والحرية التي ما تزال تسبب في إعاقة التقدم لربع سكان العالم. ■

في كلا البلدين من خلال دعم متبادل. الاستراتيجية التي تستهدف هزيمة أفغانستان سوف يصيبها الشحوب والهزال في حال وضعها في مواجهة هدف آخر هو هزيمة باكستان. بالنسبة لباكستان فإن الخطوة الأولى ذات الأهمية الأعظم هي معالجة نقص الثقة الذي يميز علاقتها مع الولايات المتحدة، فتلك العلاقة تتسم بالتباين والاستقرار على مستوى القيادة فقط أما النطاق الأوسع والمتمثل في المؤسسات ووسائل الإعلام والشعب في البلدين فإنهم ينظرون للولايات المتحدة بعين الريبة والعداء. تغيير تلك النظرة إلى النقيض يتضمن بناء الثقة وهذا ما يجب أن يكون ضمن الأولويات الملحة لأوياما لأنه بناء على ذلك سوف تتحدد نوعية التعاون بين واشنطن وإسلام آباد والذي على أساسه ستوهر القدرة على التبعية وعلى إحلال الاستقرار في المنطقة.

يجب أن توثق واشنطن الضربات التي تقوم بها من جانب واحد في المناطق القبلية الباكستانية، فقد أدى النهج العدواني الذي تتبناه إلى إضعاف الرأي العام وعرض جهود إسلام آباد لمكافحة التمرد إلى خطر زعزعة الاستقرار في بلد يش من الأصل، بدلا من ذلك يجب على واشنطن أن تساعد على تعزيز قدرة باكستان على احتواء المتشددين، يقضول الجيش الباكستاني إنه يخوض حربا غير متكافئة حيث يقاتل بأسلحة تقليدية بسبب أن الولايات المتحدة ما زالت تنكر عليه الأدوات التي يحتاجها في مكافحة التمرد ولابد أن يكون لهذه المشكلة حل.

ينبغي على إدارة أوياما التوقف قطعيا عن التعامل مع باكستان كمجرد قوة مساعدة مأجورة بدلا من حليف له قيمته، حيث كان ذلك من تركه يوش. لقد دفعت باكستان لثمن باهظا - سواء على المستوى الإنساني أو على مستوى الأضرار المترتبة على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي - لكونها حليفا للولايات المتحدة، فقد لقي الآلاف من الناس من بينهم ثلاثة آلاف من موظفي إنفاذ القانون حتفهم في أعمال العنف الإرهابية منذ عام ٢٠٠١. وطبقا لقول وزير الخارجية الباكستاني تقدر التكلفة الاقتصادية بنحو ٣٤ بليون دولار أمريكي في الفترة نفسها. وأن التكلفة بلغت في العام الحالي وحده ثمانية ونصف بليون دولار أمريكي.

لابد للنتج الأمريكي الجديد مع باكستان من الاعتراف بأن استقرار البلد لا يتوقف فقط على احتواء التشدد

■ ■ ■ المعتاد أن تحارب وكالة الاستخبارات المركزية CIA، أعداء بعيدين، ولكن في الأسابيع الماضية كان قادتها منشغلين بخصم محلي، فعلى بعد أميال قليلة من مقر الوكالة في لانجلي، بولاية فيرجينيا، شى نائب الرئيس السابق، ديك تشيني، هجومًا شديداً على السياسات الحدية لإدارة أوباما فيما يتعلق بالأمن القومي. لقد اتهم تشيني، - أثناء حديثه أمام المعهد التحازي الأمريكي Enterprise Institute، - الإدارة الجديدة بجعل الشعب الأمريكي أقل أمناً، من خلال منع أساليب الاستجواب القاسية للـ CIA، مع مشتبهى الإرهاب، والتي كانت إدارة بوش، قد أقرتها. اتهم تشيني، بأن إيقاف تلك الاستجوابات أمر غير حكيم للمرة، إنه الاستهتار بعينه في ثوب من الصلاح.

وقد علم ليون بانيتا Leon Panetta المدير الجديد للـ CIA، والرجل الذي يحمل على كاهله معظم مسؤولية إلقاء الوطن أمنًا تفاصيل خطاب تشيني. عند وصوله إلى مكتبه بالطابق السابع من مقر الوكالة كان بانيتا، قبل ذلك ساعة يقف بجوار الرئيس باريك أوباما، أثناء إلقائه خطاباً في دار المحفوظات الوطنية. أكد فيه أن أمريكا تستطيع «محاربة الإرهاب مع الالتزام بسيادة القانون». في يناير، منعت إدارة «أوباما» استخدام الأساليب «الحسنة» التي أقرتها إدارة بوش، للوكالة، بما في ذلك الغمر بالماء waterboarding، لتقييد المعتقل على لوح خشبي مع تغطية الوجه بقناع من الضماش وسكب الماء على وجهه حتى يقترب من الاختناق المترجم وحرمان السجناء من النوم لمدة تصل إلى أحد عشر يوماً. وقد رد «بانيتا» - وهو يسكب هنجانا من القهوة على خطاب تشيني، صراحة مدله، حيث ذكر لى، اعتقد أنه شعر بنخلة ضعف فيما يتعلق بقضية الأمن القومي. إنها تقريبا سياسة لوث. عندما تقرا ما يبر السطون، فأليك نكتشف كما لو أنه يمتنى لو هوجمت البلاد مرة ثانية حتى يثبت وجهة نظره. اعتقد أن تلك سياسة خطيرة.

كان «بانيتا» أيضا يمتص النقد من اليسار. ففي اليوم السابق، كانت مجموعة من الشطاء من حماة حقوق الإنسان قد تم إطلاعهم من قبل «أوباما» بصورة غير رسمية، حيث ناقشوا خططه للتعامل مع مشتبهى الإرهاب. وقد أعرب بعض حماة حقوق الإنسان عن استيائهم مما اعتبروه استمراراً ضمنياً لنهج بوش. ووفقاً لما ذكره أحد المشاركين، فقد

ترتيب مع.

The New Yorker

ترجمة عادل فتحي

وجهاً نصل ٢٦

جين ماير



الماضى يطارنا



DANE GRANUNDO © www.danegranundo.com

مأزق CIA

حذر «أوباما» المجموعة من أن مثل تلك المقررات كانت «غير مفيدة». ومع ذلك، فقد واصل «كينيث روث» المدير التنفيذي لمنظمة «مراقبة حقوق الإنسان Human Rights Watch»، والذي كان حاضراً اللقاء، واصل إدانة الإدارة بسبب لحوالها إلى «الاحتجاز الوقائي» - أي اعتقال مشتبهى إرهاب محدد دون محاكمة لفترة غير محددة. وذكر «روث» أن موقف «أوباما» «يحاكى النهج التمسقى لإدارة بوش».

منذ يناير، كانت الـ CIA، بؤرة صراع يومي تقريبا، حيث يحاول «أوباما» استعادة سيادة القانون في الحرب الأمريكية ضد الإرهاب، دون التضحية بالأمان أو بفقدان دعم الديمقراطيين المحافظين أو الناخبين المستقلين. حتى الآن، أصر «أوباما» على محاولة إعادة معايرة سياسات الوكالة دون التحقيق في أخطاء الماضى أو إلقاء مسؤوليتها على أى شخص. وقد علق في المتصف، بانيتا، الذى وصل إلى سن السبعين وليست لديه فعليا أية خبرة بمسجال الاستخبارات، بالفعل فإن مؤهلاته لتولى إدارة وكالة التجسس الأولى في العالم كانت غير مرجحة، لدرجة أنه عندما عرض «جون بوديستا» رئيس العريق الانتقالي لـ «أوباما» المنصب عليه، رد «بانيتا»: «هل أنت متأكد؟». وقد أكد «بوديستا» لـ «بانيتا» أن وضعه كدخيل على الإدارة هو ميزة في الواقع. فقد ذكر «انت» لا تحمل ذنوب المسنونات الماضى الماضية. كما أن الرئيس يريد شخصا قادرا على التحدث معه بصراحة حول تلك القضايا...

ورغم أن «بانيتا» قد خدم لفترة قصيرة في الجيش منذ نصف قرن، فإن سمعته تقوم بالكامل تقريبا على هيئته على السياسة الداخلية. فطوال ستة عشر عاما، كان عضوا ديمقراطيا بالكونجرس عن موطنه «مولتنيرى» بولاية «كاليفورنيا». وفي عام ١٩٨٩، أصبح رئيس لجنة الميزانية بالكونجرس، مما جعله اختيارا طيبعا كأول مدير ميزانية للرئيس «بيل كلينتون». وفي عام ١٩٩٤، أصبح رئيس هيئة موظفى «كلينتون».

لقد شب «بانيتا» - وهو ابن مهاجرين إيطاليين - على غسل الصحون في مطعم والديه. وهو يتسم بالصراحة اللطيفة وله ضحكة خفيفة. وهو أيضا انضباطى صارم ومدمن للعمل. يقول زملاؤه إن «بانيتا» الذى يحضر القداس بانتظام - يمكنه أن يلتزم بالمبادئ لدرجة الصرامة. بصورة جزئية، كانت استقامة «بانيتا» ولاء حصوله على وظيفة الـ CIA، أثناء سنوات «بوش». ندد «بانيتا» بضياغ السلطان الأخلاقى فى البلاد. وفي مقال شديد اللهجة فى مجلة «واشنطن مونثلى Washington Monthly» العام الماضى، أعلن أن الأمريكيين كحولوا من «أبطال الكرامة

الإنسانية وحقوق الفرد، إلى أمة من سادة التعذيب. وقد خصل إلى «إما أننا لؤوس بكرامة الصرد وسيادة القانون ونحظر العنف القاسي غير العادي، وإما أننا لا نؤمن بذلك، وليس هناك موقف وسطى».

أصبح الحال الملتبئ لـ «بانيتا» على غير المتوقع - ذا قيمة كبيرة أثناء فترة «أوباما» الانتخابية، بعد تعرض جون بريشان - المرشح المبشئ كسيندر لـ «CIA» - لصفوف للاندسحاب. وقد اتهم المنشقون بريشان - الذي كان مسئولاً رئيسياً بالوكالة أثناء سنوات «بوش» - بالتواطؤ مع برنامج التعذيب. (شكا إلى أحد أصدقاء «بريتان» منذ أيام CIA، بعد أن قام البعض من المدونين أكلي المحرمات من يعملون في السراييد بملاسهم الداخلية بتسجيل احتجاجات صوتية ضد «بريتان»، قامت إدارة «أوباما» بسحب اسمه بمجرد ظهور الدخان، ثم قامت بتجنيد مجموعة كاملة من العاملين، كل من عمل في الوكالة أثناء السنوات العشر الأخيرة لم يستطع أن يجتار اختبار المدونين.

كان لدى «بانيتا» مؤلف قوي آخر: كان مقرباً من «رام إيمانويل» الرئيس الجديد لهيئة الموظفين. وقد استبشيت السيدة الأولى السابقة «هيلاري» كلينتون، وأخرون في تسريب «إيمانويل» - الذي كان يعمل مديراً سابقاً للبيت الأبيض أثناء إدارة «كلينتون» - للمعلومات، وكان أن يصمم، فقد تلقوا «إيمانويل» فيما يسميه «الحقيقة المخفية». ومع ذلك، عندما أصبح «بانيتا» رئيساً لهيئة الموظفين، فقد أعاد تعيين «إيمانويل» كمساعد رئيسي. وأجبرته «بانيتا»؛ اعتقدت أن لديه الكثير من الخبرات العملية وحسن سياسى جيد.

في عام ١٩٩٤، اكتشف «بانيتا» لخبية أملة - أن الرئيس قد تحول في هدوء إلى «ديك موريس» وهو مستشار سياسى له سمعة أخلاقية مثار شك. يتذكر هارولد أ. أيسك (السابق في البيت الأبيض «بانيتا» وهو يسير في المحررات في وقت متأخر من إحدى الليالي ويقول إنه في حاجة إلى الاستحمام بعد حضور اجتماع مع «موريس»، وفي وقت لاحق، نشرت صحيفة موجهة تقريراً بأن «موريس» كان يلتقي بجماعة في فندق قريب بواشنطن. وفي عام ١٩٩٧ ترك «بانيتا» البيت الأبيض بالتمام مشترك، وقام مع زوجته سيلفيا، بتأسيس معهد نانيتا للسياسة العامة (Pameta Institute for Public Policy) - وهو معهد غير حزبي في شمال كاليفورنيا. وفي يناير عام ١٩٩٨، تم الكشف عن تورط «كلينتون» في علاقة خارج الزواج مع «مونيكيا لونسكي» المتدربة السابقة لدى «بانيتا». في ذلك الوقت، وصف أحد زملائه «بانيتا» بأنه «خبأ خلفه كثيراً في بييل كلينتون» بسبب «مونيكيا لونسكي». فقد



«ديك تشينى» إدارة أوباما بجعل الشعب الأمريكى أقل أماناً، من خلال منع أساليب القاسية لـ CIA، مستبهي الإرهاب



اعنبره رجلاً يفترق إلى الانضباط الشخصى».

بعد عشر عاماً طلب «باراك أوباما» نصيحة «بانيتا» حول من قد يصلح لأن يكون رئيساً جديداً لهيئة الموظفين. وقد رفح «بانيتا» «إيمانويل» قائلاً له: «إن «رام» يعرف طريقة جيدة، كما يعرف البيت الأبيض تماماً، كما أنه يتمتع بقوة الشبكية اللازمة للموظفة». «بانيتا» توطئة الـ «CIA»، وقال عنه «متبع «ليون» بحكمة بالغة ويوصله ممتازة. وهو مدير رائع ويشق به كل الحزبان» (كان «بانيتا» جمهورياً حتى عام ١٩٧١). وفرد الاختيار بعض موظفى الـ «CIA» السابقين، مثل «تابلور» «دراميلر» الذي تقاعد عام ٢٠٠٠ كرئيس للعمليات السرية في أوروبا، حيث قال لـ «ليس أمراً سيئاً جداً وجود شخص قوى قادر على إقناع الرئيس». وقد تنبأ أن «بانيتا» «سوف يستعيد سلامة العملية الاستخبارية. وهذا أمر في غاية الأهمية» بعد كل ما مررت به في العراق وإدعاءات «بانيتا».

ويصف «مايكل والدان» - الذي كان الكاتب الرئيسى لخبط الرئيس «كلينتون» - الذي تدير الآن «مركز بريان للعدالة» (Brennan Center for Justice) في كلية الحقوق بجامعة نيويورك، يصف «بانيتا» بأنه «واحد من أكثر الناس في الحكومة جدارة بالاحترام وأكثرهم لعملاً وانضباطاً، ولكنه يعتبر «أمراً» مثلاً لأنه كان متفاداً شديداً للوكالة. ونظراً لما عرف عن «بانيتا» من استقامة والموال الرئيسى لـ «CIA»، في فضيحة الاستجوابات، فقد تعامل «والدان» «هل سيحافظ على استقامة المردود أن يتعرض للاعتراض»؛ وأضاف: «إن وكالة كهذه يمكنها أن تثير ولع مديريها، هذا هو التحدى» عليه أن يتقدها ويصلح من شأنها في الوقت نفسه».

هناك تاريخ متناقض للدخال الذين تولوا مسئولية الـ «CIA»؛ فكثر ما يشار إلى «جون ماكون» قبط الشن الشهير في كاليفورنيا والذي أدار الوكالة في عهدى «كينيدى» و«جونسون» باعتباره من أخرج مديريها - فنشروا التعذيب ولكن كهمس ميكانيكى، فقد برع في تقييم تهديدات الأسلحة التقليدية والنووية. ولكن كان هناك خللاً آخرين قولوا بقاء شديد. كان «جيمس شيلزنجر» قد اختير مديراً لـ «CIA» من قبل الرئيس «ريتشارد نيكسون» بعد أن كان رئيساً للجنة الطاقة الذرية. وبناء على تعليمات بـ «التخلص من المهرجين» أقال «شيلزنجر» وأجبر على التقاعد أكثر من خمسمائة محمل وألف عميل سرى. وقد تلقى تهديدات بالقتل ولم يبق في منصب سوى ستة أشهر. وفي عام ١٩٩٥، قام الرئيس «كلينتون» بتعيين «جون دويتش» الذي كان قد خدم سابقاً في وزارة

الدفاع، في المنصب. وقد حاول «دويتش» تحسين عملية الإشراف على القيام عميل في جواتيماً لا يلتصق على عمليتى قتل. وقد هوجم «دويتش» من قبل العديد من العملاء السريين. وترك الوكالة بعد ثمانية عشر شهراً. وفي النهاية جرى اتهامه بإساءة التعامل مع الوثائق السرية وتم تجريده من تصريحه الأمنى. يقول «مايكل والدان»؛ «أت تختار الـ «CIA» على مسئوليتك الخاصة».

ومع ذلك، يعتقد الكثير من النقاد أن الوكالة يجب أن تتفاهم مع ميراث عهد «بوش». فخلال السنوات القليلة الماضية، ظهرت دلائل لا تقبل الشك على أن الوكالة قد فقدت دوافعها الأخلاقية بعد الحادى عشر من سبتمبر. وقد اطلع الرأى العام على تقرير سرى للسلصلى الأخصر مع وثائق حكومية سرية سابقة لا تدع مجالاً للشك في أن الوكالة أخضعت عشرات من مشتبهى الإرهاب لقسوة جسدية ونفسية مطولة. لقد قيد العملاء السجناء بالأصفاد الأسايخ في أوضاع ملتوية؛ وقيدوهم بالسلاسل إلى الأسقف لا يرتدون سوى الحفاضات؛ واستغلوا مخاوفهم المرصية؛ ودهموهم بالبرؤوس إلى الجدران. وقد توفى ثلاثة من السجناء على الأقل

من التعذيب جنائى. وفي بعض الأحيان يعد جريمة كبرى. وتلزم «الاتفاقية ضد التعذيب» (The Convention Against Torture) - التى صدقت عليها أمريكا عام ١٩٩٤، تلزم الحكومات باتخاذ الإجراءات القضائية ضد كافة أعمال التعذيب، ويعد التعاضد من ذلك خرقاً للقانون الدولى. وقد حازت قضية التعذيب أهمية زمرية أثناء الحملة الانتخابية عام ٢٠٠٨. وعندما تولى «أوباما» منصبه توقع الكثير من مؤيديه الليبراليين أن يوقع العقاب بمرتكبى الإساءات. وقد مارس الزعماء الديمقراطيون في الكونغرس ضغطاً خاصة من أجل اتخاذ إجراءات حاسمة. وقام السيناتور «كارل ليفين» رئيس لجنة الخدمات المسلحة (Armed Services Committee) بالتحقيق في دور الجيش في إساءات الاعتقال والاستجواب. ولكن محدودية سلطة لجنته منعت من التحقيق في دور الـ «CIA»؛ ولكنه حث المحص العام الجديد «إريك هولدر» على فتح تحقيق، قائلاً له: «هناك حاجة لتوثيق عمليات التعذيب في هذا البلد». وطالب السيناتور «بارتريك ليرى» رئيس اللجنة التشريعية بتشكيل «لجنة حقائق» مستقلة لمساندة منع الحصانة للشهود، مما يساهم في حماية إدارة «أوباما» من الاتهامات بأنها كانت تستغل قضية التعذيب لتحقيق مكاسب حزبية. إن دور الـ «CIA» في تقديم معلومات استخباراتية مضللة بشأن وجود أسلحة دمار شامل في

العراق آثار أيضا دعوات للإصلاح. وقد أخبرته السيناتور «ديان هاينشتاين» الرئيس الجديد، «لجنة الاستخبارات Intelligence Committee»، ليس هناك تصويت قدمت عليه أكثر من التصويت على تمويل الحرب على العراق، لقد صوتت اعتمادا على معلومات استخبارية وصفتها بأنها «مطلوبة تماما»، وتواصل «فاينشتاين»، «أنا مصممة تماما على إصلاح عملية جمع وتحليل الاستخبارات».

بمجرد تولي «أوباما» منصبه، قام بتغيير معظم أوجه سياسة التحقيق الخاصة بإدارة «بوش». فقد أصدر أمرًا تنفيذيا يحرم العاملة غير الإنسانية للجنود من قبل أي مسؤولين حكوميين، وأمر آخر بإغلاق شبكة سجون «المواقع السوداء» السرية الخاصة بالـ CIA، والتي امتدت من بولندا حتى تايلاند، كما تعهد بإغلاق السجن العسكري في خليج جوانتانامو بكوبا والذي يحتجزه أربعة عشر سجينًا سابقًا للـ CIA، ولكن رسالة «أوباما»، كانت مشوشة بلا تمييز فيما يتعلق بفضية المساءلة. فقد ذكر أن المدعي العام «هولدر»، هو الذي يجب أن يقرر اتخاذ إجراء جنائي من عدمه، كما ذكر أيضا أنه سوف يندمج أي تحقيق إضافي للكونجرس طالما جرى ذلك بصورة غير حزبية، في الوقت نفسه، أشار «أوباما» إلى أنه لا يسعى «لتنظر للنفس»، وقد رفض في أبريل أثناء اجتماع خاص في البيت الأبيض مع زعماء الكونجرس - فكرة تشكيل لجنة حقائق خارجية، في الوقت نفسه، تلقب الجمهوريون المبادرة السياسية بمبررين عن محاورهم العميقة تخطط لإغلاق جوانتانامو ونقل السجناء إلى منشآت داخل الولايات المتحدة.

يقول «تيم واينر» مؤلف كتاب «ميراث الرصاص» Legacy of Ashes، وهو عن التاريخ الحديث للـ CIA، إن «ديانيتا» يواجه سلسلة من «الاختبارات غير المفيدة»، يعتقد «واينر» أن البلاد تمر بفترة مشابهة لحقبة «ووترجيت» Watergate، عندما كشفت سلسلة من الأسرار المزعجة للدولة، مثل وجود «برنامج فيونكس» Phoenix Program، (برنامج عسكري استخباري امضي، المزعج) وهو مبادرة دعمتها الـ CIA، تردد أن المخابراتيين الحنوبيين قاموا من خلالها بتعذيب مدنيين. وعند الحديث عن «ديانيتا»، قال «واينر»، «ليس بالأمر المريح لرجل قال «ليس هذا من شيم أمريكا، أن يوضع في موقف يقول فيه حسا، أنا نالقي بالمشكلة على أحد».

«ديانيتا»، الذي كان حديثه مضي في مقر الـ CIA، هو أول مقابلة مطولة له حول قضية الاستجابات المسببة إنه حينما تولي إدارة الوكالة، أراد أن يكون متأكدًا تمامًا، أنه ليس هناك على جدول

الرواتب شخص واحد يجب مقاصلاته بسبب التعذيب أو الجرائم المتعلقة به. وقد طلب من «جون هيلجرسون» - المفتش العام للـ CIA، في ذلك الوقت - أن يقوم بمراجعة ذلك، من الناحية النظرية، فإن المفتش العام مستقل سياسيا، وهو بذلك يستطيع إصدار أحكام غير متحيزة. كما «هيلجرسون» كتب عام ٢٠٠٤ تقريرا سريا عن برنامج الـ CIA، العسري الخاص بالاستخبارات والاستجواب، تعامل فيه عن قانونية وفعالية الأساليب الوحشية التعسفية للوكالة. وقد استشهد «ديانيتا»، بمصداقية «هيلجرسون» بسبب اللوثوق بحكمه. ووفقا لـ «ديانيتا»، فقد أكد له «هيلجرسون»، الذي لا يعمل بالوكالة - أنه لا يوجد بالوكالة حاليا أي موظف تورط في أعمال تجاوزت الحدود القانونية التي كانت مفهومة - أثناء حكم «بوش». يقول «هيلجرسون» - الذي تقاعد من الوكالة في مايو إنه لم يحبر «ديانيتا» سوى أنه لم يكن على علم بأي فضائيات تستحق المحاكمة رغم استمرار أداءه الممتاز.

أخبرني «ديانيتا»، «سامح العاملين ميزة الشك. إنه أقالوا بأداء العمل الذي يتوقعون عليه اجرا، فليس لدى ميرر لأي أعطب المزيد». كانت كمدية تردده كلمات الرئيس «أوباما» الذي تعهد في السادس عشر من أبريل بمنح الحصانة ضد الملاحقة القضائية لأي موظف بالـ CIA، اعتمد على نصيحة مستشار قانوني أثناء حكم «بوش»، ويشرح «جيفري» هس، سميت المستشار العام الأسبق بالـ CIA، إلى ذلك باعتباره مبرارا، منخصا، على أساس أن ما أقرته وزارة العدل كان أمرا غير أخلاقي، فعلى سبيل المثال، كانت الولايات المتحدة وأكثر من قرن من الزمان - تحيل إلى المحاكمة عمليات الغمز بالأمم باعتبارها جريمة خطيرة، كما صمد بذلك حكم بالسجن لمدة عشر سنوات في عام ١٩٨٣. بالفعل فإن المذكرات التي تتحول للحقنيين تعذيب السجناء تعظم على نحو جلي مع القانون الدولي والقانون الأمريكي، لدرجة أنه قد تم سحب البعض منها لاحقا بواسطة المحامين من نفس وزارة العدل إبان حكم «بوش». يعتقد «سميت» الذي قدم النصح بصورة غير رسمية، «أوباما» حول كيفية التعامل مع ميراث أسامات إن الـ CIA، الإحالة للمحاكمة أمر غير قابل للتطبيق سياسيا في المرحلة الحالية، وأنها ستكون في جميع الأحوال غير عادلة بالنسبة للموظفين الذين اعتقدوا أنهم ملتزمون بالقانون. وقد أكد الكثير من الجمهوريين بداية من «ديون» جبرجيتش، إلى «جون ماكين» أن توجيه الاتهامات ضد مسؤولين حكوميين قد يهدد الروح المعنوية ويهدد المخاطرة في وقت تواجه فيه الوكالة الحرب على

أناق CIA



أعرب بعض حماة الإنسان من استخباراتهم مما اعتبروه ضمنيا النهج «بوش»



جهتين وتهدية مستمرا من تنظيم القاعدة. ويعترض على ذلك «لورانس تراسي»، أسنان القانون بجامعة هارفارد، فيقول: «المصعب عدم اتحاذ أي إجراء ضد من ارتكبو تلك الأفعال». ليس من غير المعقول أن نتصور أنه حتى المحصنين بالأراء القانونية يمكن اعتبارهم مسؤولين قانونيا عن انتهاك القانون الجنائي فيما يتعلق بالتعذيب.

أخبرني «ديانيتا»، «بمراجعة، أنا لم أؤيد تلك الأساليب التي استخدمت، أو المبررات القانونية وراء استخدامها. كما اعتقد أنني لو توليت هذا المنصب فسوف أتناول مع التهدييات المبرحة وأحاول فعلا الوصول بالـ CIA، إلى مرحلة جديدة، وقال إنه إذا ما تيقن أنه لا توجد مسؤولية جنائية داخل الوكالة فإنه «لن يرغب في إضاعة الكثير من الوقت في التعامل مع الماضي ومافية الأخطاء التي ارتكبت».

على أية حال، فقد تبين أن «ديانيتا» قد أيد في البداية تشكيل لجنة للتحقيق. وقد ذكر لي، «أنا شاعرهونا بالجنات، من جهة أخرى، يمكنني أن أقفهم - صراحة - تشكيل لجنة رفيعة المستوى من أناس مثل «ساندرافا» أوكونور، و«لي هاملتون»، كان الهدف ان يتمكن «أوباما» من تفويض الآخرين لمعالجة المشاكل القانونية الناتجة عن تصرفات إدارة «بوش»، مما يتيح له التركيز على جدول أعماله السياسي المتطوع.

قال «ديانيتا» إنه مبكرا في الربيع وأقبل أن يتخذ «أوباما» قرارا بشأن القضية في مرحلة المناقشة كنت مستعدا لها. لأنه كلما طرح سؤال يمكنك أساسا أن تقول «نأمل أن تنظر اللجنة في ذلك»، ولكن بنهاية أبريل كان «أوباما» قد رفض الفكرة خفية أن يبدو الأمر التقاميا وربما يستقر سله. قال «ديانيتا»: «كان الرئيس هو الذي قال أساسا «وهذه تلك ليبدأ الأمر وكأنني أحاول ملاحقة تشيتني، و«بوش». إنه لم يعتقد بأهمية الأمر. وبعد ذلك بدأوا أن الجميع قد تراجعوا. يعتقد «كين جود» - المدير المشترك في «مركز التقدم الأمريكي» American Progress، والمتخصص في قضايا الأمن القومي وله ملامح قوية بالبيت الأبيض - أن غريزة «أوباما» مثل «ديانيتا» كانت تتجه إلى تشكيل لجنة حقائق من نوع ما، وهو يقول، «اعتقد أن المستشارين السياسيين قد تراجعوا. وقالوا إن ذلك سيهدد إنهاء». و«توجس» المستشارون السياسيون من أي قضية يمكن أن تشعل حربا بلاخافة وتقتل من تأييد أصحاب الأصوات المستقلة. كما أنهم لا يجدون ميزة تذكر في إشعال حرب مع الـ CIA، ولكن قرار التقاضي عن المساءلة - كما يقول جود، أتى بنتائج عكسية. لقد فقدت الحكومة السيطرة على القضية. حيث تولت انكشافات أقام الـ CIA، في الظهور من خلال قضايا

أوباما، أقر أيضا مفهوم منتج مظلة عضو لأي مسئول بالـ CIA، يمارس صلاحيات عمله.

لقد دبت معارضة «بايتا»، للكشف عن الوثائق أمرا ليس من سميتها بالنسبة لزملائه القدامى. وقد أخبرني «فيل نراوشتاين»، لقد اندهشت لحلف، ليون، شأن مذكرات مكتب المستشار القانوني من الصعب أن تحافظ على مبادئك عندما تكون على رأس الـ CIA، لأنك تحتاج إلى أن تكون قدوة يرغب العاملون بالوكالة في اتباعها. ذكر أحد مسئولى البيت الأبيض مازحا أن «بايتا»، أصبح سريعا من مؤيدي السرية. كما لو أنه تحول إلى شخص آخر بسبب غزو كائنات فضائية دقيقة لجسده.

قد يكون مستشاري «بايتا»، مصلحة خاصة في معارضة الشفافية. وقد أشار مسئول آخر سابق بالـ CIA، - وكان يعرف «بريتان، جيد» - إلى أنه إذا امتد التحقيق في برنامج «بوش» للتعذيب «فريما يفض، «بريتان، ووكايس، الكثير، وقد أكد مؤيدو «بريتان، أنه لم تكن لديه سلطة عملية على برنامج الاستجواب، كما أشاروا إلى أن مدة خدمته كرتيس لهيئة موظفي، تينيت، قد انتهت في مارس من عام ٢٠١١ قبل هجمات «الفاضة»، ولكن «بريتان»، ثم اختياره لاحقا كنائب مدير تشييدي، وخدم في ذلك المنصب حتى مارس ٢٠١٢. وهي الفترة التي وقعت فيها أبشع الممارسات ضد المعتقلين، وبالإضافة لذلك، عادة ما كان «بريتان، يطعن الرئيس «بوش، بشأن التطورات اليومية في الحرب على الإرهاب. وقد وصف «بريتان، نفسه كمتقن داخلي لأسلوب العمر بالآه، وهو موقف يؤكد أنه مثل «إيميل نخلة، المسئول الرفيع السابق، ومع ذلك، فالتناء مقابلة معي منذ عامين، دافع «بريتان، عن استخدام أساليب الاستجواب «الحسنة، والممارسات غير العادية، والتي قامت الـ CIA، من خلالها بالمقضى على مشيبي الإرهاب من جميع أنحاء العالم وقتلتهم إلى بلدان أخرى لسجنهم واستجوابهم؛ وكثير من تلك البلاد سجلات حقوق إنسان مرمية. كما تساءل «بريتان، عن تعذيب بعض الناس لـ «التعذيب، حيث قال، اعتقد أن التعذيب هو أن اضطر لركوب السيارة مع أطفال وهم يشغلون موسيقى الراب بصوت عال، وعندما سألته إن كانت أساليب الاستجواب «الحسنة، ضرورية لحماية أمريكا، أجاب، هل ستكون الولايات المتحدة عاجزة إذا لم تتمكن الـ CIA، فعلا من ممارسة تلك الأساليب من الاعتقال واستخلاص المعلومات؟ سأجيب بنعم.

قال، أنتوني ليلك - مستشار الأمن القومي في عهد، «كلينتون، من «بريتان»، لقد عرفت، جون، لمدة طويلة، وهو رجل جيد فعلا. رأي أنه لا يمكن التخلص من

الوكالة كلها، في الواقع أن، «ليك، رشع «بريتان، حملة «أوباما، الانتخابية عندما كانت تبحث عن مستشاري استخباراته وذلك بعد التنازع مع صديقهم المشترك جورج تينيت، إن مجتمع الاستخبارات الأمريكي حبيب جدا، مما يجعل من اقحامه بالأساليب الفكرية القديمة أمرا صعبا على أي رئيس.

بالفعل، يقول محلل واسع الاطلاع وعلى صلة وثيقة بالبيت الأبيض إن الـ CIA، كانت تمارس صقوفها عديدة لحت «أوباما، على إقرار شكل ما من الاعتقال الوقائي لمشتبهى الإرهاب. ويتكرر مجددا رسمي الوكالة ذلك، ولكن المحلل يقول، بأن تأكيدهم برديون مرمية احتجاج الناس في شكل من أشكال الاعتقال. كانوا يقولون «نحتاج سلطات حكومية، لقد كانوا يقدّمون للرئيس سيناريوهات مفرغة.

من ناحية، اقترح «بايتا»، أن تسليم المعتقلين إلى جهات أخرى هي أداة تستحق الاحتفاظ بها. فقد بدأ برنامج التسليم - بصورة مرفعية بصافية أكثر - أثناء إدارة «كلينتون»، ولكنه تحول في عهد «بوش، إلى سماء «جون إرسدان، المعامي السابق بالـ CIA، بـ «الامر القز، لقد تم اعتقال ما يصل إلى سبعة أشخاص بطريق الخطأ، حيث لم يتم التعرف عليهم بصورة صحيحة، وزعم العديد من المشتبه بهم الآخرين أنه تم تعذيبهم بعمليات بواسطة حكومات أجنبية. أخبرني «بايتا»، «إن أسوأ أنواع تسليم المعتقلين هو التخلي إلى موقع أسود. ولن يحدث ذلك بعد الآن. فلو تم تسليم شخص ما، فسبكون ذلك إلى دولة لها ولاية قضائية عليه. ومع ذلك، فالتناء حكم «بوش، ارتكبت بعض أخطاء ادعاءات الإساءة في حق معتقلين لم يتم تسليمهم إلى مواقع سواء وإنما إلى مصر وسوريا والمغرب، يقول «بايتا، إن إدارة «أوباما، سوف تتخذ الاحتياطات لتأكد من أن المشتبه بهم الذين يتم تسليمهم سيعاملون بأساليب كما يتطلب القانون قال، «منيتا»، لقد تحدثت إلى وزارة الخارجية، وعلى رجائنا التأكد تماما من عدم إساءة معاملة الناس. ومن الواضح أن ذلك سيكون أكثر صعوبة في بعض الأماكن. ولكن سيتوجب علينا أن نضعف لتأكد من عدم حدوث ذلك. أنا ذلك، سيبدو كل ما قال، الرئيس أننا نلزم، وقد اعطيت إدارة «بوش، أنها اخفقت احتياطات مماثلة.

من الواضح أن الـ CIA، لم تفعل شيئا لعاقبة العملية التي أضرقت على أكثر الممارسات إساءة للسمعة، والمتعلقة بجائز سيارات الماني يدعى «خالد المصري. لقد تم اعتقاله أثناء فضائه عطلة في مديونيا ونقلته الوكالة جوا إلى أفغانستان حيث جرى احتجازه في زنزانة لمدة خمسة أشهر دون شك قبل أن يطلق سراحه. من البداية، شك فريق

نفاق CIA



بعد أن
قام البوم
من
المدونين
بتسجيل
احتجاجات
ضد
«بريتان»،
قامت إدارة
«أوباما» بسحب
اسمه



الـ CIA، أن تلك هي إحدى حالات الهوية المفلوطة، ولكن مسئولة الـ CIA، في «لأنجي، طلبت الوكالة إبقاء اسمها سرا - أصرت على استمرار استجواب «المصري، يتذكر أحد زملائه، «قد نظرت فقط في كرة الكريستال الخاصة بالمصري، إنه قيد بالسلاسل في زنزانة متجمدة بدون فراش وأعطوا له ماء متفصلا ضامنا إلى يشتم لاحتجته عبر العرفة. وقد تم تهديده وتجريده من ثيابه، واستطاع سماع معتقلين آخرين يصرخون جميعا من حوله. وبعد عدة أسابيع، علمت مسئولة الـ CIA، أن جواز السفر الألماني الخاص بـ «المصري، لم يكن مرموزا كما اعتُبت في البداية، وأنه لم يكن الإرهابي المشتبه به التي اعتُدت الوكالة أنه هو. (كانت الأسماء متشابهة). ورغم ذلك رفضت المسئولة إطلاق سراحه. في النهاية، بدأ «المصري، إنزرايه من الطعام وقد ستين رجلا من زمناه. وقد ذهب المشتكون في الوكالة - بدون علم المسئولة - إلى «تينيت، رأسا، والذي أدرك أن وقائته كانت تعامل برؤية رجلا بريئا. وقد تم إطلاق سراح «المصري، بعد ١٩ يوما. ولكن المسئولة لم تعاقب في الحقيقة - كما يقول زميل سابق لها - بأنه قد تم ترفيقها مرتين، في الوقت نفسه، لم يستطع «المصري، مقاضاة حكومة الولايات المتحدة لتأجيل الحصول على اعتذار أو تعويض عن الأضرار، لأن المحاكم تعتبر أن مجرد وجود عمليات التسليم سر حكومي، وهو وضع أيدته حتى أواخر وزارة العدل في عهد «أوباما، لم توجه أبدا أية اتهامات جنائية ضد أي مسئول في الـ CIA، تورط في برنامج التعذيب على الرغم من أن ثلاثة سجناء على الأقل ممن جرى استجوابهم بواسطة العاملين للوكالة قد لقوا حتفهم نتيجة لسوء المعاملة. في الحالة الأولى، تجدد دعى الموت تحت إشراف الـ CIA، في أفغانستان معتقل مجهول الهوية بعد تقييده بالسلاسل على أرض الأمل، طوال الليل مجردا من ثيابه. وقد تم دفن جثمانه في قبر غير معلوم. وفي الحالة الثانية، توفي سجين عراقي يدعى «مناضل الجمادي، في الرابع من نوفمبر عام ٢٠٠٢ أثناء استجوابه بواسطة الـ CIA، في سجن «أبو غريبه خارج بغداد. وقد اكتشف محقق جنائي أنه قد تم صلبه، ومات بسبب الاختناق بعد تلقيه من دزاعيه وهو مغشى الرأس. وقد تعرض أيضا لكسور في الضلوع. وقد صنف أعضاء الجيش الحالة باعتبارها جريمة قتل. وقد مات سجين ثالث بعد استجواب شارك في مسئول بالـ CIA، «المرغوب من الـ المسئول لم يتسبب بالوفاة على ما يبدو. (وقد اختفى العديد من المعتقلين الآخرين ولم يؤخذوا في الحسبان، وفقا لما ذكرته منظمة مراقبة حقوق الإنسان).

الثناء عمله بالـ CIA، قدم جون هيلجرسون، - المفتش العام السابق - قضية الصلب مع حوالي ستة حوادث أخرى إلى وزارة العدل لإمكانية الملاحقة القضائية. ولكن ملفات القضية تم التلاعب بها. فقد أبحر مسؤول مطلع على القضايا أن الوكالة قامت بتجريف استفسارات لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ لتطلب معلومات حول أي إجراءات عقابية داخلية. (أبحرني هيلجرسون، لقد تمت معاقبة بعض الأفراد. وهناك آخرون لم يعودوا يعملون بالوكالة).

يعترف «بانيتا» أنه مازال يعمل بالـ CIA، وبعض من تلووثوا بـ بيرجاس، التعذيب. ويقول: «أنا أحترم فعلا الناس الذين يقولون لم يكن يتوجب علينا أن نتورط في مسألة الاستخبارات، ولكن كان علينا القيام بالأعمال الموكلة إلينا. لا اعتقد، أنا بوجه معاقبة من كانوا يقومون بواجبهم. إذا كان لديك رئيس يصدر أحكاما خاطئة، فإن الـ CIA، هي التي تدفع الثمن».

في الأول من يونيو، أكد نائب الرئيس السابق تشيني، في حديث أن الـ CIA، - وليس البيت الأبيض - هي التي أشرحت أولا إيذاء السجناء أثناء الاستخبارات، حيث قال: «لقد جاءت المبادأة من جانبهم، كانت لديهم بضعة قضايا اعتقدوا فيها أن اللجوء إلى طرق الاستخبارات المصنعة سوف يأتينا بالمعلومات اللازمة. ولكن «بانيتا» كانت له وجهة نظر أخرى، حيث قال: ليس لدى أدنى شك، إن حد ما، لقد فرض علينا موضوع الاستخبارات لأن كل من الجيش ومكتب التحقيقات الفيدرالي أفسحيا منه، وهكذا كالتاب الجميع على الـ CIA». إن ذلك صحيح من الناحية الفنية، رغم أن مكتب التحقيقات الفيدرالي «الصحيح» من استخبارات مشتبهي الإرباب بعد أن وصلت إلى مديره بوب مويلر، شكوى من عميل يذعي «على صوفان» بأن طرق استخبارات الـ CIA، وصلت إلى «الحد الفاصل» للتعذيب. وقد أبحرني جون هيلجرسون، أنه يعتبر الـ CIA، والبنجاحون والبيت الأبيض جميعا مسؤولين بنفس الدرجة، لقد تضامنا جميعا في ذلك.

بدون تحقيق عام شامل سيكون من الصعب التوصل إلى الحقيقة وراء مثل تلك الاتهامات المتناقضة. أبحرني تانكاليان ريموند، الذي يعمل مع جماعة دفاع «أطباء حقوق الإنسان Physicians for Human Rights»، يقول الجميع، لقد انتهى الأمر كل شيء معروف. ولكن ما هو المعروف؟ لا زلنا لا نعلم عدد المعتقلين الذين كانوا في المواقع السوداء أو من هم. لا نعلم بالضبط ما هو دور البيت الأبيض أو الـ CIA، إننا نحتاج حصرا كاملا، وخاصة أن الأمر يتعلق باختصاصي الصحة. وقد لاحظ أن



تهد «أوياما» بإغلاق جوانتاناмо والذي يحتجز به أربعة عشر سجينا سابقا للـ CIA، ولكن رسالته كانت مشوشة فيما يتعلق بقضية السالة



مكرات وزارة العدل المخرج عنها مؤرخا تتضمن إشارات صديدة إلى عمل طبيبين تابعين للـ CIA، شاركوا في جلسات الاستجواب التعسفية. قال «ريموند»: «لقد كانوا المصممين والمشرعين والمفتنين. ربما كانت تلك أكبر فضيحة أخلاقية طبية في التاريخ الأمريكي على الإطلاق. إننا نحتاج لإجابات.

يطلب بعض المحافظين أيضا مزيد من الشفافية. وقد أخبرني «جورج» تأفد، المستشار العام لوزارة الخارجية في إدارة «بوش»: «تقول الـ CIA، إنها احتجزت في السابق حوالي عشرين أو ثلاثين شخصا ولكنهم لم تعد تحتجزهم. لم يتم الإفصاح أبدا عن تلك الأسماء. يجب على الحكومة أن تحد من كل شاركوا في البرنامج وتحاسبهم».

لقد فتحت لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ مؤرخا وبسردها تحقيقا مفصلا حول برنامج التعذيب: وقد أخبرني «بانيتا»، أنه تلقى تأكيدات بأن عمل أعضاء اللجنة «سيكون حول الدروس المستفادة وليس ملاحقة الأفراد». ولذلك فإن الـ CIA، بالتعاون معهم وتجنّبهم كافة المعلومات التي يحتاجونها لمحاولة إجراهم، قد فعل كما يقول إن اللجنة قد حددت بالفعل حوالي عشرة ملايين وثيقة متصلة بالمشروع. وأضاف: «سيستغرق الأمر بعض الوقت».

إن تحقيق مجلس الشيوخ سوف يبحث من بين أشياء أخرى - في مسألة هائلة التعذيب. لقد ادعى «ديك تشيني» مرارا أن الاستجوابات «الحسنة»، تأتي بنتائج. ويقول الممارسون إن التعذيب غير مجد. ولا يعمل «بانيتا» لرأي معين. فقد أخبرني: «لقد أدركت سيكون هكذا، نعم، تم جمع معلومات هامة من هؤلاء المعتقلين. لقد توفرنا معلومات تم فعلا بناء عليها اتخاذ إجراءات فعلة. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة للحصول على تلك المعلومات؟ اعتقد أن ذلك سيبقى دائما سؤالاً بلا جواب. ولكنه وثاق من أننا «فهمنا» لماذا لاستخدام تلك الأساليب».

إن عددا من الوثائق المخرج عنها حديثا يصرح بسؤالها غير فكترة أن الـ CIA، لعبت دورا سلبيا فيما يتعلق بسيسة التعذيب. يشير تقرير للجنة الخدمات العسكرية لعام ٢٠٠٨ إلى أن الوكالة استأجرت علماء نفس متعاقبين بأشروا تصميم وتنفيذ صور محددة من الإنسانيات - مثل حبس المختل في وضع متحن في قصص صغير لها نوا لعدة أشهر قبل أغسطس ٢٠٠٢ عندما منحت وزارة العدل تعويضا قانونيا من خلال «مكرات التعذيب» المشبّهة الصادرة عنها. ولزيت من الإزعاج، تشير ملاحقات في مكرات مكتب المستشار القانوني إلى أن بعض محققين الـ CIA، برما تجاوزوا بشاعة الحدود القانونية التي وصعتها

وزارة العدل والبيت الأبيض. مما قد يضعهم خارج المنطق القانونية الأمانة التي حددها «أوياما» و«بانيتا». في عام ٢٠٠٢، فوجئت إدارة «بوش» المحققين في إعادة استخدام أساليب العمر بالماء الأمانة طاهريا والمنسجمة في التدريب العسكري. ولكن بدلا من تحديد عدد الجلسات مائتين كحد أقصى ولدت عشرين ثانية في كل مرة، وإغراق مفتن كما ورد في التدريب العسكري، فقد أجبر محققو الـ CIA، أحد المعتقلين على التعرض لتلك اللجنة ١٨٢ مرة على الأقل. وواحد آخر ٨٢ مرة على الأقل. وبدلا من استخدام مقدار محدود جدا من الماء كما حددت وزارة العدل، قام محققو الـ CIA، بتعريض المعتقلين لـ «كميات هائلة» من الماء. وتستشهد المذكرات بالنتائج التي

توصل إليها المفتش العام «هيلجرسون»، في تقريره السري لعام ٢٠٠٤ حول الأساليب التعسفية، حيث قام المحققون بزيادة الألم بصورة متعمدة حتى يصبح الشعور بالرق. أكثر إيلا وإقتناعا. كما توصل «هيلجرسون» أيضا إلى أن علماء النفس والمحققين الذين صمموا برنامج الوكالة - والذين زعموا أن أحكامهم استندت إلى معرفتهم بالمعايير العسكرية - «ربما أساءوا استخدام خبراتهم». بالإضافة لذلك، توصل مكتب الخدمات الطبية التابع للـ CIA، إلى أنه «لا يوجد ما يدعو للاعتقاد بأن استخدام أسلوب الفجر بالماء والمعدل والكثافة الذين استخدم بهما من قبل العالم النفسي/المحقق كان فعلا أو أمنا من الناحية الطبية».

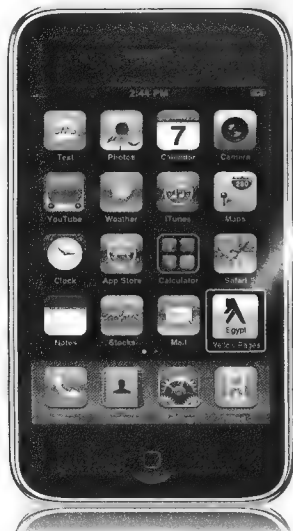
قام «بانيتا» في أبريل بفصل جميع المحققين المتعاقدين مع الـ CIA، بما في ذلك على النفس العسكريين السابقين الذين قاما على ما يبدو بتصميم أوسع طرق الاستجواب: «جيمس ميتشيل» و«بروس جيسين». وقد أوصى «الرجلان» اللذان أدارا شركة استشارية «ميتشيل جيسين وشركاء Mitchell, Jensen & Associates»، بأن يطبق المحققون على المعتقلين نظريات «العجز المستفاد» القائمة على تجارب إساءة معاملة الكلاب. وقد ورد أن رئيسا المؤسسة قاضيا من الوكالة ألف دولار يوميا مقابل خدماتهما. قال «بانيتا»: «لقد وفرنا أيضا بعض المال في تلك المصفقة» (مع الـ CIA، «جيمس ميتشيل» و«بروس جيسين»).

ووفقا لأدركه مجموعة التحقيقات الإخبارية «ديرويليكيا ProPublica»، فقد أغلقت مؤسسة «ميتشيل» و«جيسين» - التي وصل عدد العاملين بها عام ٢٠٠٧ إلى ١٢ شخصا مؤرخا مكاتبها في «سيوكي» بواشنطن. وكان من سبب العاملين «دوس مارتنيز» المحق السابق للـ CIA، «أوياما» و«جوريف السوداء» كما كان «جوريف



۳۴ حکایات خطی

لأصحاب الـ iPhone



Yellow Pages

الآن يمكنك تحميل برنامج يلوبيجز مصر
الخاص بالـ iPhone مجاناً.

#1 iPhone



Download in Egypt



دليلك للأعمال في مصر

YellowPages.com.eg

Print • Online • Mobile

❖ كيف تحولت الوحدة اليمنية من مخرج لشطرين مشحونين بالمشاكل إلى بلد له مشاكل توفيق كل ما سبق وإلى مارق لا يمكن الخروج منه بسهولة؟ فبعد ما كان المتردد أن تشهد البلاد ربيعاً هائلاً بعد اتفاق المعارضة والحكومة على تأجيل الانتخابات البرلمانية من إبريل الماضي لعام ٢٠١١، كان ربيع اليمن وذكرى وحدته ساخناً كما لم يسبق. ليستمر المحتش الذي سار فيه البلاد منذ عشرين عاماً في الانحدار معلناً أنه كلما انسحب باب تجربة الانتاجية في البلاد سواء بالتأجيل أو التزوير فتح مقابله باب آخر للجمجم. يعتبر اليمن اليوم هو أقرب ما يكون لامتداد اليمن الشمالي سابقاً وما يحدث فيه هو تطور لأخطاء النظام الذي حكم اليمن الشمالي قبل الوحدة بأحد عشر عاماً واستمر بعدها عشرين عاماً. عندما تولى الرئيس علي صالح الحكم في اليمن الشمالي عام ٧٨ بعد احتلال سلطه الذي لم تتجاوز فترة رئاسته عدة أشهر، بطبيعة الوضع السياسي المأزوم وتعتيقا الوضع الاجتماعي والسياسي لليمن بدا أمراً مشكوكاً فيه أن ينتج على صالح في حكم اليمن طويلاً. لكن بمرور الوقت أثبت على صالح قدرات فذة في نسج التحالفات بمرونة ونجاح شهد له جعلت من الآخرين بالرغم من مساوئ كل واحد يعتبرونه الشخص الأقدر على التعامل مع مشاكل اليمن الكثيرة والمعقدة.

لكن هذه القدرات صارت موضع شك من قبل الأطراف الدولية والمحلية منذ بدأت حرب صعدة في الشمال عام ٢٠٠٤، وتناكرت إزمات اليمن حتى بدا حالياً أن عقد الدولة ينقرض ويصعب جمعه من جديد.

منذ تولى الرئيس صالح الحكم في يونيو عام ٧٨ اعتمد على سياسة التحالفات في إدراك مسبق من تضعف الدولة الحديثة والعزلة في اليمن بسبب طبيعة البلاد الجغرافية وموروثات تاريخها التي انعكست على الوضع الاجتماعي والسياسي الهش. وكان الحليان الرئيسيان لحلي صالح هما القبيصة والتبار الإسلامي.

لم يكن هذا فقط، بل تمكن على صالح من كسب ثقة دول الجوار بقدرة على عدم المد الماركسي القادم من اليمن الجنوبي، وامتدت قدرته على كسب الآخرين ومصاصتهم إلى الشطر الجنوبي من البلاد آنذاك وهذا أمر يشهد له أبرز القدرات الجنوبية في لقاء حديث في قناة الجزيرة لجبير العطاس. أول رئيس وزراء لليمنيين وأحد أبرز قيادات الحرب الاشتراكي عندما تحدث عن حجم الاختراق في أعلى مراكز القرار السياسي في دولة اليمن الجنوبي سابقاً. ذاكراً أن لقاءه بيهس وبين الرئيس صالح عام ٨٥، يقول صالح: «لنتم تجتمعون في المكتب السياسي وبعد المغرب بعد اجتماعاً أنا عدلي لك القمرون».

ووصل هذا الاختراق أو التمدد دونه عند حدوث الحرب الأهلية الدامية في اليمن الجنوبي سابقاً. عام ١٩٨١ والتي

اغتيالات واسعة لكوادر الحزب الاشتراكي الذي يمثل الطرف الجنوبي في دولة الوحدة، وكذلك حملت الدولة الحديثة أعباء اقتصادية ضخمة جامعة عن تداعيات حرب الخليج عام ٩٠، غير مدبوبة دولة الجنوب التي بدت مهولة على فلكه سكانها.

وبعد مباحثات سياسية شديدة بين الطرفين فاجت على سوء الدولة الأولى والخليفة الاستبدادي لها، جرت أول انتخابات برلمانية إبريل ٩٢. ونتيجة للقلية السكانية لشمال، التي تبلغ خمسة أضعاف الجنوب تراجع تمثيل الحزب الاشتراكي في الحكم من المناصفة إلى شريك ثالث بعد حزب المؤتمر الشعبي الذي يمثل حكومة الشمال ومن ثم الإسلاميين الذين كانوا في تحالف قوى مع جنوب ضد من كانوا يعتبرونهم كفرة ملحدين.

بطبيعة الحال، فخذان التوازن السريع هذا من حصيلة عدم الثقة التي كونتها سنوات الوحدة للرغبة المباشلة من كلا الطرفين في التخلص من شريكه وعدم تحملهما لتجربة الديمقراطية التي فرضها توازن القوى فسجرت الأوضاع في البلاد إلى حرب أهلية عام ٩٤. ومن المهم هنا معرفة تحالفات هذه الحرب وتناقلها التي تؤثر في مستقبل البلاد حتى الآن، بل إن أمرها أو القادة السياسيين الذين دفعوا لها، هم تأثيل من يعطوا للأصعب لحق في مستقبل القوى الشعبية والسياسية في البلاد.

يجافي الحقيقة كثيراً وصف الحرب في ٩٤ بأنها بين الرئيس علي صالح وبين تسميطا وصفها للحرب بين طرف يريد الانفصال وأخر يريد الوحدة. فلولاً القوى العسكرية الجنوبية لم كانت رجحت كفة القوات الحكومية، فحينها نجح الرئيس صالح بنسج تحالفاته في الجنوب بعكس غريزة على سالم البيض. آخر رئيس لليمن الجنوبي. الذي فشلت محاولاته في نسج أي تحالف مواجه له وأبرز تحالفات الرئيس هي:

١- التيارات الإسلامية المختلفة وعلى رأسها تلك العالدة من افغانستان. والذين استضافهم اليمن، وأبرز قادتهم الروحيين الشيخ عبد الجيد الزنداني وقادته الميدانيين في الجنوب طارق الفضلي.

٢- قوات جنوبية استطاع كسب ولائها بعد حرب ٨٥. الأهلية في الجنوب وأثناء فترة الوحدة، وأبرزها أدوية بقيادة علي ناصر وعبد ربه منصور.

٣- تمكن صالح أيضاً من الاستفادة من صمت القبائل في الجنوب ولعاطفة بعض القيادات التقليدية في الجنوب مثل طارق الفضلي، وهذا نتاج طبيعي لسياسة الحرب الاشتراكي التي حاربت هذه القوى بشراسة.

٤- ارتكب البيض خطأ فائلاً حين ألقى الانفصال أمام أقل عدد من شهر من نشوب القتال، تسبب في خروج العديد من الألوية الجنوبية وأصبحت بعضها قوات مرتدة عليه.

نشوة النصر

بعد حرب أقصر من جميع التوقعات، تسكنت خلالها حكومة صنعاء من السيطرة على الوضع بعد شهرين ونصف فقط، بدأت مرحلة جديدة في سياسة الحكومة اليمنية.

هذه السياسة لا يمكن وصفها أو تفسيرها بشيء غير الغرور والعنجهية، فالرئيس لم يحرص على الاحتفاظ بتحالفاته.

فكانت البداية تحالفاته مع الإسلاميين التي بدأت مبكراً منذ بداية توليه السلطة. دخلت في مرحلة تجاذب سياسي شديد وصلت لمرحلة القطيعة. أما تلك التحالفات الجنوبية فصامت معها حكومة صالح باستخفاف شديد أو بشكل انتقامي. فالجيش الجنوبي تم تسريح معظمه بشكل تقاعد مبكر أو تسليم قياداته مناصب رمزية.

والحزب الاشتراكي الذي يمثل الشق السياسي المتقرب من دولة الجنوب حاربه صالح بشراسة رغم تبسّر الحزب من الانفصال ودعمه الكامل لاستمرار الوحدة.

هذه التصعيد للشنق العسكري والسياسي من دولة الجنوب عززت الشعور لدى الكثيرين في الجنوب، أن ما يحدث ليس شراكة أو وحدة دماجية، بل أقرب ما يكون للاستعمار الداخلي خاصة مع الفصل المستمر للحكومة في سياساتها الاقتصادية وخلق هوية وطنية مشتركة. شهد اليمن بمختلف أرجائه في الفترة ما بين ١٩٩٤-٢٠٠٩ الكثير من مظاهر الاحتجاج ضد سياسات الحكومة والأوضاع الاقتصادية المتردية، لكن وبثيرة هذه الاحتجاجات ارتفعت بشدة مؤخرًا منذرة بعواقب وخيمة على البلاد.

توسعت الاحتجاجات الشعبية في الجنوب عام ٢٠٠٦، ولقد بدأت بمطالب حقوقيّة تمثلت في مطلبين أساسيين هما:

١ قضية الاستيلاء على الأراضي في مدينة عدن، وهي قضية شديدة الحساسية وأكثر ما تستثير المواطنين، ظهرت هذه القضية جراء سياسة الحكومة التي تعاملت مع مدينة عدن كمنطقة يسقط على أراضيها بعض المتنصرين والقادة العسكريين المتنصرين من البلاد الأهلية.

٢- وحاول على صالح معالجة هذه المشكلة بتشكيل لجنة رفعت له تقريراً حددت فيه أسماء خمس عشرة شخصية متنفذة ومتورطة بشكل كبير في عملية سلب الأراضي، لكن يبدو أن الرئيس أثر مصالحه المرتبطة هؤلاء الأشخاص على حقوق المواطنين وتجاهل التقرير برمته.

٣- قضية المتقاعدين وهم جنود الجيش الجنوبي الذين سرحتهم الحكومة بعد الحرب ولأقوا سياسة متعصبة جداً.

واجهت الحكومة هذه المطاهرات بقمع شديد زاد من استئزاز المواطنين

اليمن القبيصة تعود للخيط الأول

ميساء شجاع الدين

كانت بين فضيلي عبد الفتاح إسماعيل الذي قتل أثناء الحرب، وعلي ناصر محمد الذي يرعها مع مجموعة كبيرة من رفاقه إلى اليمن الشمالي - سابقاً - واستضافهم الرئيس علي صالح كخلفاء الوحيين الشيخ عبد الجيد الزنداني وقادته الميدانيين في الجنوب طارق الفضلي.

٢- قوات جنوبية استطاع كسب ولائها بعد حرب ٨٥. الأهلية في الجنوب وأثناء فترة الوحدة، وأبرزها أدوية بقيادة علي ناصر وعبد ربه منصور.

٣- تمكن صالح أيضاً من الاستفادة من صمت القبائل في الجنوب ولعاطفة بعض القيادات التقليدية في الجنوب مثل طارق الفضلي، وهذا نتاج طبيعي لسياسة الحرب الاشتراكي التي حاربت هذه القوى بشراسة.

٤- ارتكب البيض خطأ فائلاً حين ألقى الانفصال أمام أقل عدد من شهر من نشوب القتال، تسبب في خروج العديد من الألوية الجنوبية وأصبحت بعضها قوات مرتدة عليه.

وحدة مستعجلة

وأزمة مستعجلة أيضاً

تعمل قيام الوحدة حتم ووجد فترة اندفاعا شعبييا عاطفيا جارها تجاه الوحدة

ورفع من سقف مطالبهم من مجرد مطالب حقوقية لمطالب إصلاحية سياسية شاملة وتطورت حتى وصلت لمطالب انصالية.

استطاع هذا الحراك الشعبي إقراء قيادات له صارت تتواصل بشكل دائم مع القيادات الجنوبية المعارضة التي خرجت بعد حرب ٩٤ وعلى رأسهم حيدر العباس.

ومن إرسل الماصي حتى الآن تزايدت وتيرة هذه الاحتجاجات ومعها قمع الحكومة حتى وصلت لمناوشات مسلحة في بعض المناطق مثل الضالع، ليبدأ منحني خطير في الأحداث تنجر له البلاد.

وزاد من سخونة الموقف التحركات الدبلوماسية المكثفة لقيادات الجنوب في الخارج، واكتملت الصور بالظهور الرمزي لأخر رئيس لليمن الجنوبي على سالم البيض في الذكرى التاسعة عشرة للوحدة يوم ٢٢ مايو الماضي يطالب فيه بملك الارتباط.

حلول تتكرر وأزمات تتوالى

المطالب بالكونفدرالية والإصلاح السياسي بدأت تتراجع باستمرار بسبب ممارسات الحكومة القمعية وتعتنتها لتحل محلها مطالب الانفصال، رغم أن الوحدة ظلت حتى فترة قريبة مبدأ وطنياً يكتنف حوله الجميع حتى القادة الجنوبيون الذين خرجوا إثر حرب ٩٤ استندوا في شرعيتهم على الوحدة، فـ على سالم البيض، لم يكف في الماضي بالتذكير أنه تنازل عن منصب الرئاسة لصالح الوحدة، بينما حيدر العباس في آخر حواراته فسر إعلانهم الانفصال بأنه دفاعاً عن الوحدة، وبغض النظر عن طبيعة التناقض الكامن في كلمته إلا أن هذا كان يؤكد قيمة الوحدة كمرجعية وطنية يتفق عليها معظم اليمنيين. لكن هذه المرجعية في ظل ما يحدث من هزوس وغياب كامل لأي خيارات مستقبلية مقبولة ستراجع قيمتها وتصعب حتى تتوارى تماماً، وهذا ما شجع على الجيش في آخر ظهور له في قتال الحرية يوم ٧ يوليو الماضي، ذكرى نهاية حرب ٩٤ - على إنكار وجود هوية يمنية، مستبداً أن جنوب اليمن هو الجنوب العربي فقط، وهذا التصعيد في الخطاب بالتأكيد قد يجد له صدق في ظل أجواء الضيق والانقسام التي تشهدها البلاد على عكس الانتعاش الوطني السابق حول الوحدة في الحرب الأهلية عام ٩٤.

هذه الأزمة ليست فقط للوحدة التي يرميها اليمن، بل هي وللمرة الثانية التي يواجه فيها على صالح متفرداً قوى متحدة، بعد تراجع قدراته في نسج التحالفات وفقدانه للمصداقية، وخير مثال لذلك ما حدث ولا يزال يحدث في صنعاء، فهذه اللحظة التاريخية الأخيرة للحكومة السعودية تشهد حروباً مستمرة

لم تتوقف حتى الآن، هذا الصراع الطويل الأمد أنهك البلاد سياسياً واقتصادياً وما يحدث في الجنوب قد يكون في المستقبل القريب أمراً مشابهاً لذلك إذا ما استمرت الحكومة في سياساتها الحالية.

المستريصون

ليس فقط التمرد الحوثي والقيادات الجنوبية التي عانت من التهميش هي من تعلن انضمامها للحراك الجنوبي، بل يسانداه تنظيم القاعدة حيث أعلن قائد التنظيم على الحوثي في ١٢ مايو دعمه للحراك وهذه حركة انتهازية من التنظيم الذي يبحث عن موطأ قدم أكبر في اليمن بعد ما ضاق به الحال في أماكن تواجد الطبعي في أفغانستان وباكستان، ويمكنه من خلال اليمن واستغلال الوضع في الصومال تشكيل تحالف قوي وقريب من منطقة مصالحي حيوية لأمریکا.

وللقاعدة حضور قوي في اليمن، وطالما كانت اليمن مرشحة لتفتي ضربة أميركية لقواعد التنظيم في أراضيها الذي ينشط جداً في المنطقة الشرقية (مارب والحواف وشبوة) الغربية باليترو والمحرمة ضمناً من أي عملية تنميط، وتهميش القبائل هناك.

وهذا التنظيم له أنصاره القدامى مثل: طارق الفصلي ذو النفوذ القوي في أبين والذي شكل في وقت سابق جيش عدن أبين الإسلامي الموقر في قتل سياح غربيين عام ٩٩، وهو حليف قديم لعلي صالح ونسب لرجل الجيش القوي على محسن الأحمر، وإعلن مؤخرًا انضمامه للحراك.

رما تنتظر القاعدة، ما يحدث في الجنوب من هزوس، فرصة سانحة للاستغلال، وتوسعة نشاطها في اليمن خاصة مع بروز جانب عقائدي شيعي في أقصى الشمال لن يقلبه إيداً.

وفي الواقع، تنظيم القاعدة حليف قديم للرئيس لكن العلاقة بينهما توترت بعد اضطراب الرئيس الخضوع للمطالب الأميركية في الحرب على الإرهاب وقد تكون هذه فرصة جديدة للانتقام أو أخذ بعض التنازلات من الرئيس.

القبيلة تعود للخط الأول

القبيلة في اليمن تنظيم اجتماعي قديم كان دائماً ما يسد فراغ وجود الدولة المركزية في اليمن، وهي عامل أساسي ومهم في تشكيل الوضع السياسي باليمن خاصة أنها مرشحة لظهور بقوة أكبر كلما ازداد ضعف الحكومة.

لظالم أبادل مشطرا اليمن الانهزامات حول طبيعة وضع القبيلة في الشطرين وكثيراً ما استندت مطالب الانفصال على إبراز جوانب الاختلاف بين اليمن الشمالي والجنوبي اعتماداً على هذه النقطة، مشدداً أن



وحيماً يواجه صراعاً على السلطة في صنعاء وتبرداً في الشمال، أعلن تضامنه مع الحراك الجنوبي، ويصر على صالح نفس الاستراتيجيات الخاطئة في الجنوب، فها هو يتحالف مع السلفيين من جديد ضد الحراك الجنوبي ليعلى أحد قادتهم الشيوخ الزيداني وقوه الكامل ضد مطالب الانفصال واستصدار فتوى من علماء اعتبروا فيها الوحدة فرضاً واجباً. وكذلك أجأ على صالح إلى خلق بعض التحالفات الهشة في الجنوب مثلما عمل في صنعاء عندما قام بتأليب القبائل على بعض، وعلى شاكلتها قام بتشكيل لجان الدفاع عن الوحدة لتتكفل بالصراع والاقترال الداخلي مع بقية أبناء المحافظات الجنوبية.

وطبيعة الحال فإن العبرة بالعالم، فبعد حرب استمرت خمسة أعوام في صنعاء لم تكن النتيجة إلا صراعات عسكرية دموية متقطعة تشهدها المنطقة

منذ عام ٢٠٠٤ لم تتوقف وتيرتها حتى تعود للانفجار من جديد.

ويبدأ منذ أول لحظة اشتعل فيها قتيل هذه الحرب إلى على صالح لا يوجد حوله أي قوى سياسية فاعلة مشاركة له، حيث رفضت المعارضة الوقوف بجانبه واعتبرتها حروباً مثقلة ولم ينجح صالح إلا في استقطاب التيار السلفي لصالحه بإثارة النزعات الطائفية على اعتبار أن المتطرفين الحوثيين في صنعاء شيعية زيود وكذلك استفزاز التيارات القبلية.

هذه الحرب ربما تقدم نموذجاً مستقبلياً لما قد تشهده البلاد في المناطق الجنوبية، فالحراك الجنوبي ربما يخرج من كونه مجرد فضال سلمى إلى ثمر مسلح سوف يكون مقارباً لما تشهده صنعاء من حرب مصابات تصاعدها الطبيعة الجبلية لليمن والجيش الرسمي الذي استنزف العاروك.

وفي المقابل، على صالح لا يزال

اليمن لم تكن دولة موحدة ومركزية يوماً، وإن كان لها، التحديث صمحة في بعض الأحيان، فهي بالتأكيد تميل للمفارقة في معظم الأوقات. فاليمن لا توجد فيها مركزية ثقافية أو سياسية، بل طالما تقلقت بين أرجاء اليمن المختلفة، لكن أبرز محورين تاريخيين في اليمن هما: صنعاء وبترائها الشريفين، وحضرموت وبترائهما السنن الصوفى. حتى ظهرت عدن كمحور حقيقي له تأثير واسع وقوى على الحركات السياسية والعسكرية التى شهدتها البلاد بشطريها في القرن العشرين، فعند זאת كانت مدينة بحرية صغيرة قبل الاحتلال البريطانى شهدت التعايش حقيقياً بعد الاحتلال البريطانى وموجات هجرة مشرية مختلفة من داخل اليمن وأجرائها جمعت بينهم روابط المواطنة الحديثة، ولأول مرة في تاريخ اليمن تظهر مدينة بعماريين بعد أن يعمل الراكب القبلى الدور الأساسى في الحياة الاجتماعية والسياسية، وهذا كان له أكبر أثر على طبيعة الأحداث التى شهدتها اليمن الجنوبي فيما بعد.

فكرة الحداثة المثالية والأفكار الإيديولوجية المصرية ارتدت على الحركات السياسية التى حكمت عدن حتى جأت الماركسية وسيطرت على اليمن الجنوبي واتممت مع كل القوى التقليدية بتحفير شديد ومحاولة حقيقية للإفلاق، على الرغم من أن فكرة الحداثة عملياً لم تتجاوز مدينة عدن وظلت بقية المناطق المحيطة بها التى كانت مرتبطة بتقاليد حماية مع الاستعمار البريطانى بشكلها القبلى التقليدي دون أى تغيير، وسعت فيما بعد الحكومة المستقلة فى عدن إلى إلغاء هذه الروابط، والخضعة وصفت النظام القبلى بالإقطاعى كاستعارة مجبولة من كتب الإيديولوجية الماركسية، لكن بالتأكيد لم تتجلب كل محاولات الحكومة فى إلغاء القبيلة بين يوم وليلة، تستمر القبيلة تحتفظ بنفوذها كرافع يجمع الناس لكن بشكل مختلف هذه المناطق، بعد ما تعذر عليها الاحتفاظ بكيانها التقليدي وقياداتها وأعرافها. وهذه المناطق عطلت القبيلة التى تضعر الصراعات الدموية القائمة فى الشطر الجنوبي الذى شهد حرباً أهلية دامية قبل الوحدة.

وفى المقابل لم يسع الشطر الشمالى إلى إلغاء العامل القبلى، بل لجأه واستخدم فيه صالحه هذا العامل لصالح الحكومة من طريق إثارة الشغرات والنزاعات بين القبائل وتقزير الشعور بأن القبيلة خارج القانون وتقاضى عن

الاعتداءات المتواصلة من القبائل على المواطنين حتى وصل الحال إلى الاعتداء على أراضي المواطنين بقرى قصر الرئاسة فى صنعاء، لتصبح صنعاء تحت سيطرة القبائل بالوسائل لأول مرة منذ زمن طويل. وهذا الوضع قبل أن يكون خرقاً للقانون هو خرق للعرف القبلى نفسه. ومن اللافت أنه كلما تراجعت شرعية الحكومة وضعيتها لجأت للقبائل كوسيلة ترهيب للمواطنين وحماية للحكومة فى ذات الوقت. القبيلة فى اليمن التى استخدمها الشمال وأغراها الجنوب خلفت الكثير من المشاكل لكلا الطرفين، ولا يمكن لطرف الزائدة على الآخر نجاتها مع هذا النمط الاجتماعى الضارب جذوره فى تاريخ اليمن. القابلية حلت محلها المناطقية فى المناطق الجنوبية وبعض المناطق الوسطى، أما فى الشمال فقد تراجعت أعرافها القبلية ليجعل محلها قانون الغاب مما أضعف من قيمتها واحترامها لدى الكثير من المواطنين، ولم تفلح الحكومة فى محاولات التجميع للقبيلة باعتبارها مصدر فخر واعتزاز ورفضها للمناطقية باعتبارها تعصياً وعصية. وأياً كان فلا يمكن تجاهها منطرية وحدوية أو انفصالية على أساس عوامل الاتفاق والاختلاف التى توجد بين جميع شعوب الأرض، لكن فى أوقات التنازع السياسى تتحول نقاط الخلاف بين البشر لجميع أشكاله الدينية والسياسية والاجتماعية لخصاها بصيربية فاصلة يمتزس وراءها كل فصيل.

ترقب يـحـوف

على عكس ما حدث عام ٩٤، عندما لعب الدور الإقليمى دوراً حاسماً وفاعلاً فى تحريك الوضع الداخلى وكان أساساً رئيسياً فى دفعه للانفجار الحرب الأهلية نتيجة للخوف المرضى الذى كانت مصابة به دول الجوار وعلى رأسها المملكة العربية السعودية من الوحدة اليمنية، وتكسر انتقامى مما كان يعرف آنذاك بدول المذاتى، وقفت بجوار الكويت عند احتلالها حسب تصنيفهم. نتيجة لجوء اليمن من حرب عاصفة الصحراء. هذه المرة العامل الخارجى حتى الآن يبدو هامشياً وليس مؤثراً بقدر ما سيطر طبيعياً التفاعلات السياسية الداخلية، فبالساسة السعودية التى كان لها مخاوفها من الوحدة اليمنية لخشيئتها من وجود دولة قوية جنوبها. لها مطالب حدودية واسعة بأراضيها، أدركت أن هذه المخاوف أبعد ما تكون عن

الواقع بعد قرابة عشرين عاماً من الوحدة، جعلت اليمن فى أضعف حالاتها واستطاعت الناجمة تحقيق انتصار تاريخى بتوقيع اتفاق حدودى تنازلت فيه اليمن لتأجلى من مطالبتها بأراضي شاسعة، بل وعادت سياسة اليمن الخارجية لحالة التضييق الكاملة للسعودية وهذا ما تضع بتضييق اليمن لمعاقباتها الحمية بقطر واتمعت عن حضور قمة الدوحة وقبلها قمة دمشق لتجلب موقفها إلى جانب السعودية فى طرف الدول التى تسمى معتدلة. لكن السياسة السعودية والأمريكية سيكون لهما أثر بالغ ساعة الحسم، فالسياسة السعودية فى اليمن التى تميل حالياً للتعاون بسبب المخاوف الأمنية المشتركة من تنظيم القاعدة، والتقدم الشئى فى الشمال على الخط المحلى للحدود، وخشية تضرر الأوضاع فى اليمن بألفانها التى لا يعرف فى وجهه من ستسفر لن تصمد أكثر إذا ما ازداد تدهور الأمور وفقدت الدولة سيطرتها على البلاد، وحينها بالتأكيد ستكون السياسة السعودية تحت تأثير عوامل أخرى.



فجناب الملك عبد الله الذى يميل للسياسة العقلانية الهادئة مع اليمن بحجة أن القوضى فى اليمن قد تسبب مشاكل كبيرة للسعودية يسبقه حجة إدعاهما أن توجهت الأمور للقوضى وهذا سيرجع كفة الجناح السيسى مثلاً بالأمير سلطان. ولدى العهد والسلون عن ملف العلاقات مع اليمن منذ الستينيات. ومعه الأمير نايف والأمير بندر وهو جناح قوى يميل إلى التنازع سياسات أكثر طمعا وعدوانية تجاه اليمن. وأكثر ما يفرى السعودية فى التدخل لصالح الانفصال باليمن هو حلها القديم بامتلاك منفذ للبحر المفتوح: أى الخليج الهندى فى جنوب اليمن، وهو كان مطايا أساسيا لها فى معاضاتها الحدودية مع اليمن وفطنت فى تحقيقه، وهذا المخرج الذى تطمح السعودية فى تأمينه ليترونها تزداد حيوية مع زيادة عمليات القرصنة فى خليج عدن واستمرار تهديد الأوضاع فى الصومال وكذلك تازم الأوضاع فى إيران والعراق فى الخليج العربى. ويوما يزيد من قلق هذه الجبهة ويقلل من مخاوف الملك عبد الله وفريقه ما شرعت فيه السعودية من بناء سيالها الأمنى فى حدودها مع اليمن لتأمين شرب هروب أعضاء القاعدة لليمن ومن اليمن، وهو يسيير السلاسل، هذا غير الهجرة غير المروية فيها وغيرها حتى صارت حدودها

مع اليمن مصدراً لكل المواقف يزيد من خطورتها المضاة ظهور ما يقارب الحكم الشئى بمحاذاة حدودها فى صعدة. هذا المطمع السعودى القديم فى الإفلاق على ثلاثة بحار قد يدفعها لزائدة تنفيذ الانصافى لمنطقة حضرموت والمهرة بواسطة التجار الحضارمة القيمين فى السعودية، مستغلة الشعور المتزايد لدى أبناء حضرموت بامتلاكهم هوية مستقلة عن بقية اليمن، وكذلك مع أحلام الدولة القبلية، السكان العتية القوة، فحضرموت تملك ثروات معدنية كبيرة وفيها مهمات حقول النفط ونصيب الحافظة من هذه الثروة البترولية لا يتجاوز حوالى ١٠٪.

إذا ما اعتدنا الموقف السعودى هو الأكثر تأثيراً إيجابياً، فالقول الأمريكى هو الأكثر أهمية دولياً، ولعب دوراً حاسماً فى عام ٩٤ لصالح الوحدة بعد ما رأت أن النزاع العسكرى ينجح لصالح الفريق الذى يطالب باستمرار الوحدة وهو فعلياً خيار فرضته مجريات النزاع العسكرى وزغبة الولايات المتحدة الأمريكية فى الحفاظ على استقرار هذه المنطقة التى تقترى من منابع البترول الجبيلة لها، وبمكنا القول إن الموقف الأمريكى هذه المرة لم يتغير كثيراً فهو مؤلف لا تعنيه زيادة فكرة الانفصال أو الوحدة بل يتغلبه الرغبة فى استقرار اليمن خاصة مع التزايد نشاط القاعدة وإعلان الإدارة الأمريكية مؤرخاً أن اليمن أحد المناطق المحتملة لاستضافة تنظيم القاعدة بعد ما ضاق الخناق عليهم فى أفغانستان وبكاستان، لكن أيضاً إذا ما استمرت الأمور فى التدهور باليمن وفقدت الحكومة الحد الأدنى من الحفاظ على الاستقرار، حينها ستراجع السعودية الأمريكية موقفها بسحب القوى السياسية التى ستغريها الأحداث وتفرض نفسها على الساحة.

ولعامل حقوق الإنسان أثر فى الموقف الدولى، وهو وتر نجحت القيادات الخارجية للحراك فى ضربه لم تحل محاولات الحكومة فى التزيم الإعلامى حيث ضيقت على تحركات المراسلين وأغلقت عن صحف معارضة وغيرها من إجراءات منصف عديدة على الإعلام، بالرغم أن ما يجرى فى الجنوب من الناحية الإنسانية لا شئ يذكر بالمقارنة لما جرى فى صنعاء من تجاوزات إنسانية خطيرة دمرت المدينة بالكامل وخلفت وراءها آلاف الجرحى والقتلى وستين ألف لاجئ. لكن التحرك الجنوبى وضما آخر بالناسم مساحته واستداده لمدن أساسية مثل عدن والحلال لا يسهل إغلاقها مثل مدينة جبلية بعيدة كمعدة، الوضع

الدعم الدولي من هذا المنطلق بمنح على سالم البيض حوزان لا جن دولي بعد سحب جنسيته العمانية لاستعادته النشاط السياسي وهذا الجواز لا يمنح بسهولة ولا يمتلكه إلا أقلّة ممن يمتدح العالم بقبضتهم كقبضة إنسانية حيوية مثل الدلاي لاما.

لكن قضية حقوق الإنسان تظل هامشية دون دعم دولة مهمة لهذه المطالب الحقوقية وهو ما لا يزال بعيداً حتى حين، فالسعودية لازالت تعتبر اليمن التهديد الأول لامنّها الداخلي بسبب القاعدة وكذلك الإدارة الأمريكية وهذا الوضع استمر واستقرّ والوحدة، لكن هذا أيضاً رهيناً بتطويعه الأوضاع الداخلية وما سيترجم عنها.

خيارات العمل عندما تكون مستحيلة

تعد اليمن من أفقر دول العالم وخلاوة الأوضاع الاقتصادية تتزايد مع تجاوز النفط اليمني ذروة إنتاجه وهو يمثل على ضلّاته 70% من الدخل القومي بالإضافة إلى انخفاض أسعار النفط والأزمة الاقتصادية وكذلك التأثيرات المناخية التي تسببت في قلة الإنتاج مع نمو سكانه هو الأعلى في العالم، لتتضافر كل هذه العوامل، ويصل الوضع لحد التحديز من مجاعة حبيباً آخر، حين أصدره برنامج الأغذية العالمية التابع للأمم المتحدة.

هذا الوضع الاقتصادي يلعب دوراً جوهرياً في تآزيم الأوضاع باليمن شمالها وجنوبها، لكن في الجنوب التحدية لم بعد آخر، فالمنطقة الجنوبية تتشكل الثروات المعدنية وعدد سكانها بسيط قياساً للشمال المزدهر والمقبر واليمن يهدهد الجفاف ما يعطي زخماً حقيقياً للقطاعات الانفصالية والرغبة في التخلص من الشريك الأكبر سكانياً والأفقر معدياً. الوضع الاقتصادي يزيد الأمور تعقيداً ويرسم واقعاً مأساوياً لوضع البلاد ويحتاج لمعالجة جديّة من الحكومة والنخلة من عنادها في اعتماد الانعزاق والمهادنة خيار القمع المحدود مصحوباً بالرغبة في نسج تحالفات جديدة مع قيادات الحراك وزعم الخلافتين، وهذا الخيار القديم يصعب نجاحه مثل السابق لأن هذه البيئة لم تعد تنطلي على معصم القيادات السياسية في اليمن والوضع أصبح أكثر صعوبة من كل الأزمات السابقة خاصة أن النظام يواجهها وحيداً كما لم يكن من قبل.

والخيار الأسلم والمخرج الوحيد من هذا المأزق الخطير هو أن تقوم الدولة بعدة إجراءات مما:



يعتبر ما حدث في صعدة نموذجاً لتواجهه اليمن أو بعض المناطق فيها، حيث اختلّت السيطرة الحكومية تقريباً

أولاً: إصلاح سياسي جذري واليمن تمتلك وثيقة تاريخية مهمة بالإمكان جعلها مرجعية يتم البناء عليها، وهي وثيقة العهد والاتفاق التي وقعتها الأطراف السياسية اليمنية المختلفة في فبراير عام ٩٤، في محاولة لمنع حدوث الحرب الأهلية التي وقعت بعدها بثلاثة أشهر. وأبرز ما فيها من بنود هي اللامركزية وإنشاء مجلسين تشريعيين أحدهما يعتمد على الانتخابيات المباشرة بحسب عدد السكان والآخر يعتمد على تمثيل متناسل للمحافظات لحل إشكالية العلية السكانية للشطر الشمالي، بالإضافة لدعم استقلال القضاء.

ثانياً: حل المطالب الحقوقية وأهمها قضيتا المقتادين والأراضي. ثالثاً: التنمية الاقتصادية وبإطبع إذا ما تكلمنا عن الاقتصاد فلا بد من إقصاء القطاع والفساد والمفسدة حتى يمكن خلق بيئة مناسبة للاستثمار.

لكن هذه الحلول المالية والمصرفية لا يمكن تحقيق حتى نزرأ يسيراً منها

وذلك لوجود اقتراضين كسار الأحداث، الأول هو نجاح ما يقال عن وساطة خيجية لإعادة شخصيات المعارضة المقيمة بالخارج لليمن حسب اتفاق بينها وبين الحكومة، وهذه طريقة عادة ما يلجأ لها اليمنيون عند تأزم الأوضاع السياسية أو بعد حروب تشهد بها البلاد، آخر هذا النمط من الحكومات هي الحكومة الانتقالية التي حكمت البلاد منذ بداية الوحدة مايو ٩٠ حتى الانتخابات في أبريل ٩٣، وبالقياص على كل الحكومات التي شهدت البلاد بضميرها أو موحدة، يمكننا ملاحظة فشلها وهشاشتها وعادة ما تنتهي بانفraz طرف في السلطة وانقلابه على الآخرين، وهذا نتاج بعض التثاقفات تكون بين أطراف لا تثق ببعض دون أي إيمان حقيقي بالمشاركة السياسية والديمقراطية فخلما هو حاصل الآن بالأطراف السياسية التي تحكم المشهد السياسي في اليمن معارضة وحكومة، لذا يصعب التعامل بمستقبل البلاد مع وجود نفس النخبة السياسية التي جرت البلاد لحرب عام ٩٤ وما يسبقها من أزمات سياسية شهدتها البلاد موحدة أو منسمة.

وهناك افتراض آخر هو استمرار النظام على سلوكه القمعي وسياسة فرق تسد وهي طبيعة قديمة يصعب تغييرها، بل أيضاً بحكم عوامل تمت طبيعة النظام نفسه بالسلطة في اليمن مركزية وشمولية تماماً بيد على عبد الله صالح الذي استمر بزماد الجيش وصار تحت قبضته ضامناً، هذا غير اعتبارات النسل والبقاء الطويل في حكم مر فيها بأزمات خطيرة اقتدته مروته الموهودة والثقة بالأخريين والمصاديق التي كانت تسكنه من نسج تحالفات ونقض أخرى.

وهناك عامل آخر خرق على في السلطة واحكام وجوده حتى صار لا يمكن التخلص أو الفك منه، وهذه نسجت خيطوطها حول الرئيس وخلفت دائرة مفتعلة لا يمكن خرقها لها ما أخرجت منها كل الشخصيات السياسية النظيفة والخبرات السياسية القديمة لتصبح دائرة متفتنة خداسة بالمصالح والصالح الشخصية ونزوى القرى وتستمد نفوذها وسلطانها من قرباتها من الرئيس أو مناصبها العسكرية أو واجهاتها القبلية أو قدرتها على التملق وهي دائرة لا علاقة لها بالوزراء أو الماستشارين أو أعضاء الحزب، الحكم أو غيرها من السياسيين الذين يتكونون شرعية دستورية بموجبها يتحركون في مساحة إدارية وسياسية ضيقة تأثيرها لا يتجاوز مكاتبتهم في بعض الأحيان.

بوجود هذه الدائرة وتراكم الأخطاء السياسية القاتلة يصعب التعامل بقدرة

البلاد على الخروج من هذا المأزق خاصة مع غياب المعارضة والبدايل السياسية المقلوبة، ويصعب الخيارات السياسية السليمة يصعب استمرار الوحدة بهذا الشكل وكذلك مسألة الانفصال ليست بهذه السهولة حتى لو استطاع الحراك الجنوبي من تكثيف تحركاته الداخلية ونجح في خلق دعم دولي يؤيد مطالبهم بذلك الارتباط، لكن الأمر لى ترسيم سلام لأن أيضاً معارضة الانفصال لازلت قوية من ناحية الحكومة وشرائح شعبية كبيرة ويد تكون الدولة مرشحة لحالة فوضى أو حرب أهلية لا تتمد عقبها.

فما يحدث في الشمال من اقتتال أخذ منحنى طائفياً وما بدأ من عمليات قتل بين المدنيين قائمة على أسس مناطقية في الجنوب مع وضع اقتصادي سيئ دون جد، هذا غير تراجع وضع الحريات وحقوق الإنسان من تضيق شديد على الصحافة ومقتل على ذمة قضايا سياسية، تبدو الأمور خرجت عن سيطرة الجميع من حكومة أو معارضة، ويعتبر ما حدث في صعدة نموذجاً لمصير ما سوف تواجهه اليمن أو بعض المناطق فيها، حيث اختلّت السيطرة الحكومية تقريباً وأصبحت تحت حكم الحوثيين بشرك محلي في بعض أجزائها، وإقياساً عليها ومعركة بسيطة لأسماة الشخصيات السياسية التي تحاول أخذ نصيبها من هذه الفوضى العارمة يمكننا ملاحظة أن اليمن تفقد جميع منجزاتها التي حققتها خلال خمسين عاماً بثورتها في الشمال والجنوب فترة الستينيات والوحدة التي تمت عام ٩٠، تتدور إلى ما كانت عليه في السابق من دعوات حكم هاشمية زيدية في الشمال يمثلها الحوثيون في صعدة معها تطورات قبلية لدور سياسي أكثر وضوحاً وقوة وميلاً للشيخ حميد الأحمر، وفي الجنوب لا يبدو الوضع أفضل فهناك طلاق الفضلي الذي يبحث عن استعادة سلطنته إجماده في أمين وعدن وأحمد بن فريد الصريمة سليل أمراء شوبه.

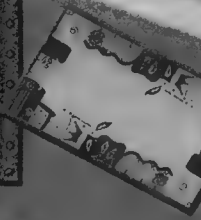
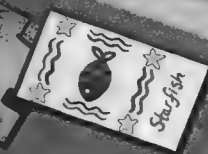
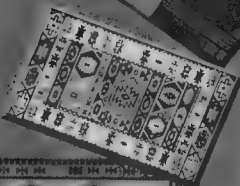
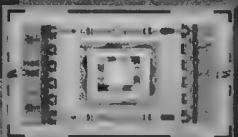
هذا حصاد مر للعقود الماضية فشلت الدولة فيها من دخول العصر الحديث دون اختلال بصورتها الاجتماعية والسياسية الحديثة، فشلت الدولة حتى من تقديم أبسط الخدمات الأساسية وخلق قهوة مواطنة حديثة ليعود الناس كما خلقتهم أيديهم نائماتاً لهم والطائفية والمناطقية والقبلية، يحتون بها ويستندون عليها لتبشاشي إلى حين حلهم الدائمة والانتماء من الفقر بالدخول في دوامة عنف جديدة قد تكون الأقسى على اليمن. ■

سجاد منقش على الأعراس - لكل الأجيال

دواسات حمام

متواجد في مراكز بيع بواقى الت

قطع موكيت



سجاد أطفال



مدير المنشأة في كل أرجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

أداة صلي

www.maccarpets.com

العلمانية
بمفاهيم
أصولية
!!

بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، ففى
الفصل الأول تحدث عن تنوع التصرفات
النبوية: تأصيل وتصنيف، وفى الفصل
الثانى تحدث عن التصرفات النبوية
بالإمامة: مفهومها وسماتها، وفى
الفصل الثالث بين أهمية التصرفات
النبوية بالإمامة.

إن التصرفات النبوية تعنى، عمومًا ما صدر من صلى الله عليه وسلم من التصرفات والتدابير (أو علمية) من قبل أو بعد أو أثناء حياته سواء كانت للاقتداء أو لم تكن. وهى كانت في حق الدين أو الدنيا، أو وهى مختلفة ومتنوعة وأدلة ذلك كثيرة؛ فالمرسول صلى الله عليه وسلم نفسه ليس من أنواع من تصرفاته، ولعل أشهر حديث في هذا الباب هو حديث تأييد التخلل أثناء الحج أو مسلم، وكذلك الصحابة من بعده ومقتدسى الأصوليين، أمثال الأئمة ابن القيم...، استنبطوا وأفهاموا تصرفات أنبيى صلى الله عليه وسلم، ولم يفصل المؤلف عن مصلح من ملأ من ملأ المتنوع والاختلاف، المتأخر إلى إحصاءات التصرفات النبوية؛ فهى أحيانًا في مقام التشريع لأحكام أخرى، فهى أحيانًا فى مقام إتمام الأوامر، والخصائص...

- تصرفات تشريعية: وهي ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم مما هو للاتباع والأقتداء، وتقسّم إلى تصرفات بالنزوح (العام: وهي توجه إلى الأمة كافة إلى يوم القيامة، وتصرفات بالتشريع الخاص: وهي مرتبطة بزمان أو مكان أو أحوال أو أفراد معينين، وليست عامة للأمة كلها، ويدخل ضمنها التصرفات بالقضاء والتصرفات بالإمامة والتصرفات الخاصة.

■ منذ أن صدر للدكتور سعد الدين العثماني كتاب، تصرفت الرسول بالإمامة، (محاولة في صياغة الإسلام الكاملة)، والتكاتب يثير يوما بعد يوم وعاما بعد آخر، جدولا يستحقه بلا شك، فهو طرف في موضوع، متقدم من حيث أفكاره وأطروحاته، ولقد أبعده ومراحله النظرية، في الفكر السياسي للحركة الإسلامية المعاصرة. وسعد الدين ليس ذكره في العلم والعمل في الدائرة الإسلامية، فهو رجل مزارع ومفكر وعضو، ساهم في صياغة وتطوير أدبيات العمل الإسلامي في المغرب، ولا على ذلك رسائله القصيرة أصدرها مبكرا مقدمة تأصيلية شروعية المشاركة الإسلامية في الثمانينيات من القرن الماضي التي عنوانها (الفكر الديني: مساهمة في التأصيل)، فالتعرض لأطروحة تصرفت الرسول بالإمامة، بالنقد والتحليل والتصويب مسافة حيوية، بل ومسؤولية أخلاقية وعرفية، لأسباب كثيرة ليس ألقاها واضعها إكاشية التفتد العملي التي تتمتع بها مقارنة بغيرها.

تندرج هذه الرسالة، المسماة
تصرفات الرسول بالإمامة؛ الدلائل
النهجية والتشريعية، من الناحية
العرفية والفقهية في مجال الدراسات
التي تسمى بـما هي فهم النصوص
النسبية من وازيعة علم الأصول
والحديث، والتي ازهرت في العقود
الأخيرة على هامش الكلام، المتزايد
حول طرق الفلو والتفسير في فهم
نصوص الحديثية، ومع تضيق جهود
التجديد والإحياء الإسلامي.. وقد رغب
المؤلف من خلالها في ترسيخ الثقافة
العربية، وخاصة أولئك المهتمين
بالبعدة والنسبة.

تصريحات الرسول صلى الله عليه وسلم
بالإمامة: الدلائل المنهجية
والتشريعية
سعد الدين عثمانى
منشورات الزمن، الكتاب رقم ٣٧،
ط ١، ٢٠٠٣م الرباط، المغرب

هذه الأطروحة ترد على المفهوم، السلفية، للسنة، التي تقف عند ظهر النصوص في عصرنا هذا، وتحرر العمل السياسي الإسلامي من الكثير من «العقدة النصية» الناجئة عن ضعف في الفقه



إن أطروحة، تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة، هي إضافة نوعية في مجال الفكر السياسي الإسلامي المعاصر، ويمكن احتسابها في التالي، تصرفات الرسول بالإمامة ليست ملزمة لأي جهة تشريعية أو تنفيذية بعده، ولا يجوز الحمود عليها بحجة أنها «سنة»، وإنما يجب على كل من تولى مسؤولية سياسية أن يتبعه صلى الله عليه وسلم في المنهج الذي هو بناء التصرفات السياسية على ما يحقق المصالح المشروعة، وهي بالإضافة إلى الفوائد التي أشار إليها المؤلف ترفع الحرج عن الفعل السياسي الإسلامي، بحيث تجعل من الممارسة السياسية ممارسة اجتهادية لا تنضبط إلا للمصلحة المشروعة.

فإذا كانت هذه الأطروحة ترد وكفاءة عالية على المفهوم، «السلفية»، للسنة، التي تقف عند ظاهر النصوص في عصرنا هذا، وتحرر العمل السياسي الإسلامي من الكثير من «العقد النصية، الناجمة عن ضعف في الفقه، والتي تتشغل كغواص لتفكير والممارسة» في الوقت الحالي، وتحد من إمكانيات الكيف مع ضغوط العصر وصعوباته، فإنها في المقابل تبني وكأنها شكل من أشكال التفاصيل للمعلماني، وسواء قصد المؤلف هذا الأمر أو لم يقصده، فإن الطريف في عملية الكتابة من جهة، وجمايلية التلقي من جهة ثانية، تكمن لهذه الأطروحة، تمييز، تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة، أو ما يمكن أن نسميه بلغة العصر التصرفات السياسية للرسول صلى الله عليه وسلم، بأنها هي أمور غير دينية واجتهادية ومصليحية^(١) مقابل التصرفات الدينية للرسول هو ترجمة أصولية لبدا، فضل الدين عن السياسة، بل السؤال الأكثر أهمية في هذا السياق أي متكلم الإسلاميين مع العلماني مع هذا التمييز وسدده فهذه الأطروحة تضرع السؤال كبيرا حول الطريقة التي يصل بها الإسلاميون، أو على الأقل فريق منهم المسمى «معتدلاً، الدين ناسية»

هرسالة سعد الدين العثماني باختصار اشغلت على التصرفات التي تدخل في باب الإمامة والسياسة، وحاولت تحصيل سماتها العامة وخلصها، ونبت

تنفيذية بعده، ولا يجوز الحمود عليها بحجة أنها «سنة»، وإنما يجب على كل من تولى مسؤولية سياسية أن يتبعه صلى الله عليه وسلم في المنهج الذي هو بناء التصرفات السياسية على ما يحقق المصالح المشروعة.

ج - أهمية التصرفات النبوية بالإمامة ولائها؛
خصص الدكتور سعد الدين العثماني هذا الفصل -وهو الأخير من كتاب- إلى الفوائد المنهجية والفقهية والحديثية التي يتيحها لنا الوعي بتصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم بالإمامة، فمن النتائج المنهجية تدل هذه التصرفات -باعتبارها غير ملزمة ولا يجوز الحمود عليها- على سنة التدرج في تنزيل الأحكام وإصلاح الواقع، ومراعاة أحوال الناس وخصوصيات الواقع، وكذا الأحوال الطارئة، غير أن أبلغ دلالة منهجية تعبر عنها هذه التصرفات هي تعليلها بـ«منطقة مفوضة» (منطقة العفو أو الفراغ التشريعي)، لاجتهاد أولى الأمر للنظر فيها بحسب مصالح الأفراد والجماعات.



والى جانب هذه العوائد هناك هائدة أخرى لا تقل أهمية من تلك السابقة وهي، «حل إشكالات في الفقه والحديث»؛ فاعتبار تصرفات الرسول بالإمامة في كثير من الحالات يرفع الخلاف، فإدراك على ذلك الخلاف الذي نشأ بين الفقهاء والمحدثين حول حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه أبو سفيان، والذي جاء فيه: «من شرب الخمر فأجلده، فإن عاد في الرابعة فاقطعه»، ففهم من قال بإل الحديث منسوخ ومنهم من نفي ذلك والمخرج من هذا هو ما ذهب إليه ابن القيم إلى أن هذا الحد هو بحسب المصلحة -في رأى الإمام-، وآخر هذه الفوائد تتجلى على صعيد الفقه السياسي، فالوعي بتصرفات الرسول بالإمامة يشر على مبدأ فصل السلطات في الإسلام، ويؤيد مدينة الدولة الإسلامية وتاريخية التجربة الإسلامية بما في ذلك عهد الراشدين.

- تصرفات الرسول بالإمامة: الأطروحة وتداعياتها؛

تصرفات النبي بالإمامة وبين سماتها، وإن كانت لا تقدم الإشارات إليها في كتب من سبقه، ومن بين هؤلاء العرب عبد السلام (١٦٠٠هـ) الذي أشار إلى لفظة التصرف بالإمامة في كتابه «فوائد الأحكام في مصالح الأئمة»، وتلقفه بعده تلميذه القرافي الذي خص هذا الجانب بالحديث في فروقه وأيضاً في كتاب «الأحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضى والإمام»، وستتوالى الاجتهادات والتفتيدات في هذا الباب بعد القرافي عن ابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

ومن سمات التصرفات بالإمامة أربعة: أنها تصرفات تشريعية خاصة، مرتبطة بالمصالح العامة، واجتهادية، وتعلق بأمر غير دينية. -تصرفات للاقتداء، والتشفيذ، فهي -بالتالى سنة تشريعية- لكنها تصرفات جزئية مرتبطة بتدبير الواقع وسياسة المجتمع، فهي خاصة بزمانها ومكانها وظروفها، وحصر أنواعها في نوعين: تصرفات تنفيذية وأمر بصيغة «عام» الذي أريد به الخصوص، وتصرفات تنفيذية صادرة عنه صلى الله عليه وسلم واجتهاداً وتبليغ تعيين أمراء البلدان والسفراء، وتوقيع القرارات....

- تصرفات مرتبطة بالمصالح العامة: -التصرفات بالإمامة تهدف أساساً إلى تحقيق المصالح العامة، وتعتمد المصلحة الراجحة أو الخالصة في حق الأمة.

تصرفات اجتهادية: فعندما يتصرف بوصفه «إماماً، أو قائد» سياسياً إنما يتصرف باجتهاده في رأيه الذي يمكن أن يصيب فيه أو يخطئ، وكان الصحابة الكرام يبركون هذا المعنى في تصرفاته صلى الله عليه وسلم والأمثلة على هذا كثيرة في السيرة النبوية.

- تصرفات في أمور غير دينية: والمثال القوي على هذا النوع من التصرفات هو حادثة تأبير التخل المشار إليها سابقاً، وأهميته التخصيص على إنشاء التصرفات النبوية بالإمامة على مصالح الدنيا تكمن في إدراك ضرورة تغير تلك التصرفات في حال تغير المصالح التي أبنيت عليها.

وقد خلص من كل ما سبق إلى قاعدة عامة: «تصرفات الرسول بالإمامة ليست ملزمة لأي جهة تشريعية أو

هذه التصرفات التشريعية وغير التشريعية عشرة أقسام، خص كلا منها بالشرح والتفصيل. وجعل تصرفات الرسول من أقسام التصرفات بالتشريع الخاص، وعرفها بما يلي «وهي تصرفات منه صلى الله عليه وسلم بوصفه إماماً للمسلمين ورئيساً للدولة، يدبر شؤونها بما يحقق المصالح، ويدبر المفسد، ويتخذ الإجراءات الضرورية لتحقيق المقاصد الشرعية في المجتمع. وفي ختام هذا الفصل نبيه المؤلف إلى أن التمييز بين هذه التصرفات أساس للفقه السنة، ومن الأسس المنهجية اللازمة لنظر فيها والتعامل معها. والفلة عن هذا تقضى إلى نظرة غير واقعية وغير شرعية لقوله وفعله صلى الله عليه وسلم.

ب- التصرفات النبوية النبوية بالإمامة (مفهومها وسماتها)؛

«التصرفات النبوية بالإمامة هي تصرفاته صلى الله عليه وسلم بوصفه إماماً للمسلمين ورئيساً للدولة، يدبر شؤونها بما يحقق المصالح ويدبر المفسد، ويتخذ الإجراءات والقرارات الضرورية لتحقيق المقاصد الشرعية في المجتمع وبسيما بعض العلماء تصرفات بالسياسة الشريعية أو بالامارة، وبالتالي هي مقام غير مقام النبوة والرسالة والغيا والقضاء...» وبحسب التصنيف السابق هي تصرفات تشريعية خاصة بزمانها وظروفها، ولذلك يعبر عنها ابن القيم بأنها سياسة جزئية، بحسب المصلحة، وأنها مصلحة للأمة في ذلك الوقت، وذلك المكان، وعلى ذلك الحال.



فيعد هذا التدقيق في المفهوم كشف المؤلف لمظاهر وعى الصحابة بين النوع من التصرفات وذلك من خلال أمور أربعة: مراجعتهم إياه في بعض قرائته، اقتراحهم رأياً مخالفاً لرأيه فيما شاورهم فيه، تأويلهم لبعض تصرفاته صلى الله عليه وسلم على أنها كانت لحصالح مؤقتة، مراجعة الخلفاء الراشدين لبعض تصرفات صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، والتفت المؤلف بعد هذا متابعة تطور المفهوم لدى العلماء والأصوليين، حيث أكد أن الإمام شهاب الدين القرافي (٧٨٠هـ) هو أول من أبرز

على ذلك مفهوم الإمامة يتميز بطبيعته الدينية والاجتهادية، والمصلحية والتاريخية. ومن الناحية العملية انتهت إلى حقيقة أصولية وفقهية وهي عدم الزامية تصرفاته صلى الله عليه وسلم بالإمامة للأئمة بعده، وعدم جوار الاستئذان بها، فمقتضى هذه الرسالة وقصدها عبر المباشر دعوة الإسلاميين لتمثل هذا المهوم للإمامة واعتناق حقيقته الأصولية والفقهية. وباعتبارها كذلك لا بد من مناقشتها ومراجعة أحكامها، وسنحاول ذلك من خلال العناصر التالية:

1- مفهوم الإمامة:

من الناحية العرفية تقوم أطروحة تصرفات الرسول بالإمامة، على مفهوم أساسي وهو مفهوم التصرفات بالإمامة، الذي يعني: تصرفاته (ص) بوصمه (ع) إماماً للمسلمين ورئيساً للدولة يدير شؤونها بما يحقق المصالح ويصد الفاسد ويضبط الإجراءات والقرارات الضرورية لتحقيق المقاصد الشرعية في المجتمع ويصممها بعض العلماء تصرفات للسياسة الشرعية أو بالإمامة^(١). وفي سياق البرهنة على أصالة هذا المهوم وصحته رجع لكلام بعض الأصوليين وتحديداً القراهي الذي جعل الإمامة مقاماً مختلفاً عن مقام النبوة والفتيا. ومن الناحية المنهجية اختار منهج الاستنباط في بناء أطروحته، حيث اقترح في البداية مهومها وبدا يفضل الكلام ويعصره على منواله.

فهذه الأطروحة يمكن الاعتراض عليها من خلال الأسئلة التالية: ما مدى صواب قصر التصرفات بالإمامة فقط على تلك التي قام بها النبي باعتباره رئيساً للدولة لا تدخل فيها بعض التصرفات التي قام بها صلوات الله عليه من منطلق النبوة وتبليغ الرسالة؟ ثم ما مفهوم الإمامة المرجعي لتصنيف تصرفاته صلى الله عليه وسلم؟ وهل نستفيد على معيار الجواز المؤسسة للدولة في تمييز هذه التصرفات إلى معيار آخر؟

إن الإمامة في المباحث الكلامية والأصولية القديمة في الفكر الإسلامي، وكل المصنفات وكتب العرق تنضح بها، ومن المعلوم في التراث الإسلامي بالمضرورة اختلاف الأئمة حولها، واقتراحها إلى مذاهب وطوائف لا زال بعضها حاصراً في حياقتها الدينية

إلى اليوم. فالإمامة في الجناح السني هي خليفة عن صاحب الشريعة (النبي) في حفظ الدين، وسياسة الدنيا به، تسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإماماً^(٢). وقد عبر الماوردي عن هذا المعنى بالشكل التالي: «فإن الله جلت قدرته نذب للإمامة رجلاً خلف به النبوة، وحاج به الأمة، وفوض إليه السياسة، ليصدر التمييز عن دين مشرّع. وتجمع الكلمة على رأي متبوع فكانت الإمامة أصلاً عليه استقرت قواعد الأمة، وانتظمت به مصالح الأمة حتى استتبّت بها الأمور العامة، وصدرت عنها الولايات الخاصة»^(٣). ونفس الحقيقة يقرها ابن تيمية في رسالة بعث بها إلى أحد سلاطين المسلمين،

الرياسة الدينية والزعامة الروحية، فمن بين ما يحويه مدلول كلمة الإمام معنى القيادة العلمية والتوجيهية للأمة^(٤). فالطوطوسي على سبيل المثال كان يعي هذا التداخل والاجتماع، ففي كتابه «سراج الملوك» دل ملكه على طريق إقامة «العدل الشرعي» أو «العدل النبوي» أو «العدل الإلهي» المؤدى «لاستقامة الدين والدنيا»، وخلصته إشراك العلماء في السلطان باعتبارهم الأدلاء على الله والقائمون بأمر الله، والحافظون لحدود الله، والناصحون لعماد الله^(٥). ذلك أن القيام بفروض الإسلام وسهامها مستعذر إذا عول السلطان على نفسه وأقصى العلماء عن حكمه، فالمسئوليات الميتية والروحية



من أعمال العلماء والصالحين. وعموماً النوع يتسع دلالة الإمامة واشتمالها على الرياسة الدينية والدينية كان عاماً لدى السلف الصالحين من علماء الأمة القدميين والمتأخرين. ولا أدل على ذلك اشتراط فقهاء الأحكام السلطانية في القيد للإمامة «العلم المؤدى إلى الاجتهاد في النوازل»^(٦). ومع تقدم الزمان وتعذر هذا الشرط في ضوء التحولات السياسية التي طرأت على العالم الإسلامي فقد أمر المتصدي للإمامة والخلافة بتقديم، من العلماء والقضاة في كفاية وغنية^(٧) في جانب الدين.

ب- مفهوم التصرفات بالإمامة:

فمفهوم التصرفات بالإمامة الذي طوره سعد الدين التميمي في هذه الرسالة يعود إلى الإمام القرطبي وشيخه العز بن عبد السلام، وفهموا الذي يداخله يرجع إلى الأصل الذي نقل عنه والأصوليين الذين استعملوه بشكل

معدول من بعده. وقد انتبه بعض المتقدمين لهذا الالتباس وحاولوا رفعه بتطبيق تحريف لفظ «التصرف بالإمامة»، لكن الدكتور سعد الدين غفل عن هذا التنبيه، ولم يوليه الأهمية التي يستحقها. جاء في حاشية ابن الشاط^(٨) على «الفرق» المسماة «إدراك الشروق على أنواء الصروق» وعلى هامش حديث القرطبي عن التصرف بالإمامة ما يلي: «التصرف في الحكم الشرعي إما أن يكون تصرفه فيه بتعريفه هو الرسول، إن كان هو المبلغ عن الله تعالى وتصرفه هو الرسالة، وإلا وهو الحق» وتصرفه فيه الفتوى. وإن كان تصرفه فيه بتعريفه، وإما أن يكون تصرفه فيه بتصرفه وإمضاء، وإما أن لا يكون كذلك، فإن لم يكن كذلك فذلك هو الإمام وتصرفه هو الإمامة، وإن كان كذلك فذلك هو القاضي وتصرفه هو القضاء»^(٩). وعليه يكون تحريف التصرفات بالإمامة حسب ابن الشاط على النحو التالي: التصرف بالإمامة هو تصرف في الحكم الشرعي بتنفيذه دون فصل وقضاء وإبرام، سواء تعلق بأمور دينية مثل الصلاة والزكاة... أو أمور دنيوية كالمصالح العامة.

والأمثلة على التصرفات بالإمامة في المجال الديني بعد النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة، مثل قتال أبي بكر لمحنة وسلم كثيرة، مثل قتال أبي بكر لمحنة الزكاة في بداية خلافته، وأيضا ما ذكره المؤرخون عن حق «معلم» المرابطين عبد الله بن ياسين، الذي كان يلزم أتباعه ودائرة نفوذه السياسي تخلف عنها كان يعاقبه بالجلد^(١٠)، ويدخل على الهجنى عقاب تارك الصلاة والصوم والزكاة...، قال ابن تيمية: «فالتأويل على ولى الأمر يأمر بالصلوات المكتوبة جميع من يقدر على أمره، ويعاقب التارك بإجماع المسلمين، فمن التاركون طائفة معتنقة قولوا على تركها بإجماع المسلمين، وكذلك يقاتلون على ترك الزكاة، والصيام، وغيرها، وعلى استحلال الحرامات الظاهرة المجمع عليها، كمنكاح دوات المحارم، والفساد في الأرض، ونحو ذلك. فكل طائفة معتنقة من التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها، حتى يكون الدين لله، باتفاق العلماء»^(١١). فيض النظر عن

بالإضافة إلى الفوائد التي أشار إليها المؤلف هناك حاجة شرعية لرفع الحرج عن الفعل السياسي الإسلامي، بحيث تجعل من الممارسة السياسية ممارسة اجتهادية لا تنضبط إلا للمصلحة المشروعة



ذلك في اجتهاد الائمة في إخصاص العباد لهدد الأحكام، وإعطائهم إياها مدلولاً واقعياً. لكن الحاصل في بعض الأحيان تغير الحشيات الواقعية أو الموضوعية لبعض الأحكام، وتغيير مقصودها الشرعي في الواقع، الشيء الذي يدعو إلى مراجعة هذا الحكم أو رفعه. وإمام بحكم مكانته الشرعية كمتصرف في الأحكام يجوز له هذا العمل. ومثال ذلك ما قام به الخليفة عمر رضي الله عنه بخصوص توزيع الصدقات، فقد أسقط سهم المؤلفة قبلهم رغم أنه سهم من الأسهم الثمانية التي نصت عليها الآية (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قبلهم)^(١٢١). ورغم تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الحكم، وقد علل الخليفة عمر قراره هذا بقوله: «إن الله أغنى الإسلام وأعزه اليوم.. فالحق من ريكهم فمن شاء فليكفر»^(١٢٢). وأيضاً ما أثبتته الفقهاء بخصوص التسخير، فقد سبق للنبي صلى الله عليه وسلم أن نهي عن التسخير غير أن بعض الفقهاء جورو للإمام ذلك، وأشهرهم أبو الوليد الهاجي، مراعاة للمصلحة العامة^(١٢٣).

ومن التصرف بالإمامة في الأحكام الشرعية أيضاً ما يدخل في باب الحبيسة وتحت نفوذ المحتسب، مما لا يدخل في مجال القضاء، فللمحتسب أمر العامة بالصلوات الخمس في موافقتها وما يقاب من لم يصل... وإمام بالجمعة والجماعات، ويصدق الحديث وإداء الأمانات ويأتيه عن المنكورات...^(١٢٤). وقد يكون تصرف الإمام تصرفاً تنفيذياً قضائياً، وليس تصرفاً بالإمامة من غير قضاء كما أسلفنا. وبحصرنا في هذا الإجماع مثال تاريخي من العصر المرامطي، يتجلى عند المشرق في التصرف بالقضاء والتصرف بالإمامة في المجال السياسي، لقد اضطرت الظروف أمير المسلمين عبد الله يوسف لمرص معونة مالية على الرعية للقيام بفرضية الجهاد، فاستفتى فقهاء العدوتين وأقرو بجواز ذلك سوى ابن الفراء (ت. ٤٠١هـ) الذي أجاب بالرفض والاطعن في فتوى الفقهاء الذين جورو له ذلك^(١٢٥). واستناداً إلى هذه الفتوى، عمد أمير المسلمين إلى جمع المعونة فنصرف الإمام، في هذه الحالة تصرف على وجه القضاء بالأساس، إذ كان يمكنه أن يقدم على

خفا في هذا السياق، فالحاكم في الاصطلاح القرآني يعني القاضي، والحكم يعنى الفصل في المنازعات وفي مواضع يعنى الحكمة^(١٢٦). وهذا واضح لكثير من الفتاوى في هذا الباب، فابن فرحون على سبيل المثال وضع كتاباً في هذا المجال سماه «تجصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام»، وضمنه قسمًا بعنوان «القضاء بالسياسة الشرعية»، في إشارة إلى ارتباط لمص الحكم بالقضاء، حتى في مجال قد يبدو ظاهرياً خارجاً عن القضاء^(١٢٧). ومن قبله الف أبو الوليد الهاجي كتاب «فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام»^(١٢٨)، وأقره للقضاء والمسائل القضائية، ومن ثم



يكون مقصود القرائي في هذا القول، سواء من الناحية الجمعية^(١٢٩) أو من الناحية السياسية، هو ضبط مجال نظر القاضي -وهو ما يقع فيه النزاع- لأجل مصالح الدنيا أكثر من قصده ضبط نظر الإمام أو تحديد مجال الإمامة السياسية.



فمن السمات الأساسية التي نراها معرفة بالتصرفات بالإمامة ومعرجه عنها، وسالمة من العيوب الائمة في كونها: تطبيقية أو تنفيذية (حسب ابن الشاطئ) غير قضائية، وبالدرجة الثانية اجتهادية. فالتصرف بالإمامة في الأحكام الشرعية، وخاصة تلك التي عرّفها النبي صلى الله عليه وسلم، هو تصرف تنفيذي وتطبيقي بالأساس، ويظهر

الموضوع أن المؤلف عندما التفت نحو تنويع التصرفات بالإمامة باعتبارها تصرفات تشريعية خاصة سمي النوع الأول منها تصرفات تقنينية، وقال: «وهذا النوع من التصرفات بالإمامة يصطاح عليه أيضاً لدى العلماء قديماً، إذ صدر من أولى الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالتفنيذ»^(١٣٠)، والنوع الثاني من هذه التصرفات سماه تصرفات تنفيذية، همام الأمر على هذه الشاكلة لماذا لا نسم هذه التصرفات بأنها تصرفات تنفيذية حسب تعريف ابن الشاطئ، أو تصرفات تطبيقية حسب الدكتور أحمد الريسوني^(١٣١)؟ وهل دعوتها بهذا الاسم ينقص من قدر النبي صلى الله عليه وسلم بعد.

تصرفات تنفذ الحكم الشرعي وهي إما قضائية إذا قامت على فصل وقضاء، وإما تصرفات بالإمامة إذا تمّ ثبم على ذلك. فجميع ما ذكره سعد الدين العثماني فيما يتعلق بالتصرفات بالإمامة لدى الصحابة، ولدى العلماء والأصوليين من بعدهم يصدق على التصرفات التنفيذية للأحكام الشرعية عموماً، سواء كانت قضائية أو إمامية، دينية أو دنيوية، وحتى الخلاف الذي وقع بين العلماء حول بعض تصرفاته صلى الله عليه وسلم يرجع سببه إلى بينما رأى فيها البعض الآخر تصرفات تنفيذية.

ج- سمات التصرفات بالإمامة:
إن سمات التصرفات بالإمامة تتحدد لدى سعد الدين تبعاً لتصنيفه للتصرفات النبوية في الفصل الأول، وأهم هذه السمات: أنها تصرفات تشريعية خاصة، مرتبطة بالمصالح العامة، اجتهادية، وإرادة في أمور غير دينية. ويمكن أن نلصق على هذه السمات ونلخص بعضها، من زاوية المفهوم البديل الذي يفتناه اعتماداً على استدراك ابن الشاطئ على القرائي.

فكونها تصرفات تشريعية خاصة فهذا فيه قدر من الالتباس وعدم التناسب، فالغالب على التصرفات التي وسمها بالتشريعية الخاصة أنها تصرفات تنفيذية، وتطلب عليها هذه السمة، ومن ثم هو باب أولى تسميتها بالتصرفات التنفيذية، والطرير في

طبيعة الأحكام التي قررها ابن تيمية في هذه الأمور، فإن تصرف الإمام فيها ذو طبيعة «دينية»، وبالمعنى الخاص للدين، أما التصرفات بالإمامة في المجال الدنيوي فكتيرة أيضاً وقد ذكر المؤلف في رسالته طائفة منها لا داعي لشكراكها هنا، وإنما غرضنا من هذا البيان، ومن التركيز على ما هو ديني، إعادة التوازن لطرع العثماني من جهة، وتلمس الطريق نحو خيار أفضل لضبط التصرفات بالإمامة والأسئلة الشرعية والسياسية الحقيقية التي يتوجب على العقل الإصلاحى الجسم فيها.

فاستناداً إلى ما سبق، نلصق التصرفات في «الحكم الشرعي» إلى: - تصرفات تعرف الحكم الشرعي، وهي من اختصاص الرسول والفتى من بعده.

تصرفات تنفذ الحكم الشرعي وهي إما قضائية إذا قامت على فصل وقضاء، وإما تصرفات بالإمامة إذا تمّ ثبم على ذلك. فجميع ما ذكره سعد الدين العثماني فيما يتعلق بالتصرفات بالإمامة لدى الصحابة، ولدى العلماء والأصوليين من بعدهم يصدق على التصرفات التنفيذية للأحكام الشرعية عموماً، سواء كانت قضائية أو إمامية، دينية أو دنيوية، وحتى الخلاف الذي وقع بين العلماء حول بعض تصرفاته صلى الله عليه وسلم يرجع سببه إلى بينما رأى فيها البعض الآخر تصرفات تنفيذية.

هذا القرار دون هتوى من أحد من القضاة، ويكون تصرفه في تلك الحالة على وجه الإمامة.

ويدخل جانب من هذا المبحث في باب العام وتخصيصه، من أبواب أصول الفقه، ويدخله بعض الأصوليين كابن حزم وغيره ضمن مباحث النسخ والمنسوخ. ووجه التخصيص لدى الأصوليين كثيرة منها الخصصات المعوية والعقلية والشرعية (تخصيص الكتاب بالسنة، السنة بالسنة...)، غير أن الوجه الذي يقع تحت مسمى الإمام هو التخصيص بالمصالح، حيث يجوز للإمام أن يثبت أحكاما شرعية (تصرفات) على هذا الدليل (لصالح المرسل) عند فقدان الشخص الخاص، وساغ له أيضا أن يخص بها النص الظني للدلالة... ويضعف بها غلبي الثبوت، وفي بعض الحالات يخصص بها القطعي الثبوت والدلالة^(١٠). ويجوز أن نسمي هذا النوع من التخصيص المحول للإمام أثناء نظره في «المصالح المرسله العامة، بالتخصيص بالإمامة، أي التي يقتضيها نظر الإمام من حيث معية في جلب المصالح ودرء المفاسد، ولا يجب أن ينهب منا الظن في هذه النقطة إلى أن التصرف بالإمامة أو بحالها من الأحكام الشرعية التي تنزهها الأسلاف والأئمة السابقون، أو أنها من نوع واحد من أنواع التخصيص أي التخصيص بالمصالح المرسله، بل يجوز عقلا وواقعا أن يستمر الإمام في بناء تصرفاته أنواع التخصيص الأخرى.

وعموما، التصرفات بالإمامة سواء تلك التي تدخل في باب «التخصيص بالإمامة، أو الخارجة عنها لأند فيها لمسات اجتهادية. فوقف مفعول النص لسبب من الأسباب (ظنية الثبوت أو الدلالة، أو هما معا، أو لصلحة) أو تكدير مجال ما لا نص فيها لا يسوغه سوى الاجتهاد، وهنا من السمات المصاحبة للصيغة بالتصرفات بالإمامة، ولكنها ليست شرطا فيها.

د - التصرفات بالإمامة ومفهوم المصلحة.

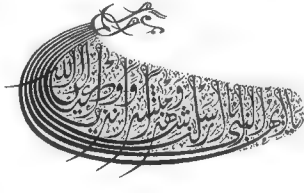
إن المصلحة شكل عام بالنسبة للتصرفات بالإمامة متباعدة العلة اللازمة لها، والصفة المصلحة بها، ورغم هذه الابهام فلا نجد تدكيلا على اعتداد الحكماء بمصالح الأصولية

الأصولية، مع العلم أن الحاجة لمثل هذا التذكير حاصلة؛ ذلك أن السياقات المختلفة التي ورد فيها مفهوم المصلحة تدفع نحو الاعتقاد بطابعها المادي والذوي، وهو ما يقتضى التوضيح والبيان، والتساؤل عن المفهوم الصحيح للمصلحة الشرعية، ولن يتسنى هذا سوى الرجوع إلى بعض أئمة المقاصد وأهل الأصول الذين تقدموا على غيرهم في فقه المصالح.

لقد اعتنى فقهاء المقاصد من القدامى والمعاصرين بمفهوم المصلحة واجتهدوا في ضبطه، ومن بين هؤلاء الغزالي والقرطبي والشافعي وابن عاشور وعلال الفاسي...، وقد اخترنا من

القدامى لأجناس المصالح الخمسة، تطبيق الجوانب الدنيوية المادية وبالمقابل إجمال المصالح المعنوية والروحية والخلقية في تحديدها وذكر أمثلتها وتطبيقاتها^(١١)، وهي الملاحظة نفسها التي يمكن أن يلاحظها القارئ يسير على أطروحة سعد الدين خاصة بشأن حديثه عن سمات التصرفات بالإمامة، ولا يخفى أن عبيا كهذا يمكن أن يحول خطاب المصالح إلى وسائل لتفسير الروحي والخلقى من ناحية

ثانية، فحفظ الدين ككلية شرعية ومصصلحة ضرورية على سبيل المثال،



سواء بالنسبة للأحاد أو العموم مناهة، حفظ دين كل أحد من المسلمين أن يدخل عليه ما يفسد اعتقاده وعمله اللاق بالدين، وحفظ الدين بالنسبة لعموم الأمة، أي دفع كل ما من شأنه أن ينقض أصول الدين القطعية، ويدخل في ذلك حماية البيضة والذب عن الحوزة الإسلامية بإبقاء وسائل تلقى الدين من الأمة حاضرها وأتباعها^(١٢)، وهذا لن يتحقق في معظمه خارج الإمامة وبعيدا عنها.



إن محاولة تعبئة «الإمامة السياسية، شكلا ومضمونا بما هو دنيوي ومدنى وفي المقابل العزوف عن ما هو دنيي التي قام بها الدكتور سعد الدين الفتحي في رسالته القصيرة، رغم منافعها وفوائدها الكثيرة التي عدها في نهاية البحث، ستؤدى في

بين التعاريف ما حده أبو حامد الغزالي في المستقصى، ونقله عنه كثير، من بينهم ابن عاشور وعلال الفاسي، وذلك لإحاطته ووضوحه؛ فالمصلحة في نظر الغزالي هي، عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرة، وزيادة في الإيضاح قال: «أنه لا يعنى بها ذلك، وإنما يعنى المصلحة المحافظة على مقصود الشرع»^(١٣). ولم يترك الغزالي ومن جاء بعده مجالاً للتخمين والخيال في تحديد «مقصود الشرع»، فقد فصل ابن عاشور المصالح التي تلتزم منزلة الضرورات الشرعية، باعتبار أثرها في أمر الأمة على النحو التالي: حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب وواد البعض حفظ العرض^(١٤)، «فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعه مصلحة»^(١٥).

لكن من الملاحظات التي أيداعها بعض العلماء وعلى رأسهم ابن تيمية على طريقة مقارنة بعض الأصوليين

حال نفوذها إلى تأسيس الاتجاهات التي ترغب في إبعاد الدين عن ساحة السياسة أو على الأقل إضعاف العلاقة بينهما، فإذا كانت أسباب نزول هذه الرسالة توجد في الماضي وتمثل في مدافعة تيارات الفلو الإسلامي التي جمعت على الرسوم والمخاض، فإن تداعياتها في الاتجاه الآخر والسلبيات الناجمة عنها على مستوى فهم العلاقة بين الدين والسياسة في الوقت الحاضر تداعياتها في الاتجاه الآخر والسلبيات السياسية في الإسلام هي إمامة دينية ودينية، وهذه من الحقائق التي تتضح بها النصوص الشرعية وتؤكدتها التجارب التاريخية. وتأكيد هذه الحقيقة والاعتراف بها لا ينقص من مدينة الدولة الإسلامية ولا يضيق على الاجتهاد السياسي في الدين والواقع، فالإسلام بطبيعته دين مدنى، وكل شيء حوله وفي تاريخه يدل على هذه الملبيمة، فمفصلاته وقطعياته الدلالية محدودة مقارنة بالمساحات التي تقع تحت مسؤولية العقل ونموذه.

إذا كانت تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم في المجال الديني تسبب إلى مقام النبوة، فإن تدبير هذا المجال وحفظ التبريد بين النبي (ص) وبيدتها يؤول إلى «ورثة الأنبياء» من علماء وخلفاء، على النحو الذي يبينه في السابق، كما فسر سعد الدين الفتحي نظره على «التصرفات بالإمامة، الخارجة عن نطاق التصرفات النبوية الدينية، وأظهر له من هذا التمييز ما ظهر من الصفات والإشارات السالفة، التي تؤكد على الطابع الدنيوي والمصلحي للتصرفات بالإمامة، في حين وجب الامتناع بالنظر إلى أنواع التصرفات الأخرى (التشريعية) والبحث خلالها عما صدر منه صلى الله عليه وسلم باعتباره إماما، حتى يتسنى له تغيير سمات الموضوعية للتصرفات بالإمامة.

إن مشكلة الإمامة السياسية في جانبها الديني في الوقت الحالي تكمن في نموذج الدولة الحديثة ذي الأصول العلمانية، التي أرسيت قواعدها في العالم العربي والإسلامي أواخر القرن ١٩ ويبدأ القرن ٢٠، الذي لا يعترف للدولة بأية وظيفة دينية، وقد حاولت الدول الإسلامية إصلاح بعض التعديلات على هذا النموذج بما يراعى

كتاب الزاوية



من شعر الحلاج

مختارات

وَأَيُّ أَرْضٍ تَخْلُو مِنْكَ حَتَّى
تَمَلُّوا يَطْلُبُونَكَ فِي السَّمَاءِ
تَرِيَاهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ جَهْرًا
وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ مِنَ الْعَمَاءِ

■ ■ ■

كانت لقلبي أهواءٌ مفرقة
فاستجمعتُ مَدَّ رَأْسِكَ العَيْنِ أهواؤِي
فصار يعضدني من كَتَمِ أحسده
وصرْتُ مولى الوري مَدَّ صِرْتِ مولاؤِي
ما لأمنى فيك أحيائي وأعدائي
إلا لغلغلتهم عن عظم بلواؤِي
تركتُ للناس دنياهم ودينهم
شفلاً بعبك يا ديني ودنياؤِي
أشعلتُ في كبدي نارين واحدة
بين الضلوع وأخرى بين أحشائِي

محمد الأنصاري السبتي المعروف بابن الشاذلي، صاحب إيا الربيع وأخذ عنه، فقيه وأصولي، ومما قبل تنظيمه لأبى الشاذلي في هذا المجال، عليك، منقوش القرائي ولا تقبل منها إلا ما قبله ابن الشاذلي، (محمد علي بن الحسين المكي المالكي، تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية، على هامش الفرق، دار الفقه، بيروت، ص ٢٠٠).

(١١) ابن الشاذلي، حاشية إيراد الشروق على أنواء الفروق المشورة على هامش كتاب الفروق، ج ١، عالم الكتب، بيروت، ص ٢٠٦، ٢٠٧.

(١٢) أبو عبد الله البكري، المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق إدريس هاشم، دار الفكر، بيروت، منشورات دار الحكمة والدار العربية للكتاب، تونس، ص ٨٦٤.

(١٣) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨، د. م. ص. ٣٠٧، ٣٠٨.

(١٤) سعد الدين، د. م. ص. ٦٧، ٦٨.

(١٥) أقرح علينا الدكتور أحمد المروسي حفظه الله تسمية هذا النوع من التصرفات بالتعبيرية وذلك لتعادي الاتهام في هذا الجانب.

(١٦) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، دار السلام، القاهرة، ط ١ / ٢٠٠٥، ص ٢٧، ٢٨.

(٢٠) نفسه، ص ٧٢.

(٢١) محمد عمار، في «المولة الإسلامية»، نقلاً من فريد الأنصاري، البيان المصوب وظاهره، ط ١ / ٢٠١٠، ص ١٠٠.

(٢٢) ابن فرحون، تيسيرة الحكماء في أصول الأفضلية ومنافع الأحكام، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٠٤.

(٢٣) أبو الوليد الباجي، فصول الأحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء، تحقيق د. الباقول بن علي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية، ط ١٩٩٠.

(٢٤) لغز في بعض الأحيان على استعمالات لحاكم بمعنى الإمام في الفكر السياسي الإسلامي.

(٢٥) التوبة، ج ٦٠.

(٢٦) إدريس حمادي، العام وتخصيصه في الاصطلاح الأصولي، مطبعة السلام، فاس، ط ١٩٨٨، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢٧) نفسه، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢٨) ابن تيمية، الفتاوى، ج ٢٨، ص ٦٩، ٧٠.

(٢٩) سعيد أعراب، من الرسل القاطنة، مجلة دعوة الحق، فبراير ١٩٨٥، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

(٣٠) إدريس حمادي، العام وتخصيصه في الاصطلاح الأصولي، د. م. ص. ٢٠٣، ٢٠٤.

(٣١) غلال الفاسي، مقاصد الشريعة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٩٩١، ص ١٤٢.

(٣٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، د. م. ص. ٧٧.

(٣٣) الفزاري، المستصفى، الأصل الرابع من الأصول الموقومة (الاستصلاح).

(٣٤) أحمد المروسي، الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، منشورات حركة التوحيد والإصلاح (الجنة العلمية)، طوب برنس، الرباط، ٢٠٠٧، ص ٦٦.

(٣٥) ابن عاشور، مقاصد الشريعة، د. م. ص. ٧٨.

خصائصها الدينية والتاريخية، إلا أن حصيلتها في المجال الديني بعد قرواية قرن من الزمان تحققت بالفشل، فقد كثرت الجراة على الدين بين المسلمين وانتهكت حرمانه وأصبح حضوره باهتاً في الحياة العامة... فلا بد -والحالة- من تقويم الأداء الديني للدولة الحديثة، والتفكير في نموذج سياسي مختلف تتعايش داخله الوظيفة الدينية والدينية للدولة، ويعيد الاعتبار للإمامة الدينية في الحياة السياسية للمسلمين. فبدل الاجتهاد في إضفاء الطابع الديني على الإمامة السياسية -كما هو الحال مع سعد الدين في هذا الكتاب- كشكل من أشكال التكيف مع الواقع السياسي ليجيب الاتجاه نحو تحديث الفكر السياسي الإسلامي وتطوير نموذج الدولة السائد. ■

هوامش

(١) يسم المؤلف هذه التصرفات بأنها تشريعية خاصة الفرص منها الاقتداء والتقليد، لكن سرعان ما يستدرك عليها بكونها جزئية وتعلق بالظروف وهو ما يذهب بهذا الفرص إلى الاقتداء والتقليد ويجهله لسبباً وظرفياً.

(٢) نفسه، ص ٤٤.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٩٢/١، ص ٢٠٢.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٤، ٥.

(٥) ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢٨، مكتبة المعارف، الرباط، ط ٢٤١.

(٦) من خلال التصرفات السابقة وخاصة تعريف ابن خلدون والماوردي بإلا حظ قدر من التشابه من حيث الألفاظ المستعملة بين نماذج الشريعة وتمايز أهل السنة والخلاف فقط يظهر في الاستدلال لكن الذي أودنا ببيان من خلال قول ابن خلدون والماوردي هو أن لفظة الإمامة تشير إلى الديني والديني في الفكر السياسي السني.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، دار صادر، بيروت، ط ١٩٩٧/٦، ص ٢٤.

(٨) نفسه، ص ٢٥.

(٩) لؤي صالحي، العقيدة والسياسة، منشورات العهد العالي، طبعة خاصة بالفرنسية سلسلة الحواشي، ط ٢٠٠١/٣، ص ٢١٧.

(١٠) الطرطوشي، سراج الملوكة، ج ١، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، ط ١ / ١٩٩٤، ص ٢١٦.

(١١) الماوردي، د. م. ص. ٦.

(١٢) مجهول، الرسالة التوجيهية إلى الحضرة العزيزية في علوم الخلافة، (إعداد وتقديم أحمد الدغري)، مطبعة المعارف الجديدة-الرباط، ط ١٩٨٧/١، ص ٣٣.

(١٣) ابن الشاذلي (١٢٣-٧٣٣هـ)، هو فاسم بن

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

أنفصام وآيات

سيد محمد البخاري

على تبريزي (ولد سنة ١٤١٦هـ)، مؤسس خط «النستعلیق»، قد تراءى له في المنام سيدنا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) رابع الخلفاء الراشدين، الذي كشف له عن منظر الأور الطائر، الذي يمكن مقارنته بالانسياب الحر للسمات ريشة الخطاط في كتابته، وبمرور الوقت ولد خط «النستعلیق»، ويرى الكثيرون في خطي «التعليق» و«النستعلیق» مدافاً صوفي النكهة، وهما خطان يتطوَّبان على نسق خاص بهما لا يحصله الخطاط إلا على مدار العمر كله. أما خط «الشكسته» فينبأ من مجموعة ضخمة من العبارات القصيرة التي تندج في كل اتجاه، ولكنها تترابض لأيات الله البينات.

إن هذا العمل «أفهام وآيات» يهدف إلى الكشف عن تطور فن الكتابة كتماسك تراشي، من خلال منمنمة متعاقبة من الأساندة إلى مريدية، وذلك عن خلال مجموعة من الأوراق التي استُخدمت كمنسوبات للتلاميذ، ثم من مسالط برشعة هؤلاء الأساندة المرمومة.

وفي هذه المجموعة الشاذة نماذج من خط «النستعلیق» للخطاط سيد مير عماد الحسيني (توفي سنة ١٢١٥هـ)، إلى جانب مقاطع شعرية ثنائية بخطه، والنسخ والرقعة بقلم أحمد التبريزي، ومن مرسوم شاه طهماسب، ومن نماذج خطية أخرى لكل من شاه محمد نيسابوري (توفي سنة ١٥٢٢هـ)، وهذه المجموعة تحتوي على مصحات متباعدة في الحجم، ونماذج للكتابة والتقوش، وبعض منمنماتها المعروفة باسم «الغباء» كانت تستخدم لأحبيبه ورسائل سرية، في حين أن البعض الآخر جاء في شكل اليوميات (مرقعات) خاصة بالأمرام والملوك، وتصح هذه الكتابات جميعاً عن رقة وجمال تزدان بها المصحات العديدة، وهي أيضاً مرمومة بالأختام والتوقيعات، مما يبرز من قيمتها التاريخية، كما أنها تلقى المزيد من الضوء على تطور الكتابة الفارسية.

إن هذا العمل في هذا العرض يدعو مشاهديه، إلى أن تفتح أذهانهم على إشراق المقاطع الشعرية الثنائية، وتلقي قصائد الفيلسوف والشاعر جلال الدين رومي، حتى تستشعر وقها الخلاب من خلال كل سطر في قبض من النغم الموسيقي المتع.

أدبية مرموقة، إيرانية وعربية على حد سواء.

لقد لعب الخطاطون الفرس دوراً مهماً في تطوير الكتابة العربية وتطويرها في كل من إيران وبلدان آسيا الوسطى. ومع انتشار الإسلام، صارت اللغة للأبجدية العربية على اللغات القديمة، فتبدلت بذلك أشكال الكتابة، كما دخلت العاطد عربية كثيرة في هذه اللغات. وبهذا التحول، صارت اللغة المارسية الجديدة في متناول عامة القوم، في حين أن كتابة هذه اللغة قد باتت وفقاً على النخبة والفاقة المثقفة، وهكذا تعيرت أشكال الحروف الأبجدية، وطُرات عليها تحولات وقواعد جديدة من حيث الحجم، والعرض، والطول، وكذا قواعد ترابطها، الحرف بالأخر، وقد ظهرت في إيران ثلاث طرائق خطية جديدة: خط «تعلیق»، و«نستعلیق»، و«شكسته»، وقد جاءت هذه الخطوط في أشكال خميفة، ومناسية، ومنمنمة بحيث توحى لمن يتأملها بانطباعاً صوفية وروحانية.

وكان خطاط القرن الخامس عشر الميلادي في فارس يعزى الجمال الذي أنتجته يده البشرية إلى العناية الربانية والوحي العلوي السماوي. ويروى أن الخطاط مير

تترك في نفس المتلقي ما هو أبعد من مجرد تأثير الكلمة المنطوقة، ومن جانبه أخذ الخطاط المسلم على عاتقه مهمة تنسيق الخطوط وطرائقها المختلطة ليصنع عليها ثوباً من الجمال ينطق للرائ بأصباح القرآن الكريم، والحديث، والحكم والأمثال، على أن مسؤولة الخطاط قد تضاعفت من واقع رغبته في الكشف عن تجويد الآيات القرآنية، وطبقات نغماتها وإيقاعها. ومن ثم انصب هم الخطاط على إخراج مخلوطته في شكل منظم، وذلك من خلال ريشته من أقلام البوص، حتى تحس كل كلمة من الآيات الكريمة ذات وقع موسيقي على الصفحة تكاملها، ويأتي هذا التكالوج «أفهام وآيات» بهدف تقديم مجموعة من الأوراق المفردة من المخطوطات الإيرانية إلى اهتمامات، وعناية العلماء، ومورثي الصبي، والخطاطين، وعامة القوم، وتتألف هذه المجموعة من ٢٥ ورقة مفردة بأقلام كوكبية من مشاهير الخطاطين المرموس، وتغطي هذه الأوراق مسافة زمنية تبلغ ٤٠٠ عام فيما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر الميلادي، حتى تكشف عن تطور الكتابة الفارسية من خلال مقطعات

القرن الكريم والحكمة هما أداتان رئيسيتان في سنى التكوين للخطاط. ويمثل القرن الكريم جوهر المعرفة كلها بالنسبة للخطاط، في حين أن الحكمة تصبح هي الأداة التي ترقى من شأن فن الخطوط إلى ما يتجاوز مجرد الكتابة أو الخط، ويتضح التزام القرن الكريم والحكمة معاً في المجموعة المتميزة لصحائف فارسية مرمدة في متحف المهنو الإسلامية في ماليزيا، والتي تم نسخها ما بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر الميلادي. هنا ولم يحط وضع تلك الأوراق المفردة أو المفردة في المومات بأهتمام العديد من الفارسيين في الماضي، إلا اليوم فإن هذا العمل «أفهام وآيات» سوف يعمل على تحفيز الهمم على رسم تاريخ واضح لتطور هذا الفن، مع إبراز لئور الخطاطين الذين لم يهتموا.

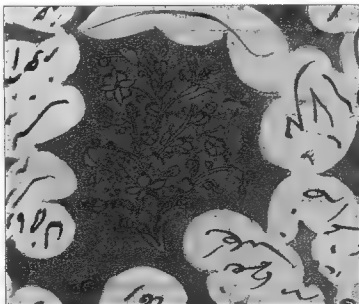
يضاف إلى ذلك أن هذا العمل يستفد من قرب أسلوبية هذه المنتجات الخطية وطرائق تلاوتها، بحيث تستشعر الأصوات القدسية لتردنا بها تلك الأوراق، ومن ناحية أخرى، فإن أنماط الكتابة سرعان ما تكشف عن إيقاع القصيدة، والنغم الضجي للنثر، وإعجاز الرمين في الآيات.

جدير بالتنويه أنه طيلة معرض كتالوج «أفهام وآيات»، فإن اللصحات الفنية للخطاط، بوصفه سوف تكشف عن الأبعاد الجمالية لريشة الخطاط، وعن الحكمة الصوفية للأوراق المفردة.



إن الأسلوب الإعجازي للقرن الكريم، بما تتضمنه من إيقاع وآيات، قد تملك قلوب وعقول العلماء المسلمين كافة، وكذا أهنة الخطاطين والشعراء. فلقد ألهمت الآيات البينات كتابات هؤلاء والأداء، وانعكس هذا كله في إبداعهم، فجاءت تلكم الإبداعات

معرض «أنفام وآيات
روائع الخط الفارسي
متحف الفنون الإسلامية بعاليريا
كتالوج المعرض: تحرير حبه نايل بركات
مركز الخطوط - مكتبة الإسكندرية





الرشيد في قصر الخلد

ما يعرض لهن الدبول. واشتهرت
السنديات بالخصر التحيف والشعر
الطويل. واشتهرت مولدات المدينة
مالدال وإميل إلى السور والمكاهة
والجون. وبحسن الاستعداد للنبوغ في
الفناء. وعرفت مولدات مكة ببدلة
المعصم والفصل والعيون الناعسة.
وعرفت الإماء البربريات الغريبات بأنهن
لا يبارون في حسن الإنتاج. ومن لدعاة
خلقهن وليس عريكتهن صالحات. وقد
تعود القيام بمختلف الأعمال.

والمثل الأعلى للحجابة كما يقول أبو
عثمان الدلال أن تكون من أصل بربري.
فارتبط بلادها في التاسعة من عمرها
ومكنت ثلاث سنين في البدينة ومثلها
في مكة. ثم رحلت إلى العراق في
السادسة عشرة من عمرها لتتشف
بتقافته. فإذا بيعت في الخامسة
والعشرين كانت قد جمعت من جودة
الأصل ودلال المدينيات ورقة الحكيمات
وتقافة العراقيات.

والسودانيات كن يمينن الأسواق. وقد
عرهن بشفة الثياب والإهمال كما عرهن
نائل إلى الضرب بالدف والرقص. وهن
أحسن خلق الله بياض أسنان. ولكن يعاب
عليهن تنن الأسف وخشونة المعصم.
والحيشيات هرفن بالصفف والترحل
والاستعداد لفرش الصبر. وهن على عكس
السودانيات لا يحسن الفناء ولا الرقص
ولكنهن قويات الخلق. موضع للشفة. أهل
لل اعتماد عليهن.

قصر الخلد

ولا يخلو قصر كهذا من العلاقات
الخرامية ولذة الوصال وألم الخصام
ولذو ذلك من ضروب المواقف. حتى
إنهم ليحكون أن سبب الصال الرشيد
بابي يوسف أن الرشيد رأى مرة مغترا
غراميا لم يعجبه. فاستدعى أبي يوسف
نساءه. هل على الخطيئة إذا رأى هذا
المغتر أن يحد الجناة؟ فأتاه بال. لأن
القاضي لا يقضي بطلعه. فسرى عن
الرشيد وأجرل إلى أبي يوسف الصلوات.
وتوثقت الصلة بينه وبين أبي يوسف
من ذلك الحين. حتى غيبت قاضي
القضاة.

تضيف إلى عظمة قصر الخلد
عظمة ببداد. فقد كانت مملوكة
بالقصور الضخمة والميادين الصبيحة
والأسواق الخائفة باللدكاكين المملئة
بالسلع. وكان أياها من مصر البسم
والكتان والقمح والحلحس والصفف وزمرر
النوية والجلود والأسلحة الصلبة. ومن
اليونان الثيابات ذات المعطر العتيق

الكتيرون وأطبائه ومصحكوه ومنهوه إلى
آخر ما هنالك.

وعلى الجملة. فكان القصر يموج
بالفتيان والفتيات والكتاب والأصغار. هذه
جارية فارسية تتكلم بالفارسية. وهذه
يونانية تتكلم باليونانية. وهذه حبشية
تتكلم بالحبشية. وهذه بربرية تتكلم
بالبربرية .. إلخ. ثم كانت شوج هي
القصر تيارات مختلفة. تيارات سياسية
من الخيرون وزويية. فالخيرون توالى
البرامكة وتؤيدهم. وتكره الفضل بن
الربيع وتبغده. ونجار من زبيدة. تكره
البرامكة وتعاكسهم. وتؤيد الفضل بن
الربيع وتقرره. ثم تيارات أخرى غرامية
بين شابات القصر وشبابه. والعباسة.
وعلية والجواري والعلمان.

وكانت جواري الرشيد فيما يمولون
تبلغ نحو ألفي جارية مختلفة
الأجناس. منهن الروميات والسنديات.
والفارسيات. وقد قال خبير بالربيع
ونواجر. إن لكل نوع من أنواع الربيع
مميزات خاصة يعرف بها. فالهنديات
ويعات لينات الجانب هادئات قادرات
على حسن رعاية الطفل. ولكن سرعان

الشخصية. تتدلخ في شؤون الدولة
وتسيرها. يمينها على ذلك يحيى
البرمكي وولاده. وقد خاف ابنها الهادي
من سطوتها. وتدخلها وشخصيتها.
هجر عليها فكرهته.

وهذا جناح زبيدة زوج الرشيد. وهي
كذلك شخصية قوية خيرة لها خدمها
الخاصون وعلمائها وجواريها. وكانت
كالخيرون في تدخلها السياسي. غير
أنها لم تكن مثلها هي دس الدساس بل
كانت دارة محسنة. تنفق الأموال على
اللاجئين والمستعصيات. وعن أشارها
الخالد عین الماء المسماة باسمها. والتي
انشأتها في الحجاز. وميت بها الماء إلى
مكة ثم كان في حجرها أنها محمد
الأمين.

وهذا جناح عليبة أخت الرشيد.
وكانت شاعرة. جميلة. مقننة لها عتافها
وروارها ومجالس أنسها وسرورها.

وهذا جناح العباسة أخت الرشيد.
فتاة جميلة أيضا شاعرة تحب جعفر
البرمكي وترأسله.

وأخيرا جناح الرشيد وهو أعظم
الأجنحة. فيه جواريه الكثيرة وعلمانها

الجلد. بباد جدد المنصور. وجعله في
الجانب الغربي من دجلة. عاش الرشيد.
والقصر يقع في منحني نهر دجلة. براء
باب خراسان حتى إذا شبت نوار الشورة
كان في استطاعته أن يفر إلى خراسان.
وهي أهم مؤسس للدولة العباسية. وفي
ناحية من نواحيه على الشاطئ الآخر
قصور البرامكة. هذا قصر يحيى. وهذا
قصر جعفر. وهذا قصر الفضل.

وله هذا واسع قد ملئ بالجواري
والعلماء على مختلف الأشكال
والألوان. وقد كان الرشيد يفاي في
أصنافه. خصوصا إذا كانت الفتاة
جميلة أو متعلمة الفناء أو أدبية.
واشتهر من جواري القصر اللاتي غلبن
على الرشيد ماردة. وهي التي ولدت منه
الغصم. وبهلاء وهي يونانية كما يدل
عليها اسمها. وقد ماتت وحزن عليها
الرشيد حزنا شديدا. وقال الشعر فيها:
ألف لندنيا ولدني

ثلاثة حبسها والإساة
إد حثا الترب على هي

لأن في الحضرة حاث
ويقول فيها أبيان اللاحس على
لسان الرشيد.

يت ضجبع الحزن ما أغسى
لحادث جل عن الوصف
حزان حزن منها طاهر
وأوجع الحزين ما أغسى
أنت أهل الترب من فوقها
موازي تحت التري أعي

لهمي على هيلان أو أنه
يرد شيئا هاتنا لهمي
وهذا القصر كأنه مدينة صغيرة له
أجنحة متعدة. هذا جناح الخيرون أم
الرشيد مكتبته وعلمائها وجواريها.
وكانت مواكب الأمراء تأتي إلى سانها
فتهاها الهادي عن ذلك. وقال لها: «متى
وقد بيلك أمير ضربت عنقه. أما لك
مميز يشعلك أو مصحف يذكرك أو
سجدة؟ فقامت الخيرون وهي ما تعقل
من الغضب. وقد ذكرنا أنها كانت لها
شأن في السياسة التي حكمت حول
أنسها الهادي حتى قتل. فلما تولى
سلطانها استعاضها. فماتت بعد ثلاث
سنوات من خلافته. وكان يوم وفاتها يوما
مطرًا. فعمس الرشيد في جنازتها.
وكانت امرأة عاتقة قوية السلطان كبيرة

للاستزادة:
هارون الرشيد
أحمد أمين
دار الشروق. القاهرة. ٢٠٠٧



أحمد أمين



«الحريم» للنان الإنجليزي جون هيرديريك لويس (١٨٥٠) - ألوان مائية - متحف فيكتوريا وألبرت

والأدب. وقد روى عنه أنه كان يسند الشعر في أشعارهم. ويبدو الخفن في غنائهم. ويحصى غلطات هؤلاء هؤلاء، ومرايا هؤلاء هؤلاء، كما كان من أدلة ذلك ما جمع له من الأصوات الممتازة التي اختارها أبو الفرج الأصبهاني وبنى عليها كتابه الأعاصير.

ولعل أكبر ما يدل على ثقافته وصيته المشهورة التي تقدم بها إلى الأحمر معلم ولده محمد الأمين إذ قال: «يا أحمد إن أمير المؤمنين قد دفع إليك معلقة نفسه وشعره قلعه، قصير يدك عليه ميسولة، وطاعته لك واجبة. وكن له بحيث وصحك أمير المؤمنين. أقرنه القرآن، وعرفه الأخبار، ورواه الأشعار. وعلمه السنن. ويصبره مواقف الكلام ويملكه. واسمه من الضحك إلا في أرفاقه، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا

دروهم، والداقد سدس درهم، والديار كانت تختلف قيمته تبعاً لنقاء فضة الدراهم أو عدم نقائها. فكان يساوي مرة عشرة ومرة خمسة عشر ومرة عشرين. وكان مقدار المنار ذهباً يساوي ستين قرشاً مصرياً تقريباً

ثقافة الرشيد

وكان الرشيد مثقفاً ثقافة عربية واسعة. علمه الأدب الفضل الضبي، والنحو الكسائي، وملاذ الأصبغى طرطفاً من طرائفه الأدبية وملاحاً من ملاحه العربية. وكان نديمه في العناء إسحاق الموصلي. وتدلنا مناقشاته الكثيرة للعلماء والأدباء على بحر واسع في العلم

الخاص متخمين للوقوف وشراء حير ما في الأسواق. كما تروى لنا ألف ليلة وليلة. ويقول الاقتصاديون إن الدينار والدرهم قيم لهما قيمة ذاتية. وإن قيمتهما بخفضتهما الشرافية. وكانت قيمتهما هي عبد الرشيد كبيرة لا تقاس بما نحن عليه اليوم. فقد عثرت على قلعة يتنمّن بعض الأشياء فيها أن الكيش كان يباع بدرهم، والجمل بأربعة دنانير. والتمر ستون رطلاً مدرهم، والرتب ستة عشر رطلاً مدرهم. والسمن ثمانية أرطال بدرهم. وكان الرجل يعمل في سور بعدد كل يوم بخمسين حبة. وكان ينادي على لحم البقر في جبانة كندى بسعور رطلاً بدرهم. وحجم الخنم ستون رطلاً بدرهم. والعمل عشرة أرطال بدرهم. والأساذ البتاء بخمسين حبة. ومن المعلوم أنه في أيامهم كانت الحبة ثلث

والصمغ. ومن سوريا الزجاج والبثور والأصداف. ومن بلاد الصرب البخور. ومن سوماطرة النخور الحاروي والزعفران والقرنفة. ومن جاوى المناس والحماج والأخشاب. ومن سيلان الهياقوت واللآلئ. ومن فارس الأصواف. ومن شيراز المبروز والعقيق والخرجان. ومن أصفهان الأقمشة المختلفة. ومن بخارى الأصواف والسجاجيد والأقمشة. ومن مرو التزبريد. ومن الموصل صفائح الصلب. ومن سمرقند الأطلس والفصص والأقمشة الناعمة. ومن الصين الصيني وحجر الشب والحبر الخام والصمغ. ومن التبت المسك. وهذه كلها تحول أحسن ما يرد إلى قصر الخلد والقصور حوله، وأحياناً كثيرة يسير الشبابان - هارون الرشيد وجعفر - ورواها مسرور

دخلوا عليه ورغب مجالس القواد إذا حضروا مجلسه، ولا تترك بل ساعة إلا جازوا معتم فائدة تصديدها من غير أن تحزنه غشيمت دهنه، ولا تمنع في مجالسها يستحلي الفراع وبالفاء، وقوفه ما استعجب بالقرب والملائكة، فإن أباهما فطيليك بالشمدة والعطفة، وهي وصية الحكيم، وضع فيها الرشيد منحج التعليم، ومهج الأخلاق، واتخذت على من العصور مرشدا لكل من حاول التعليم وأراد ممارسته وبروز أن الرشيد مرة دعا الفصل الضبي والمأمون عن يمينه ومحمد الأمين عن يساره، قال الفضل، فسلمت، فأروا لي الحالجوس هلمست، فقال لي، يا مفضل، قلت، فليكن يا أمير المؤمنين، قال، كم من الإسماء في هسكمتكهم كذا، فقلت، ثلاثة إسماء يا أمير المؤمنين، قال، بوما هي؟، قلت، الهاء اله عزوجل، والكاف الثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والهاء واليم والواو للكتاب، قال، صدقت، كذا أفادنا هذا الشيخ، يعني الكسائي - ثم التفت إلى الأمين فقال له، فهمت، قال، نعم، قال، اعد المسألة، يا مفضل كما قال الفضل، قال الرشيد، فافعل هل عندك مسألة؟، قلت، نعم يا أمير المؤمنين، قال العزق،

أخذنا بأطراف السماء عليكم لنا كرهها والنجوم الطوال قال الرشيد، فهيات قد أفادنا هذا فليكن، فقد أخبرنا الشيخ - يعني الكسائي - أن لنا كرهها، يعني الشمس والقمر، كما قالوا سن العصور بريدون يا بكر وعمر وذلك إذا اجتمع اسمان من جنس واحد، وكان أحدهما أخف على أفواه الفضائل غلبوه فسماوا الأخير باسمه، فلما كانت أيام عمر أكثر من أيام أبي بكر فترجوه أكثر غلبوه، وسوما أي بكر باسمه، وقد قال اله عزوجل، بعد المشركين فيسبر المرين، وهو المشرق والمغرب، قال الفضل، فقلت مسألة، قال، بوما هي؟، قلت، أراد بالشمس إبراهيم صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن، وألقمهم محمدا صلى الله عليه وسلم والنجوم الخفاء الراشدين من ابلك الصالحين، وقد تسمير برمي إلى نوع من الشقاق، قال، يا فضل بن الربيع أحمل إليه مائة ألف درهم ومائة ألف درهم دينه، إلى كثير من أمثال هذه الحكايات التي تدل جعلتها على ثقافة واسعة واستفادة من المفضل والأمصم والكسائي وأمثالهم ويروي الفضل أيضا أن الرشيد استعده وساله عن بيت من الشعر، فأجاب قاف ما نوقع الرشيد، فشرع الرشيد من غير خلاصة فيمنه ألف وسبائة ديكر وأعطاه الفضل ألفا علمت الخيزران ذلك أعقته الألف

والسمانة، وأخذت الخاتم منه، وروته إلى الرشيد لأنه كان يجب به، فبرده الرشيد إلى المصل، وقال له، يا بايق بالخلمية أن يستمر ما أعطى، فصمما له الألف والسمانة

امتزاج الثقافات

وإلى جانب ذلك كان في عهد الرشيد اختلاط الثقافات كانها جداول صغيرة تكون منها نهر كبير، فالأول، كان من هذه الثقافات الثقافة الفارسية، وهي التي عظم في الدولة العباسية، ما ألفها عبد الله بن المقفع وأمثاله، كتب الفرس الثقافة الإسلامية العباسية من الفرس أشياء كثيرة، مثلا: الألفاظ الغريبة، خاصة ما ليس للعرب عهد بدولها، مثل الفاظ الماكولات الفارسية والألبان الفارسية وضرب اللباس والأثاث والرياش روى أن فارسيا ناظر عربيا بين يدي يحيى بن خالد البرمكي، قال الفارسي، ما احتجنا إليك قم في عمل ولا تسمية، لا فلتكتم فيما استغنيت عنا ما علمناك ولا فلتكتم، حتى أن ليك فيكم وشركتكم ودونيتكم وما فيها على ما سمعنا ما غيرتوها كالأسفياج والسكاج والذوايح وكالسكنجين والحلنجين والجلاب وأمثالها وكالروزامج والأكساد وأمثالها، فسكت عنه العربي، فقال له يحيى ابن خالد، قل، اصبر لنا نملك كما ملكك ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها لا تحتاج إليك ولا إلى شيء آخر لكم، ونقرأ في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، فراه يستعمل ألفاظا كثيرة من أصل فارسي، فيسمى الطريق إذا التفت فيه أريجة طري، جهارسو، والجهارسو فارسية، ويسمى السوق الوزار وهو فارسية وهكذا وثانيا، نصلوا كثيرا من كتب الأدب فارسية الأصل وكثيرا من القصص الفارسية، ويحكون أن كتاب ألف ليلة وليلة أصله فارسي، وقد ترجم بعد الله من الفقع كتاب كيلة وضمنته في الفارسية كما ترجموا عن الفارسية كتاب زراعت السمى، اقتنا ترجموه هو وما عليه من شروح، وقد ترجم الحسن بن سهل كتاب، جلودان خرد، عن الفارسية

هذا إلى أن كثيرا من الفرس كانوا قد أسلموا وتعلموا العربية، فكانوا يتفلقون إلى العربية ما تعلموه من أفكار فارسية كما نعل كثير من التوقيعات والحكم إلى العربية من غير نص عليها، بل لعل من كان من أصل فارسي كله أو بعضه، كيشار بن برد وأبو نواس لهم معان مأخوذة من أصل فارسي، ومن رأى أن خلدون، أن كثيرا من واضعي العلوم كيميوية واضع النحو، وإبن حنيفة واضع الفقه، ونحوهما من أصل فارسي، وأن الفارسيين في هذا الباب

أكثر من العرب، وسواء أصبح هذا أم لم يصبح، فإقل ما يدل عليه أن كثيرا من الفرس وصعوا كثيرا من العلوم، بل ذهب بعضهم إلى أن شعرا أبي العتاهية لا يمت إلى العرب بصلة، لأنه ليس مناسبا لحياة اللوك وزفرهم وتعيمهم في الحياة، وإنما هو شعر مستمد من الفارسية، خصوصا من مذهب ماني الزاهد.

كذلك انتشرت الثقافة الهندية بدخول كلمات من الأصل الهندي إلى اللغة العربية، وقد سموا السيف مهنذا أخذنا من الهند، ومن اسمائهم المنسلية، هند، وكيلة وضمنة الذي ترجم إلى العربية من الفارسية من أصل هندي، قال هناك علماء من أصل هندي يتفلقوا ما للثقافة العربية وشعروا بالثقافة الهندية كآبن الأعرابي، فقد روى أن إياه زيادة ابن أصل هندي كذلك نقل إلينا أن التجارة بين المسلمين في العهد العباسي والهند كانت واسعة المطاق لها طريفة تختلف طريقة اليونان، هذا إلى أن كثيرا من عقائدهم في الحلول وعودة الوجود دخلت في التصوف الإسلامي.



وهناك ثقافة يونانية دخلت في الدول العربية منها الفاطم كثيرة، كما دخلها الطب والفلسفة، وكان في بلاد الرشيد كثير من المتعصبين للثقافة اليونانية كعلماء حرا والإسكندرية وغير ذلك، نعم، إن العرب لم يستسيحوا الأدب اليوناني في القديم لأنه يبعد كثيرا عن الأدب العربي، فلم يأخذوا منها كثيرا، وإن أخذوا منها الطب والمثل والفلسفة.

والثقافة الرابطة: الثقافة الرومانية، من مثل الفاضل تتوسطها من الجوارى الرومانيات ومن الرومانيين في أشاء حروب المسلمين معهم وأسرهم الأسارى منهم، وكان مما حتى به في عهد الرشيد والخلفاء والعباسيين عامة، الطب والتنجيم فأنحسروا من الطب والظنفسية، وكان لكل خليفة طبيب خاص ومنجم خاص، أما حاجة الخلفاء للطب فواسعة، إذ كان كثير الخلفاء مرضى يحتاجون إلى طبيب يعالجهم رويوا أن المنصور كان مرضيا ببعثته فلم يستطع أطباءه معالجته، فاستدعى طبيب من جنديسابور هو جبريس بن بختيشوع، وكانت مدرسة جنديسابور مدرسة عظيمة وتعد مصدرا للثقافة اليونانية ومركزا لثقافتها وطوعها، أسسها كسرى ذو نشتروا وتبعها على شكل السلطنتية لحاض واستجلب لها أطباء من الروم ثم خلفهم من بعدهم من حل محلهم من أهل البلاد.

وكان الذي أنشأه فيه بيمارساتبات لمعالجة الجبريل، فلما جاء الرشيد استعجب جبريل بن بختيشوع، وأمره بإنشاء بيمارساتن بيفدا على نمط ما في جنديسابور، وكانت عائلة بختيشوع كلها تشارية ساطرة

أما طبيب الرشيد جبريل بن بختيشوع، فقد أراد الرشيد أول الأمر أن يسميته فاحصر بن بولا مجهولا، فقال جبريل، ليس هذا بول إنسان، لأنه ليس له قوام بول الناس ولا لونه ولا راحته. وكان جبريل بن بختيشوع هذا مشهورا بالفضل، جيد التصرف في الشاوة، عالي الهمة سعيد الجد، حافظ على الخلاء، رضيع المنزل عنه، أثاثه منهم الأموال العظيمة، ولما مرض جبريل بن يحيى بن خالد البرمكي أيا رصام الرشيد عنهم، استدعى جبريل بن بختيشوع هذا فعاوجه وشاء الله أن يبرأ في مدة ثلاثة أيام، ومرة تسعت حطيفة من الرشيد ورفعت يدها فبقيت منبسطة، ولم يتعافى علاج الأطباء ولا الأدباء، فاستدعى جبريل فاستعصرها وأراد أن يكشف عن ساقها، فأنزعجت الجارية وحركت يدها وبسرت، وكان الرشيد ينتصع بفوقه فيها ما مقدار ما يشرب، وبلغ عنده منزلة عالية حتى قالوا: إنه كان كل من تقلد عملا من الرشيد لا يفرج إلى عمله إلا بعد أن يمر على جبريل، وقد ثار عليه العلوية لقريه من الرشيد حتى أرادوا أن يقتلوه، وعلى العموم كان طبيب القصر، قال فيه أبو نواس:

سألت ألى أبا عيسى وجبريل له عسل فقلت الروح تعصبي فقال، كتبرها قتل فقلت له فقدر لي فقال وأقوله فحصل وجدت طبائعا الإني فارية أريمة لكل طبيعة رعل وقال له المأمون يوما: ألى بولك يا جبريل غزال قد سبا عتلى غزال قد سبا عتلى بلا جسر ولا رلة

الإيمان بالتنجيم

أما التنجيم، فكان الخلفاء يمتدحون أن للنجوم أثر في أحداث الكون من موت وحياة وسعادة وشقاء وصحة ومرض وسعة وتقتير في الرزق وغير ذلك ونشأ في الناس الاعتقاد بها، وكان من أكبر من أشاعه الشيعة

فصّل إليهم كثير من التنبؤ بالحوادث، وربما كان من أكبر الأسباب في ذلك دعايتهم لأفلسهم، من طريق التنبؤات. ونسب لعلى بن أبي طالب كثير من أخبار بني أمية وسقطهم وظهور بني العباس وغير ذلك من الأحداث استناداً إلى قوله: «سلوني قبل أن تفقدوني».

وقد سموا إلى تنبؤات ما يحدث في الدولتين الأموية والعباسية، ومقتل الحسين، وخروج عاشقة يوم الجمل، وخروج الأمر من العلويين إلى العباسيين، وأحداث الفساح، ويعض أحداث نسي بويه، ونحو ذلك. ولكن يظهر أن أكثرها وضع بعد ظهور الحوادث التي أسندت إليها من التنبؤات. وشاع بين الشيعة لأجل ذلك علم الجفر. وهو الذي حُرف فيما بعد إلى «الشفرة»، وسواء أصبحت هذه الأبحاث أم لا تصح، فإن الناس والخلفاء والأمراء كانوا يتعمقون فيها ويبنون أفعالهم عليها. وكتاب الجفر هذا كان أسهل من هارون ابن سعيد الجبلي، وهو رأس الصفة المعروفة بالزيرية، كان له كتاب صغير يعرف بالحرر، يروي عن جعفر الصادق. وفيه أخبار عامق سيعق لأهل البيت على العموم، ويعرض للأشخاص منهم على الخصوص. وكان مكتوباً عند جعفر على جلد ثور صغير. فرواه عنه وثناؤه وزادوا عليه. وإنشأوا في ذلك ما يسمى بالاحمر، وهي أشعار تروى في أخبار دولة على الخصوص أو دول على العموم، وأكثرها مروضون. تروى على الحوادث الماضية صريحة، ويرجع تاريخها إلى ما قبلها لندالة على التنبؤ. أما ما يدل على المستقبل فيلزم صحيح غالباً.

ويروون أنه عثر على عهد المهدي على كتاب في الجفر يروي أن عدة حكم المهدي شمس سنوات، وشاع ذلك على الناس. فلما علم الربيع وزير المهدي قال: إن الخليفة المهدي لو علم ذلك لقتلنا. فاستدعى الزورقين وأمرهم أن يكتنوا الكتاب ويجعلوا بدل العشر أربعين، حتى يظنن المهدي إلى عدة حكمه، وهكذا من باب طرق النصب. وسبب ذلك، على ما يظهر لي، أن بعض الناس قدرة على معرفة الغيب ويسمون «المفلسين»، إما عن طريق ما يسمونه «الفرج» والتقليد، وإما بالتأويل الغامض أو نحو ذلك، مما هم يكتسبه العلم إلى اليوم، وهذا

لعرفه الماضي والحاضر أو قراءة أفكار الإنسان.

أما معرفة المستقبل فلا أظن أن أحدا يعرفه: إذ قد استأثر الله بعلمه. وأقران الكريم يقول على لسان النبي صلى الله عليه وسلم: «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء». فكيف يصبره؟ ولكن الناس تزيدوا وابتعدوا طرفاً كثيرة من قراءة الكف والودع ونحو ذلك واعتقدوا بتأثير النجوم. وكان بعض العلماء معتدلين في ذلك: فقد كان بعض الفلاسفة يعتقد في الاعتقاد بالتنجيم، ويحل بعصه تعليلاً معقولاً. وذلك أن تلمس الشمس والقمر والنجوم أحداثاً في الدنيا لا شك فيها كأثر الشمس في الفصول الأربعة، وأثر القمر في المد والجزر، وأثرها معاً في الرياح والسحاب والرعد والبرق، ثم لا ينكر أيضاً أثر هذه البيئة الطبيعية في أبدان الناس والبهائم في التفرس.

غاية الأمر أن بعض هذه الأحداث ناشئ من حسابات بسيطة وحركات هذه الكواكب كخسوف الشمس وكسوف الشمس وحساب المد والجزر ونحو ذلك، ويعضها صعب الاستدراك الفصيلة المشاهدات التي تبني عليها احتمالاً، فإن بعض الأوضاع لتجوز لا تتكرر مرة ثانية في عمر الإنسان الواحد، ومرة واحدة لا تقس على حكم صحيح. وحسابات الحادثة الواحدة ينسبها إلى البروج كلها وتأثير كل منها حساب صغير جداً بحيث قد لا يصح الحكم في حساب برج من البروج فيخسئ التنبؤ.

على كل حال، فقد شاعت بين الناس حوادث التنجيم والإيمان بها، واستلزم التجمون التنبؤ حتى الخلفاء، وقد روى أن المنصور تفرح يوماً معينا لومع الحجر الأساسي لبناء بغداد، وتخير الفاطميون بعد ذلك وقتاً مناسباً للوضع الحجر الأساسي للفتاح، وأمسك فاحدة الختمين بعيدة عن الألفاظ، فقصه لصحة التجمون بالخروج إلى الحرب أيام مضج النسيم والعنب، حتى يكون المنصور، ولكن الحالة الحربية اضطرته إلى الخروج في غير هذا الوقت فانتصر وقال:

السيف اصدق أبناء من الكتب في حمة الحد بين السيف واللعيب وكان الرشيد يؤمن بهذا التنجيم أحياناً. ويستعمل إلى أخبار التجمين وتنبؤاتهم، حتى روى أن منجماً يهودياً قال للرشيد: «إن بني أبي أحكام التجمون أنك ستؤمن سريعاً، فأقمتم لذلك اجتماعاً شديداً وأحضر جعفر البرمكي ليسرى جعفر، فحضر وروى كتبه خفية، فقال جعفر للتجمين: «إن الخليفة يموت سريعاً». قال: «نعم»، قال له: «وماذا تراه في نفسك؟»، قال: «أرى عمري طويلاً».

قال: «أقتله يا أمير المؤمنين حتى يتبين كذبه»، فقتله، واستأثر الرشيد. ولقد كان هذا التنجيم وسيلة لعلم الفلك، كما كان تحويل المعادن إلى ذهب سبباً في تعرف قوانين الكيمياء الصحيحة. فقد روى لنا أبو محمد بن إبراهيم الفزاري صنع قرجاً، وروا أنه قدم على الخليفة المنصور رجلاً من الهند عالم بالاحبار المعروف بالسند هند في حركات النجوم. وأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب إلى اللغة العربية، وأن يؤلف منه كتاب يتخذ العرب أصلاً في حركات الكواكب، وبذلك ابتدأوا العلم بكثير من التخريف، وانتهاوا به إلى التصحيح والتطبيق. وطول أمر التنجيم إلى اليوم في التنبؤ بالمساعدة في ولد في شهر كذا، والشقاء لمن ولد في شهر كذا، وفي اختلاف أخلاق من ولد في بعض الشهور ومن ولد في شهر آخر ونحو ذلك.

ولو كان هذا صحيحاً، لا طورت النتائج فيمن ولدوا في شهر واحد من سعادة أو شقاء أو سولوك، فماذا نجد كثيراً من العوارق بينهم. ولكن هي طبيعة الإنسان تريد أن تخترق حجب الغيب ويستغل الدجاول غريزة الاستطلاع عند الناس والله أعلم.

تقدم العلوم

وتشرب بعد الشكافة المختلفة والعناصر المختلفة إلى المسلمين، ظهر أثر واضح هو تحول العلوم من أشكالها البسيطة الدالة إلى قواعد علمية، وتسابيح الحلماة إلى ذلك كبريد أن يؤسس علماً. وتشارك في هذا العمل علماء من العرب كالحليل بن أحمد الفراهيدي، وعلماء من الفرس كسيبويه وأبي حنيفة، واليهود كإبن العرابي، وعلماء من المسلمين وعلماء من الأعراس، فخلقت حركة غربية حقا. فهذا النحو يتحول من نظرات بدائية ومسايل جزئية، كالتي تروى عن أبي الأسود، إلى علم نافع وقواعد منظمة. كالذي كان من التحليل وتلميذه سيبويه.

وهذا التفقه يتحول من مذهب مكول من جميع لتحديث واستنتاج منه إلى مذهب قياس منطقي كالذي يضعه أبو حنيفة وصاحبه أبو يوسف ومحمد. وهذه اللغة التي كانت تجمع كلمة فكلمة قد تم جمعها وأخذوا يصنعون معاً في موضوعات خاصة كالخيل والإبل، ثم جاء الخليل بن أحمد هذا، فوضع كتابه «العين» أساس المعاجم اللغوية. وهذا الأدب الذي كان يروى قصيدة أو قطعة قطعة، أخذ يجمع في الكتب المعقولة كالمفصلين للخبز، والأصمعيات للأصمعي، والتناقض لأنس عبيد.

وهذا التمدد الذي كان يعتمد على النطق الفطري، فتتبدد الكلمة إذا كانت دامية مثل كلمة بورع. أو يتبدد المعنى إذا كانت كاس سخيا كقول الفاضل. هذا ابن عربي في دمشق حليلة لو شئت ساكن إلى قهيلا فينتقده عبد الملك بن هدا يخال عامل من عماله. أو الشاعر لو قال: لو شاء سائق، لكان أحسن. فيقلب إلى نقد بقواعد وقوانين كالذي فعله ابن سلام في عبقريته.

وهذا التمدد الذي كان يعتمد على مجرد جمع الأخبار حشماً الفخ، يؤلف وينظم فيجعل لكل علم موسماً، وتكل شاء سائق، لكان أحسن. فيقلب إلى نقد بقواعد وقوانين كالذي فعله ابن سلام في عبقريته.

وهذه الأنساب التي كانت في الصدور كتبت في السطور ووثقت تدوينها منتظماً، كالذي فعله الكلب في كتابه الجمهرة في الأنساب. وهؤلاء رجال المحلحين الذين كان يكتب عنهم كلمة في تصديدهم أو تحريجهم جعلت كلب سبب في كتب التراجم الواسعة، يعتمد فيها على الأخبار، ومعرفة حياة كل مترجم به نحو ذلك، حتى لو قلنا: إن كل فاضل من الفاضلات انقلبت علماً وضعت في قواعد، لم تكن يسميها من الصواب، فربما كانت معيشتها في القرون التي تبعها، تيسر إلا تردداً لا ذكرها أو تعبيراً عنه بلغة العصور المختلفة، أو تفريقاً لجمع أو تجميعاً لشرع في غير كثير ابتكار يضاف إلى ذلك اختلاف المذاهب والنحل وأخذها أيضاً شكلاً علمياً، حتى أن المذاهب التي كانت سياسية، أدرجت والحوار وأهل السنة والشيعة، انقلبت إلى مذاهب دينية علمية تحمل تعليلات علمية وتحلل تحليلات فلسفية، وتعددت المذاهب حسب العقليات ومقدار التفاهة والوقار السياسية والدينية.

فهذا العقل والعقل واسع التفكير يذهب مذهب الاعتزال، الذي يتبدد بالنص وينهج منهج الرواية والجمع فيكون محمداً، وهذا يحب علياً ويترجم على ابنه الحسين ويعطى بقية على من أضطه من العلويين فيكون شيعياً، وهذا يحب أبا بكر وعمر ويصعد أعاليهم وأصعاليهم على غير فيكون سننياً، وهذا يفضل علياً وينصب فيكون واثقاً إلى الخلفاء بالمداهب فيكون عباسياً، وهذا يدوي لا يحب الرياسة ولا يصل إلى التناقل ومناصرة الظروف فيكون خارجياً، وهذا يتحقق الإسلام طاهراً والوادية ناطياً ويكره العرب إلى صميم قله ويدور رجوع وكثرة الفرس إلى حالتها الأولى، قبل أن يهرمهم العرب، ويأخذوا بلأهم قريشاً، وهكذا، وهكذا، من تعدد المذاهب وتنوعها مما ليس له نظير في مجتمع آخر. ■

الوُسْطِيَّة

البحر، ولم يخل الأمر من تبدل في المواقع بين ممثلي مختلف المذاهب الفقهية المتأخرين.

ونجد الخلاف نفسه بين علماء الحملة الفرنسية حيث وقف لانتكزها إلى جانب الملكية الخاصة، بينما وقف جبرار إلى جانب ملكية الدولة أما إيتيفيف وكذلك دي شابرول فقد اتخذوا موقفاً وسطاً إلى هذا الحد أو ذاك كما سيرد تفصيل ذلك فيما بعد.

والخلاف الحالي بين الباحثين والعلماء هو من زاوية من الزوايا، انعكاس لهذه الخلافات القديمة، حيث يستعيدون إلى حد كبير نفس الشواهد والبراهين، وهذه المنهجية، التي لا تزال سائدة حتى اليوم، لا تصيف جديداً من الناحية الجمهورية، اللهم من زاوية طريفة العرض والرهنة، وعدا ذلك فهي مجرد تكرار لتلك الخلافات القديمة، ولكننا في الحقيقة لا بد أن نتساءل قبل كل شيء عن دلائل مثل تلك الخلافات نفسها، ويدور الكشف عن تلك الدلائل تصبح مجرد لغز محير، أو رصاصة ذهنية خارج السياق، ولذلك من الضروري أن نتساءل عن الأسبق، أو الأسباب، في ظهور تلك الخلافات سواء بين فقهاء المسلمين، الذين عاصروا تلك الحقبة التاريخية القديمة نفسها، أو حتى كانوا قضاة يعملون بأنفسهم في منازعات الملكية، أو من الفرنسيين، وهم الذين شاهدوا الوضع على الطبيعة، أو لم تكن تنقصهم الشواهد الإمبريقية، والذين كانوا، فضلاً عن ذلك، يمكنون منهجية مستقلة من العلوم القانونية والاقتصادية الحديثة؟ ولما

كانت تلك الخلافات قد نشأت بين من عاصروا تلك الحقبة التاريخية، فمن المنطقي أنها ليست بالتالي راجعة إلى قصور في الشواهد الإمبريقية، وتكرارها وإثباتها التاريخي، الذي جعلها تمتد من الفقهاء المسلمين حتى علماء الحملة الفرنسية، يبرهن على أنها ليست ناشئة عن أسباب ذاتية، أو قصور في الفهم والتحليل، وأنها تعود، بالتالي إلى أسباب موضوعية ما تستحق البحث والتحليل.

وبعدنا كل ذلك إلى الفرضية التالية: وهي أن تلك الخلافات تطورت على دلالات معينة وثيقة الصلة بأن هناك التباساً تاريخياً يحيط بحقوق الملكية نفسها في تلك الحقبة، وهذا بدوره وثيق الصلة بالخلاف الاجتماعي القائمة، الأمر الذي أفرد بالضرورة مثل ذلك التضاير.

والفتح عنوة مع عدم تقسيمها بين الفاتحين، صارت الأرض وقفاً لصالح «جماعة المسلمين»، وأن الدولة بدورها أصبحت مجرد حارسة لهذا الوقف، وبالتالي لا يحق لإمام (أو رأس الدولة) التصرف فيها وقد كان هذا الخلاف في الحقيقة تعبيراً إيديولوجياً عن



لايكاد يمر يوم إلا وتطرع القضية نفسها... من يملك الأرض في مصر؟ هل هي الدولة؟ هل هم الأعراب (في الأراضي الصحراوية) الذين وضعا أيديهم على مساحات شاسعة منها؟ هل هي الجهات السيادية التي أقامت فيها معسكراتها؟ هل هم رجال الأعمال الذين اشتروا آلاف الأفدنة بأسعار رمزية ليبيعوها أجزاء منها بعد ذلك بأسعار خرافية؟ ماذا تعني ملكية الدولة؟ وهل تعطي هذه الملكية لحكومة ما حق التصرف بالبيع في تلك الأراضي؟ المثير أن الأسئلة التي تبدو حديثة هي في واقع الأمر قديمة جداً، هذه دراسة حادة تتناول قضية ملكية الأراضي في مصر منذ القرن الثامن عشر.

المحور

الخلافاً الاجتماعي حول ملكية الأرض، وحول حق الدولة في الخراج بعد انتشار الإسلام بين السكان الأصليين على أهل الدماء، وكذلك استنزاف العرب المسلمين واستغلالهم بالزراعة، ومن ثم مطالبه كل هؤلاء بعدم أحقية الدولة في خراج الأرض الذي فرض أصلاً على أراضي أهل الذمة

مقدمة منهجية

■ إن غياض تصور دقيق عن ملكية الأرض في مصر في العصور السابقة على الرأسمالية يمثل أحد المشاكل الرئيسية التي تواجهنا في دراسة التكوينات الاقتصادية الاجتماعية في تلك العصور فضلاً عن ذلك فهي تكتفي بطلها على نقطة البدء في دراسة العصر الحديث، أي على عملية نشأة العلاقات الرأسمالية وتحلل العلاقات السابقة عليها.

ومع المعروف أن هناك اختلافاً عميقاً حول تلك القضية، فهناك من يرى أن مصر لم تعرف الملكية الخاصة طوال تاريخها، وأن الدولة كانت هي المالك الوحيد للأرض وتبني هذا الرأي عدد واسع من العلماء والباحثين المصريين والأجانب من بينهم إبراهيم عامر ومحمد صادق سعد وكذلك جبريل باير وغيرهم وقد أصبح هذا الرأي هو الأكثر شيوعاً في مصر بعد نشر كتاب

على الطرف الأخر نجد هناك من يرى على النقيض من الرأي السابق أن الملكية الخاصة كانت هي السائدة في مصر شأنها شأن أي بلد آخر، ورغم عدم انتشار هذا الرأي إلا أنه لم يعدم ممثلين كباراً يداهون عنه مثل المستشرق الفرنسي الكبير سطر دي ساس، وفي مصر، راشد البراوي، الذي توصل في رسالته لندكتواره عن «حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين»، إلى أن المصريين بعد الفتح العربي كانوا يمتلكون الأرض ملكية تامة مطلقه أو بتعبير القانون، رقيه ومنعه، وأنه لم يكن للحكومة على الملكيات الخاصة سوى حق السيادة العليا، كما كان الشأن في التشريع الحديث.

فنحن إذن إزاء وجهتي نظر، تبدوان على طرفي نقيض، ومن المفترض بطبيعة الحال أنه لا يتسع لهما معاً واقع محدد رغم أن كل فريق لم يقدم الشواهد المستخلصة من هذا الواقع ليقدمها كدليل لدعم وجهه نظره في مواجهة وجهة النظر الأخرى، ولما تناسبه فصح من نجد هذا الخلاف نفسه كان قديماً بين المؤرخين والفقهاء المسلمين، فقهاء المذهب الحنفي اتخذوا جانب الملكية الخاصة، ومعظم المذاهب الأخرى اتخذوا جانب ملكية الدولة، وبمعنى أدق إنه في حالة

صلاح العمروسي



لم يتفق الباحثون والمؤرخون،

سواء مصريين أو أجانب، على إجابة واحدة عن هذا السؤال رغم أهميته



تحفظها الملكية، إلا أنه لا يزال يرى في نفس الوقت، أن السلطان هو الملك الوحيد للأرض.

وهذا هو نفس ما أورده استيف - وقد أعلن السلطان نفسه المالك الوحيد لكل أراضي مصر ملك له. ومع ذلك فحيث إن الأرض قد انتقلت إلى مستغلبين يسمون أنفسهم ملتزمين يستطيعون أن يتصرفوا فيها، وحيث كان محرمًا بإبطال هذا الحق الممنوح لهم، تتساوى مع نفس المزاي التي حققها الملكية، فقد احتفظ العالمان بحق التملك المباشر والوراثي لتجزء الأكبر من الأراضي التي ألت تبقيها للملتزمين، وإن كان ذلك لا يعطيهم حق بيع الأرض أو هجرها، وإذا حدث أن مات بعضهم دون أبناء أو ورثة فإن الأراضي التي كانوا يملكونها تعود لتصبح تحت تصرف الملتزم الذي يضطر لإعطاءها إلى فلاح آخر، وحين يموت أحد الملتزمين، دون أن يخلفه من بعده، يورثه ترمود أرضه إلى السلطان الذي يعهد بها بدورة إلى ملتزم آخر، وهكذا. يلاحظ أن استيف يقترب من الرأي الآخر، على الرغم من أنه قد بدأ شهادته بذلك إعلان السلطان عن نفسه بوصفه المالك الوحيد لأرض مصر.

٣. آراء دي شابلول

كذلك يتخذ دي شابلول موقفًا وسطًا وإن كان يقترب إلى حد كبير من موقف لا تكريه فهو يصف أوضاع الفلاحين قائلا: ... الفلاح في هذه البلاد البائسة، ليس بمالك للأرض، وليس يقدرون أن يكون كذلك، إنه ليس صاحبًا للأرض، ولكنه في من دلائله، يعمل لحساب ملك العصبية التي هورت وطنه، واستأثرت إله رقيق الدولة في أسبارة القديمة وعبد السعتمرات الأمريكية النقص، ويقول أيضا: «يؤثر الفلاح لأنبائه حق زراعة الأرض التي في حوزته وعلى هؤلاء أولًا أن يقدموا لملتزمين نوعًا من رسوم التقليد... ولذا يرضى الفلاح الموت أن يسد هذه الصيرورة بالرغم من وأمر وتنتهيات الملك الملتزم بأن الأخير يستطيع أن يرغمه على ذلك

سوف تعود إلى ما كتبه لا تكريه في مكان لاحق وتواصل عرض آراء جيرار. فقد بقيت فقرة هامة على قصصها وبرت هي كتابات جيرار، هذا نصها، وعلى الرغم من أن كل أراضي الصعيد ملك للحكومة فإنها مع ذلك بقيت مقسمة بين القرى المختلفة وبحق لسكان هذه القرى أن يرزوا مساحة محددة من أراضيها.

ومن الواضح إذن أن جيرار يرى أن الدولة هي الطرف الوحيد المالك للأرض المتصرف ولكن مع الهبوط لها (أي الحقوق) إلى مستوى الرمن الموقت، أي الفارقة والذي يمتددها يتنازل الرمن عن التصرف بصورة مؤقتة للمرتفق (صاحب الدين) ليتنعم بها حتى يتم السداد. كذلك يعترف جيرار بحق الميراث، واستمرار الأرض في نفس العائلة، ولكن مع الهبوط به إلى مجرد -حمن صنيع الحكومة- ودون أن يرقى إلى مستوى الحق الممنوح، به من الدولة، كما يعترف جيرار بأن الأرض مقسمة بين القرى وهذه بدورها مقسمة بين سكانها، أي أن الزراعة الفردية المنفصلة هي الشكل السائد لاستغلال الأرض حتى هي الصعيد المعروف بأنه أقل تطورًا عن مصر السمل.

٤. آراء الكونت استيف

أما الكونت استيف، فيذهب ثملًا فعل جيرار إلى أن السلطان هو المالك الوحيد للأرض، وإن كان يعترف للفلاحين والملتزمين على السواء بحقوق أوسع من تلك التي اعترف بها جيرار. فهو يؤكد شفع الملتزمين بحق التصرف بالأرض، وأنه كان محرمًا بإبطال الحق الممنوح لهم، فمن خلال حرمات الملتزمين من توريث أراضيهم، وذلك على خلاف جيرار والذي ربط كل ذلك بالإرادة المطلقة للحكومة. ومن ناحية أخرى، يؤكد استيف، احتفاظ الفلاحين بحق التملك المباشر والوراثي وإن كانوا محرمين من التصرف فيها بالبيع، ولهم في ذات الوقت ليس الحق في هجرها.

ورغم أن جيرار يتصلص النتيجة العامة التي أوردها في أن هذا النظام للأشياء يحقق مزايًا تتساوى مع نفس المزاي التي

١. آراء جيرار

ينص جيرار وجود حق الملكية الخاصة في الأرض سواء بالنسبة للفلاحين أو الملتزمين وهو إذا كان يعترف بوجود حق الميراث، فإنه لا يجرعه إلى وجود حق الإرث وإنما إلى إرادة المالك أما حق التصرف بالبيع والشراء فيعتبر جيرار تمامًا ويرى أن حق التصرف مقصور على مايسمى «الارض الموقتة» أي نظام «الماروقة»، وهذه هي مقتضات من شهادة جيرار:

ففي معرض حديثه عن ديس الفلاح يتحدث عن أنه يرجع -إلى أن الفلاحين ليسوا هم المالكين لأراضيهم-

ثم يتحدث في فقرة أوسع عن حالة الملكية عمومًا ودون تمييز بين الأرض الأولية (أراضي الفلاحين) وأرض الالتزام، فيقول منذ أول احتكاك لصراع كان في الغزو هو السند الوحيد الذي تركزت عليه حكومتها وكان الانتفاع ببعض أجزاء من الأرض الزراعية قد ترقى إلى بعض الأحيان للشعب المهزوم فلم يكن شمة ما يلزم لإيقاف هذا الانتفاع الهزيل سوى صدور هيكل هبر عن إدارة آخر الفلاح، ول تزال هذه هي حاله ما يطلق عليه الملكيات الخاصة نعم تظل هذه الملكيات هي نطاق نفس العائلة. ليس مستند من حق الإرث بقدر ما هو دليل على حسن صنيع الحكومة التي تظل تحتمل لنفسها بحق التصرف في هذه الأراضي حسب مشيئتها. وكما رأينا، فليست هذه الملكيات سوى إعطائيات قابلة للتلف (أي خيرية) ولها السبب نفسه فهي قابلة للبيع أو التنازل. ولهذا السبب فلا ينبغي علينا أن نلصق تمييز بين حق مزارع من الأرض، فكرة تحويل متبادل ومطلق ولكن فقط فكرة الرهن المؤقت مقابل مبلغ من المال تحصل عليه في شكل سلفة وتمتلك المقترض الأرض بنفسه دون اشتراك في الملكية أي وقت نحصيله لتقروض، وفي هذه الفترة يقوم الملتزم أو الذي أنت إليه الانتفاع خلالها بالانتفاع بأراضي التي إقترضها، ويعمل لا تكريه، وفي الفترة الأخيرة في نص جيرار قائلا: «فقد ن كل الكتاب المشار إلى (أي جيرار) أن يقع مساحة من الأرض ليس سوى تعاقب مؤقّت لا يدم إلى فترة السداد ومع ذلك فقد لسا أن كل الملتزمين في كل أنحاء مصر كانوا يؤقّسون فيما بينهم عمليات بيع مطلقة،

ومن هذه العصرية نرى ضرورة دراسة القضية على ضوء طبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة، دون أن نحصر انصنا في مجال الشكل القانوني وحده فهذا من شأنه أن يمكننا من فهم أدق ملكية الأرض بل يمكننا من تفسير تلك الخلافات، بدلا من العرق فيها نفسها، وإعادة تكرار براهين وشواهد القدماء.

وفقا لهذه الاعتبارات سوف نحاول دراسة أوضاع ملكية الأرض في مصر في القرن الثامن عشر على ضوء مشاهدات وآراء علماء الحملة الفرنسية.

تصنيف ملكية الأراضي في

مصر في زمن الحملة الفرنسية

ومن المعروف أنه كان هناك قسمان رئيسيان من الأرض في ذلك العصر، القسم الأول: الأرض الخراجية وهذه تنقسم بدورها إلى أرض الالتزام، والأراضي من ناحية وأراضي الفلاحين (الأرض الأولية) من ناحية أخرى.

والقسم الثاني: أراضي الترق والبرق الأحباسية. وهناك قسم ثالث، وهو قليل الأهمية وهو يخص أراضي «الأطلاق» وهي أساسا تتكون من المراعي الخاصة بباشا مصر والملتزمين في أواخر العصر العثماني. والخراج ينقسمها، أما أراضي الترق فليس هناك خلاف بشأنها باعتبار أنها كانت قبل وفدها ملكية خاصة بمعاد من الصرلاب (أو كانت الملكية الخاصة شرط لصحة ونداد الوفاء)، وذلك بإجماع المؤرخين والفقهاء على اختلاف مذاهبهم وكذلك علماء الحملة الفرنسية، وفيما يتعلق بأرض الخراجية، هناك أطراف ثلاثة يدور الخلاف بشأن ملكية أي منهم الأرض، الدولة، الملتزمين، الفلاحين.

عرض موجز لآراء علماء

الحملة الفرنسية

نحرص في البداية آراء كل عالم على حدة ثم نقوم بمحاولة لتحليل هذه الآراء.

هناك من يرى أن مصر لم تعرف الملكية الخاصة طوال تاريخها،

وأن الدولة كانت هي المالك

الوحيد للأرض



الزراعة فإنه يحصل على الأرض دون شرائها وفي نفس الوقت فإنه من المؤكد أنه كان على الفلاحين حتى بيعها ولن لعدم امتلئ على ذلك.

وهكذا فعلى الرغم من ندرة وقائع حالات تصريف الفلاحين في أراضيهم بالبيع للأسباب المذكورة إلا أن لانكرية لا يرى في ذلك ما يلحق وجود هذا الحق ثم يورد لاندركيه حقا آخر لتصريف

وهو الرهن «الحيازى» المسمى بالعاروفة، الذى بمقتضاه تنتقل أرض المقترض إلى المقرض حتى يتمكن الأول من سداد الدين للأخير، فعندما يجد فلاح نفسه عاجزا فإنه يقوم برهن جزء منها لقاء مبلغ معين يستغله في زراعة الجزء الذى احتفظ به، وعندما يستطيع أن يرد المال الذى حصل عليه فإن الرهن يتوقف وتعود الأرض التى رهنها إلى حوزته، ويسمى هذا النوع من الرهن، «العاروفة».

وبينما يركز دى شاربول على أحد جوانب علاقة الفلاح بالمقرض التى شكلته من نزع أرض الفلاح إذا ما عجز عن دفع الصرائب، فإن لاندركيه يركز على الجانب الآخر فيؤكد أن المقرض «لا يستطيع أن ينتزع من الفلاح الأرض التى يزرعها، طالما على الأقل - لم يمسك أحد الفلاح غير قادر على زراعتها... وما دام الفلاح، نتيجة لذلك، يقوم بدفع الصرائب المقررة، ثم يركز على حق عودة الفلاح إلى أرضه إذا ثرعت منه سبب عجزه عن دفع الصرائب، وذلك إذا ما تملك الوسائل التى تمكنه من سداد ما عليه من ديون متأخرة إلى المقرض».

وأخيرا يضيف لاندركيه، أن الفلاحين يستعملون الحق الحرة في اختيار نوع المحاصيل التى يريدون أن يزرعوها من أراضيهم فهم يستطيعون أن يبدروها بالقصم، أو الأر، أو الذرة حسبما يتيسر لهم بشرط أن يدفعوا للصيريين للمقرض وليس للأخير أن يرضعهم على شيء.

وإذا كانت أراضي الفلاحين كما رأينا، تنشأ عليها حقوق ملكية لكل من الفلاحين والمقرضين، فإن الأخيرين يشرفون انتملكية أرض «الوسايا»، يقول لاندركيه:

«انتهيت الآن من شرح الطريقة التى كان العالحو يمتلكون بها الأرض، وكيف كانت ملكيتها تقسم بينهم وبين المقرضين، كما تحدثت الآن عن جزء آخر من الملكية كان في حوزة هؤلاء المقرضين، وهو يستعمل على الأراضي التى تتبعهم كلية والتي لم تكن تدفع من ضرائب إلى ضريبة الميرى، وهذه الأراضي كانت تعتبر ملكية خاصة كانت تسمى أرض الوساية أو أرض الملاك. كانت تسمى هذه النوع من الملكية موجودة في

على الدوام مقيدة بضريبة، ويحمل الشخص الذى يؤدي إليه هذه الضريبة اسم : المقرض أو سيد وهو في الواقع سيد هذه الأرض أو هو يستطيع أن يزيده أو ينقص من قدر الملكية التى يحصلها من هذه الأرض كما أنه يستطيع أن يبيعها أو يبيدها المقرض آخر، كما أن هذه الأرض تصبح من بعده ملكا لأبنائه ثم إنه في النهاية يبعدها إلى ملكه الخاص إذا مات أصحاب حق في الحصول على ممتلكات أبيهم بعد دفع الضريبة الضرورية... وهكذا يتميز دى شاربول عن جيرانه وعن استيف أيضا في أنه يؤكد على وجود حق الملكية الخاصة شبه التامة للمقرضين فهم يورثون أراضيهم لأنفسهم ويتصرفون فيها بالبيع وما إلى ذلك من تصرفات ومن الواضح أيضا أن هذه الحقوق في الملكية تنطبق على أراضي الالتزام بأسرها، أى على أرض «الوسايا»، وعلى أراضي

يجوزها المقرض الباشا، وكانوا يحصلون

للسلطان ثلاثة أمثال قيمة المايظ السنوى غير مشتمل على البراش... ويعد الباشاوت في معظم الحالات من المبلغ المخصص كضريبة إرت ويحاربون على هذا الخصوص نحو المقرض ما يمارسه هؤلاء نحو الفلاحين في نفس الظروف ويصطر المصرون إلى ضراب الإرت كما باعتبارها استرداداً للأرض وهكذا يصبح أبناء المقرض أصحاب حق في الحصول على ممتلكات

أبيهم بعد دفع الضريبة الضرورية... وهكذا يتميز دى شاربول عن جيرانه وعن استيف أيضا في أنه يؤكد على وجود حق الملكية الخاصة شبه التامة للمقرضين فهم يورثون أراضيهم لأنفسهم ويتصرفون فيها بالبيع وما إلى ذلك من تصرفات ومن الواضح أيضا أن هذه الحقوق في الملكية تنطبق على أراضي الالتزام بأسرها، أى على أرض «الوسايا»، وعلى أراضي

الوساية

الفلاحين، الأثرية، التى تدخل في نطاق الالتزام.

وتيميز دى شاربول أيضا بأنه يقضى الخلاف هؤلاء بين الملكية بين الأطراف الثلاثة: الدولة، والمقرضين و الفلاحين لصالح المقرضين ويحجبهم هم الذين يمتلكون أراضي القرى المتلكة فعليا أو أراضي الفلاحين الأثرية، وذلك بالإضافة إلى أراضي «الوساية».

ولكن ينبغي أن نلاحظ أنه لم يتحدث عن ملكية هؤلاء بالتأثير ولا بالرفض وذلك على الرغم من تأكيد على ضرورة موافقة الدولة، ممثلة في باشا مصر، على توريث أبناء المقرضين، وعلى حقوق الدولة المالية قبيلهم.

أراء لانكرية

أما لانكرية فهو على خلاف سابقه جميعا لا يؤكد على وجود الملكية الخاصة بالنسبة للمقرضين وأيضا بالنسبة للفلاحين هؤلاء الذين ليس لهم حتى الآن (وحسب جيران واستيف، ودى شاربول) الحق في بيع أراضيهم.

إن معظم الفلاحين في القرية هم ملاك أراضيها، أى ملكاها كبقية صغار بمعنى أنهم يستطيعون أن يبيعوها أو يبيعوها إلى فلاحين آخرين، والأراضي مهما كانت التعيرات التى تصيبها تبقى

بمعنى من استغلال الأرض التى كانت في حوزة أبيه.

ثم يضيف «ومن ذاكرة القول أن ثلثت النظر إلى أن المالك لا يستطيع أن يبيع الأرض التى يزرعها، حيث أن ملكيتها الحقيقية ليست في يده ومع ذلك فقد كان يسيطر ويحتفظ لنفسه بحق الرجوع إليها وعندما يكون المالك ممبرا غير قادر على

سداد ما عليه فإن المقرض يستدعيه أمام القاضي ويشتت عن طريق شهود أم من يملكه حتى يبيع الأرض ويستعيد الحق في إحلال فلاح آخر محله. ويرى الفلاح الجديد عادة على طريق شيخ أول القرية ويتقبل المقرض ذلك الاختيار لكن ذلك لا يعنى أن المالك القديم قد انتزع من أرضه صير عودة، فيمكن أن يستطيع دفع الأقساط المتراكمة عليه لكي يحصل من جديد على أرضه، ومن جهة أخرى فإن حدث أن وقع صريرين وبائع على المالك على يد المقرض، فإن مقدور الفلاح أن يهجر مقله ويحل محله في هذه الحالة شيخ الملاحين والمقرض».

هذا ما كتبه دى شاربول عن أوضاع ملكية الفلاحين، فهو وإن كان يتحدث عن غيب حق الملكية للفلاحين على أراضيهم بوصمهم اقانا إلا أنه يعود فيؤكد أنهم يتوارثونها ويتصرفون فيها بالإيجاب، ومن ناحية أخرى فهو يركز على حق المقرض في انتزع الأرض من المالك المصر وعلى هجر الفلاح لأرضه إذا وقع عليه ضرر بالغ من المقرض، ولكنه يعود فيؤكد حق المالك في استرداد أرضه بعد تسديد ما تراكم عليه من ضرائب وإتاوات للمقرض، ومن الجدير بالذكر أيضا أن على الرغم من كل تلك الحقوق المكتسبة للمالك على يد شاربول يؤكد أنه لا يستطيع أن يبيع ما بيده من أراضي.

أما المقرضون، في رأى دى شاربول، فإن حقوقهم في ملكية الأرض تحتلأ اختلافا عظيما عن حقوق الفلاحين، فهو يصمم بأنهم هم الذين يمتلكون أراضي هذه القرى امتلاكاً فعلياً..

ثم يضيف «للمقرض الحق أن يبيع التزامه، وعندما يحدث ذلك يقوم المقرض الجديد بدفع الميرى بدلا منه وعندما يبيع التزامه في أرض الملاحين فإنه يبيع كذلك الجزء الذى في حوزته والمقابل لتلك هي أرض الوساية، إذا لا يمكن أن

تعمل مثل تلك الممتلكات مثل حقول، وبرت، إنما لا تقوم المقرضين مع والدم، لكنهم لا يخلصونه إلا بعد موافقة الباشا، وفى الحالة يحصل هذا المصايط (أو الباشا) بأعباءه ممتلا

وهناك من يرى على النقيض أن الملكية الخاصة كانت

هي السائدة هي مصر

شأنها شأن أي بلد آخر



أسلوب الإنتاج مستمرا، أي تبقى الأرض على الضواحي في أيدي الفلاحين ليتوارثوها في نفس الوقت الذي يتوارثون فيه تلك الالتزامات المتضمنة في دفع الربيع الإقطاعي، ومعنى ذلك أنه إذا كان الادعاء من طرف الحكومة بميليتها الأخيرة الالتزامات المتضمنة في دفع الربيع لا يوجد لها من خيار سوى ترك الأرض بين الفلاحين ليتوارثوها وليكتسبوا عليها حقوق ملكية فعلية (ليست قانونية)، وذلك حتى تستمر عملية الإنتاج، ومن ثم تكون قادرة على إعادة إنتاج الربيع، ومن ثم تكون مجموعة من القواعد والحقائق، ودون اللجوء بصفة دائمة إلى الإكراه فوق الاقتصادي (أي العنف)، الذي يستخدم فقط عند الضرورة، ويتركز بصفة خاصة في المرحلة الأخيرة، أي عند وفاة الفلاح بدفع الربيع الفعلي عليه، أما إن كان شكله (ربيع نقدي، أو عيني، أو عمل - أي السرقة -) وهي فوق كل ذلك تستخدم كل جبروتها في ربط الفلاح بالأرض وليس طرده منها، فالمتزم أو الحكومة إذا كان بمقدوره طرد فلاح ما من أرضه، إلا أنه يمكنه فلاحا على سداد الربيع، أو سداد رسم التوريث، فإنها (المتزم والحكومة) ليس بمقدورها انتزاع أرض مجموع الفلاحين أو قسم محسوب منهم، طالما كان أسلوب الإنتاج قادرا على إعادة إنتاج نفسه، ومن ثم علاقته الإنتاجية، أما طرد أفراد من الفلاحين من أراضيهم، كما أن السماح بهجرة فريدة للفلاحين، فما لك ذلك إلا لأن الدولة والمتزم يكونان قادرين على إحلال فلاحين آخرين محلهم أي حين الوفاء بالضرمان، أما إذا حدثت هجرة واسعة اتخذ أبعادا ظاهرة، فهي تواجهها بالقوة المسلحة.

هـ - وعلى ذلك فإن كان استيعاب يقول إن الفلاحين ليسوا بملاك حقيقيين فإنه محق في ذلك تماما، طالما أنه يقصد أن بؤس الفلاح الحقيقي ناشئ من حرمانه من الإنتاج الفاضل لأرضه، ولا ينبغي إلا ما يحافظ على حيالة الباشا. أما لاكتريه عندما يقول إن الفلاحين هم الملاك الحقيقيون للأرض، فهو محق بقدر معين، أي بقدر ما يتلقى الأمر بوجود ما للملكية كقولهم لهم بحكم رسم العلاقة الإنتاجية التي تقتضي رسمها بأرض وأوراقهم لها أي حين، أي التي ترتب لهم نوعاً من حق الملكية الفعلية على أراضيهم. ببساطة إلا أن ما ميزها على أحد جانبي العلاقات الإقطاعية.

وهذا الحق يتضمن التصرف بالبيع والشراء، فعلى الربيع من ثمره حقه، إلا أنه لا يمكنه ولا اكتريه هي الحقيقة محق في حديثه عن وجود هذا الحق، ولا يقلل منه حديثه عن ثمرته، ويوجد دليلا على ذلك من شهادة

أن الفلاحين هم الملاك الحقيقيون للأرض، ويؤكد أن لهم الحق في التصرف فيها بالبيع والهبة.

ألا أنه هو نفسه يعود فيؤكد أنه نادراً ما يقع فعل البيع لأراضي الفلاحين، والأثرية، ولكن بينما يفسر جبرار شباب وقائع التصرف في الأرض، والشراء، إلى غياب حق الملكية فإن لاكتريه يفسر ندرة وقائع مثل تلك التصرفات بأن أسعار الأرض بخسة.

3- إن الجميع يتفقون (بما في ذلك لاكتريه الأشد تطرفاً في تأكيد حق الملكية على أن هناك قبوذا محددة على حق صلب الفلاحين لأراضيهم، فلاح يجب عليه دفع رسم توريث، ولا فقد مؤقت حقه في استغلال الأرض التي له حق توارثها، كذلك فإن الفلاح الممسر يطرد من الأرض، حتى يبقى بديوله من

القرى التي تتبعه بصفة أساسية رجلاً مكلفاً بزراعة وحصد أراضيها، أي، الوسيعة، ويسمى الأول الخولي ويسمى الثاني الخولي، ويقوم الحاصل والخصول بالتنسيق مع مشايخ البلد بتوزيع الأرض على مختلف الفلاحين... ويبدأ الوكيل القيام بأعماله عند ما يحين وقت الحصاد، فيمسك سجلاً بكميات الحبوب المحصودة ويودعها في بيته ويحضر معه شيخ البلد كشاهد، ويتلقى الفلاحون 10-15 مدينين عن زراعة الفدان الواحد. أما عن الحصاد فإنهم يحصلون على مكافئ من القمح أو الشعير يساوي على أكثر تقدير 1/22 من الإز، وذلك عن اليوم الواحد.

ويمكننا أن نخلص مما سبق أن حق التملك الفردي لا شك في وجوده بصورة معينة، ولكن هناك وضعاً متميزاً لهذا الحق بالنسبة للفلاحين من ناحية،

المصيد بعد الغيا، ولكن يمكن القول عامة أن أراضي الوسيعة، في مصر السفلى، كانت تبلغ حوالي 1/10 من أراضي الفلاحين⁽⁴⁾. ويلاحظ أن التصرف في أراضي الوسيعة، يرتبط بالتصرف في أراضي الفلاحين، فإذا باع الملتزم الأولى مأكلمها فإنه يبيع معها في نفس الصفقة الثانية مأكلمها، وإذا باع نصف الأولى فإنه يبيع معها نصف الثانية وهكذا، وذلك أي كانت النسبة بين النوعين من الأرض.

ولكن ما هو الفرق بين طريقة الاستغلال في أراضي الفلاحين وفي أرض الوسيعة؟ لقد عرفنا من لاكتريه أن أرض الفلاحين تزحف بشكل مستقل من الإدارة المباشرة للوطني، ويضعون له ثلاثة أنواع من الضرائب: الأولى، المال الحر، وهو يتكون من البري، وأضاف، يدفعه الفلاح للملتزم الذي بدوره يدفع للسلطة المال الميري، ويحتفظ لنفسه بالنصف الذي يسمى الضاد، والنوع الثاني، المال البراني ويحتفظ به الملتزم لنفسه، والنوع الثالث، عبارة عن مجموعة من الضرائب مثل الكشوفية، الفرد، الكك، الغار، رفع الظالم... إلخ.

لهم هنا أيضاً إزاء زراعة صغيرة مجزأة تتم بصورة مستقلة عن الإدارة المباشرة للمتزم، وفي أرض بجزءها الفلاح بشكل وراثي، فخلال حق التملك الأخرى، وفي نفس الوقت يكون تابعاً للملتزم وعقيد إزاه يدفع الربيع، وما يتبقى بعد دفع كل تلك الضرائب والإتاوات يمثل «الإنتاج الضروري، ثمينة الفلاح.

وتعدت لاكتريه، عن عدة طرق لاستغلال الأرض الوسيعة، فقد كان الفلاحون «يرغمون في بعض المناطق على زراعتها بطرق السرقة، أي أن الملتزم يحصل على عمل الفلاحين بصورة مجانية، الذي يمثل نوعاً من الربيع في صورة عمل مباشر، أي بيع عمل.

أي أحوال أخرى كان الفلاحون يستأجرون أرض الوسيعة، إما بطرق غير مباشرة من طريق تأجيرها جملة واحدة إلى شيخ البلد الذي يدير في نفس القرية زراعة أراضيهم الأخرى، ومن الإيجار على المدام أو من مجموع المال الحر والبراني الذي تقفه أرض الفلاحين في هذه القرية. ومعنى ذلك أن دخل الملتزم يتزايد أعلى من دخله من أراضي الفلاحين، وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن مشايخ القرى يقومون بإعادة تأجير هذه الأرض مرة أخرى للفلاحين، فيحصلون بدوره على جزء من الربيع، فإن ما يتبقى للزراع الفعلي، أدنى بكثير مما يحصل عليه من أراضيهم الأخرى.

كذلك بد يقوم الملتزم بتأجير أرض الوسيعة، مباشرة إلى الفلاحين، وفي هذه الحالة، يكون للملتزم في كل واحدة من

وبالنسبة لساندهم من الملتزمين من ناحية أخرى ولهذا سنناقش هذه النتيجة بصورة منفصلة عند كل من الفلاحين والمتزمين، ثم نتناول مشكلة ملكية الدولة.

أ. حق الملكية وتناقص

أوضاع الفلاحين

1- إن الجميع باختلاف أرائهم يتفقون على وجود الاستغلال الخاص، والتحكم الخاص لأراضي الفلاحين، ذلك أن أشد العلماء تطرفاً في نفي وجود الملكية الخاصة، وهو مسيو جبرار صبرخان، «الملكيات تظل في نفس العائلة، أي يجري توارثها بين أبنائها، أما نفيه لوجود حق الملكية بما في ذلك حق الفلاح في الملكية فيعود إلى أنه يرجع هذا التوارث إلى حسن صنع الحكومة، وليس إلى سند من حق الإثراء، فحتى جبرار حق الفلاح في الملكية لا يقوم على كاتار وقائع التوارث داخل نطاق نفس العائلة، وإنما يقوم على تفسيره الخاص للمصدر الحقوقي الذي تقوم عليه واقعة التوارث التي لا يعترف بها.

2- وإذا كان جبرار قد نفي حق الملاحين في التصرف في أراضيهم بالهبة والبيع، فإن لاكتريه الذي يقف في أقصى الطرف الآخر في تأكيد حق الملكية، يؤكد

الضرائب المفروضة عليه، وله الحق في الرجوع إلى أرضه متى كان في مقدوره الوفاء بدونه.

4- فخرج من كل هذا العرض، أن هناك اتفاقاً كبيراً على الواقع الأساسية فيما يخص أراضي الملاحين - وأن هناك اختلافاً محدوداً في تفاصيل تلك الوقائع، لكن الاختلاف الواسع يقوم في التحليل والنتائج المستخلصة، والفصل في هذا الخلاف يتطلب الخروج من دائرة التحليل القانوني إلى دائرة التحليل الاقتصادي الاجتماعي لعلاقات الإنتاج.

فتملكة الفلاحين للأرض هي ملكية فنية أي ملكية محملة بالأعباء، والمحق التي تعود إلى الدولة وإلى طبقة الملاك الإقطاعية، وعلاقات الإنتاج الإقطاعية تفرض طريقة توزيعية محددة لجميع بين الفلاحين وبين الأرض باعتبارها وسيلة الإنتاج الرئيسية، وترغم هذه الطريقة على تزييد الفلاحين بالأرض ويوطئهم بها وأجبارهم على عدم هجرها، مقابل دفع الربيع الإقطاعي للسلطة والملتزمين، والذي اتخذ في مصر العثمانية صورة متعددة: المال الحر (وهو عادة ما يكون أكبر من الميري الذي يعود إلى السultan، حيث يتضمن المال الصالح الذي يعود إلى الملتزم، ويتضمن أيضاً المال الكشوفية الذي يعود للملك أو حاكم الولاية) والمال البراني يتكون من مختلف الإتاوات الإقطاعية المستجدة. وهذه العلاقة بعد إنتاجها مادام

الوسيعة



هو أقوى من - حق الانتفاع، الذي يمنح عادة بشكل مؤقت إلى المستأجر وهو أدنى من حق الملكية التامة لمسلطن غاز خارجي (أو حماية أمير إقطاعي) يقوم بفرض إتاوات على الفلاحين، ربيع الإقطاعي، في مقابل عدم نزح أراضيهم من أيديهم ليؤذى ذلك إلى الانقراض من ملكيتهم التامة لأراضيهم.

وتصبح المشكلة أكثر تعقيدا حينما نشرك التباين الشاسع بين أوضاع الفلاحين في ظل نفس وضعية، والحق الشرعي، في الأرض أي أن كان مداه، وأيضا كيفية القانوني فهو بالنسبة لفاعل صغير لا يبقى له سوى ما يسد رمقه بعد دفع الربيع الإقطاعي، له معنى مغاير تماماً لما يعنيه بالنسبة لفاعل في يكون قادراً على

مدارة التحليل القانوني أن تفسر على الإطلاق لئلا تركت الدولة (مالكثة الرقبة) للمستأجر الذي ليس له سوى - حق الانتفاع، وإكافية ممارسة حق التصرف (بالبقية والكفارة) والربح (إنج) مهما تكن هناك قيود على ذلك الحق. أما إذا دخلنا دائرة التحصيل الاقتصادي الاجتماعي، فسوف يصبح الأمر شديد الوضوح. فالعلاقة الإقطاعية كما سبق القول تقوم على ربط: الأرض بالفلاح، وقيام الفلاح بالإنتاج بعيداً عن الإدارة المباشرة لسلطة الإقطاع (على نقيض الإنتاج العبودي والبرامالي على السواء) ومن هنا تقتضي هذه العلاقة وضع الأرض في يد الفلاح، ثم إلى ورثته من أجل إعادة إنتاج نفس العلاقة. ومع تقدم الزمن يتحول حق الصلاح إلى ما

قديم الزمن، فضلاً عن حق الإرث. وذلك بموجب حجج شرعية، أي معترف بها قانونياً من الدولة. وفي الحقيقة أن حق الملاحين من حيث الشكل يتجاوز حق الانتفاع وأقل من حق الملكية الخاصة، وهو ما يطلق عليه البعض، ملكية الانتفاع، ولكنه من حيث المحتوى يعمكس الوضعية الاجتماعية. فالتملك المتنافسة بين الدولة والفلاحين، فالتملك الأول (نص حق الفلاح في ملكية الأرض) لا يملك سوى تأكيد حق الدولة في الربيع الإقطاعي، وهنا لا يهم الدولة مسألة التصرف في الأرض وانتقالها من فلاح إلى آخر، طالما أن أي منها سيتكفل بدفع الربيع للدولة. وينص ذلك دليلاً على عدم كفاية التحليل القانوني لفهم التمييز القانوني الناشئ من طبيعة العلاقات الإقطاعية.

اللائحة السعيدية نفسها، التي تعبر بذلك عن وجهة نظر الدولة، فهي المند الرابع تؤكد على حق الدولة في ملكية الأرض. تقولها، إن الأرض الخراجية لا تملك لمزارعين فيها، بل ليس لهم فيها (إلا حق الانتفاع بها فقط، إلا أنها تعترف في الهند العاشر بأنه، الجارى منذ قديم الزمان أن المزارعين في الأراضي الحربية الخراجية يستقلون حقوقهم من أراضي الزراعة، ويصرفونها لغيرهم بموجب حجج شرعية... وربما يوجد تناقض ظاهر بين نصي الصلاحين للأرض والتأكيد على أن ما للفلاحين من حقوق لا تتجاوز حق الانتفاع، أي لا تتجاوز حقوق المستأجرين، وبسبب الاعتراف في نفس الوثائق بحق الإسقاط والفرار، (أي البيع والشراء) منذ

فتح... وصلح.. وأراء اختلفت

ملكية الأرض فقهياً

■ ارتبط هذا الخلاف بتسميات معينة للأقطار التي شملتها «الفتوحات»، فهناك الأرض المفتوحة صلحاً والأرض المفتوحة عنوة ولم يقتصر الخلاف بين الفقهاء على الأحكام الخاصة بهذين الصنفين من الأراضي، وإنما اتسع ليشمل الواقع التاريخي لعملية الفتح نفسها فرغم أن مثل هذه الواقع التاريخي كان يجب أن تكون ثابتة وبعيدة عن أي خلاف، باعتبارها أحداثاً كبرى يفترض أن تعرف طريقها إلى الدورين، إلا أن الفقيه الأيوبيولوجي للخلاف زرعاً أي يقين حول طريقة الفتح. حتى أنه يفتي أن بلد من ادعاء طرف أنه فتح عنوة ومن ادعاء طرف آخر أنه فتح صلحاً ولم يقدم أي طرف من حرك رواية أو إيراد وثيقة، ولكن وثيقة بأحكام للصلح على سبيل المثال، وهما يتعلق بمصر منذ هناك من يجرى بأن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد، وهناك من يستثني هذه البلد أو تلك فيذكر البلاذري أن عمرو بن عبد قاتل من فوق المنبر «لقد فتحت مصرية وما لأحد من مصر من قبض مصر على عهد ولا عقد، إن شئت فتحت وإن شئت خدمت» (يقصد توحيذ الفتح حيث كان يستبعد أولاً الخصم لعل للفرس (وصلى الله عليه وسلم) ثم يقسم الـ 8/8 في الجند) وإن شئت تمت، إلا أنه انطلس إلى أنهم عهدا يوفى لهم به»

وهي نفس الوقت نجد أن أحد من يؤكد أن مصر قد فتحت صلحاً ويورد نص وثيقة للصلح (يراجع البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، كتاب فتح البلدان، القسم الأول، ملكية النهضة المصرية، بدون تاريخ، ص 249 - 258) وكذلك تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن حريز الطبري، الجزء الرابع، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الرابعة، 1977، ص 10 - 109).

أما أحكام أرض الصلاح فليس هناك خلاف كبير عليها، فهي تعتبر ملك لأهلها من أهل الذمة لهم عليها حق التصرف بمختلف أركانه (التوريث والبيع وإنج) وذلك في مقابل فرض الخراج على أهل الذمة. ويأتي الخلاف حينما يدخل أهل الإسلام، أو يحصل عليها عربى مسلم، فالذهب الحنفي يرى أن الخراج لا يسقط بإسلام أهلها إن الأرض كانت في الأصل دار حرب قبل فتحها بالصلح. لذلك تستمر على حالتها الأصلية ولا تاتر دائمة الدينبة بالملك.

أما المذاهب الأخرى جميعاً (الشافعية، المالكية، الحنابلة) فقد أقرت بأن خراج أرض الصلاح يسقط بإسلام ملته في ذلك مثل جزيرة الروس، فهذه المذاهب الأخيرة تبدو أكثر تقوى واتساقاً، ومع ذلك فقد كانوا يميلون غالباً إلى الروايات التاريخية التي تؤكد أن أرض الصلاح تمتعت عنوة وليس صلحاً، وفي بعض الحالات ابتدع روع آخر من أرض الصلاح ترد فيه شروط للصلح تجعل من أحكام الأراضي فيها متطابقة مع أرض عنوة.

ومن الجدير بالذكر أن مواقف الفقهاء قد تبدلت على مر التاريخ وفق تبدل

وأما أحكام أرض الفتوة فيدور عليها خلاف كبير. فهي في الأصل تعتبر من غنائم الحرب، وبالتالي فقد كان من المفترض أن توزع على الجند وفي هذه الحالة تكون الأرض عبودية وتصبح ملكاً تاماً للفاتحين المسلمين. ولكن واقع الأمر أن تلك الأراضي لم توزع على الفاتحين بل تركزت بأيدي أهلها وعند هذا الحد بدأ الخلاف، فالذهب الحنفي يذهب إلى أن الأرض في هذه الحالة ينسحب عليها ما ينسحب على أرض الصلاح مع فارق واحد. وتطرح هذه الفارقة إلى أن الخراج في أرض الصلاح يكون مسمى (أي متفق عليه) في وثيقة الصلح فلا يبق إلزاماً أن يفرض الزيد. أما مقدار خراج أرض الفتوة يكون مروهاً بإرادة الحاكم، يقول أبو يوسف «أما قوم من أهل الشرك مارضهم الإمام على أن يتزاولوا على الحكم ومسلحوا وأن يؤدوا الخراج لهم أهل ذمة وأرضهم أرض خراج ويؤخذ منهم ما وصلحوا عليه، ويوفى لهم ولا يزداد عليهم، وأما أرض افتتحتها الإمام عنوة فحسمها بين الذين اقتسموها... هي أرض عشر، وإن لم ير قسمتها ورأى الصلاح في إقرارها في أيدي أهلها كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فله ذلك، وهي أرض خراج وليس له أن يأخذها بعد ذلك منهم، وهي ملك لهم يتوارثونها ويتابعونها ويضع عليهم الخراج ولا يكلفوا من ذلك ما لا يطيقون» (أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج، شيرة قصي محب الدين الخليلي، الطبعة السلفية - مكتبتها، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1996، ص 68 - 69).

وعلى النقيض من ذلك فإن المذاهب الثلاثة الأخرى، ترى أن أرض الفتوة، إذا لم تقسم بين الجند الفاتحين، وتكرت بعد أهلها فإنها تتحول إلى أرض وقف لجماعة المسلمين، ويكون خراجها بمثابة جرة (أي إيجار) لا يسقط إذا ما تحولت لصاحبا على الدين الإسلامي، أي أن حالتها القانونية (ومن ثم الاقتصادية الاجتماعية) تظل مستقلة عن حالة الملك الدينية، على خلاف أرض الصلاح.

وبعد أن نذكر هنا أن هذا الخلاف اندلع في فترة متأخرة بعد استقرار العرب المسلمين واشتغالهم بالزراعة وكذلك دخول أهل الذمة (الذين بقيت الأرض سواء كانت صلحاً أو عنوة باليهيم) في الإسلام ومن نشأت حركة واسعة للمطالبة بإسقاط الخراج أو بدمية (بالمعنى) ومن نشأ الصراع حول أحكام الأرض، وكذلك نشأ الصراع حول طريقة الفتح نفسها فمال الفقهاء بطرق مختلفة إلى تأييد الخراج على الأرض، حفاظاً على ألة الدولة من الانهيار في مواجهة المطالبة بإسقاطها. ويمكن أن نقول أيضاً إن هذا الخلاف نفسه يؤكد حقيقة تداول الأرض من الناحية الفعلية وكما تؤكد الشواهد التاريخية مثل وثائق البردية العربية، فلم يكن يعم الفقهاء سوى تأكيد استمرار فرضية الخراج بغض النظر عن دخول الشخص الإسلام أو عدم دخوله، وما له دلالة أيضاً أن جرية الرؤوس نفسها لا تقاوم في إسقاطها عن دخل من التمييز الإسلام.

التباين يستحيل التعرف عليها دون تحليل الواقع الاقتصادي الاجتماعي للفلاحين.

ب. حق الملكية في أراضي

الأوسية، الملتزمين

إذا كان من الممكن تضمين نفي جبرار لحق ملكية الفلاحين، باعتباره تأكيداً على مضمون العلاقة القنينة، وبسبب ندرة الاستخدام الفعلي لحقوق التصرف بين الفلاحين الأتليان، والشمن البعس لأراضيهم، إلا أنه لا يمكن بأي حال قبول نفي جبرار لحق الملكية في أراضي الملتزمين (لأوسى)، حيث إن الاستخدام

تأجير أرضه والحصول منها على دخل، ينفي له بعد دفع الربيع المطلوب من الدولة وأمر الإقطاع، علماً بأن التمايز بين الفلاحين شديداً القدم في مصر (انظر على سبيل المثال، د. زبيدة عفا في كتابها «الملاح المصري في القرنين السادس والسابع الميلاديين، حيث تورد وثيقة هامة من القرن الثامن الهجري لحيازات ٢٤ مزارعاً تتراوح بين ٠,٢ إلى ١٢٠ هـدان، وثيقة أخرى تتراوح فيها الحيازات بين ٢٣ ٤٠ هـدان). ولعل ذلك يجعل العلاقات الإقطاعية أشد تعقيداً، كما ينهض ذلك دليلاً آخر على الصور التحليل القانونية للملكية، حيث إن الفلاحين القانوني الواحد من «حق الملكية» في الأرض الخراجية، ويخفى تحته علاقات شديدة

الضعف (الحق كان واسع الانتشار وليس نادراً كما هي الحال في أراضي الفلاحين). كما أن سمر أراضي الالتزام لم تكن بخسة كما كان الحال في أراضي الفلاحين، حيث إن هذه الملكية، لا تعنى فقط التمتع بحق الحصول على نتائج أراضي الأوسى (التي كانت تزرع بالسخرة، فضلاً عن الإضفاء من الضرائب للدولة)، ولكن تعنى أيضاً الحق في الحصول على الفايض وغيره من الإتاوات الإقطاعية كجزء من الربح الإقطاعي المفروض على أراضي الفلاحين الملحقة بالأوسية. وتلك الأراضي التي تنتقل إلى الملتزم الجديد بنسبة ما استأجره من أرض الأوسية، فإذا اشترى نصف مساحة الأوسية انتقل إليه حق حيازة الربيع من نصف أراضي



محصولها التحول على سلب أموال الناس. ونزع ما بأيديهم من مال وعقار وميراث وغير ذلك...». لم يضيف أن الفرنسيين اشترطوا «بأن يأتي أصحاب الأملاك بحججهم، وسنداتهم المشاهدة لهم بالتمليك، فإذا أحضرها هو وبينوا وجه تمككه لها. إما بالبيع، أو بالعقار من أيدي أربابها، وذلك أن الناس إنما وصموا أيديهم على أملاكهم إما بالشراء، أو بأبولوتها لهم من موزهم أو نوع ذلك، بحجة قريبة أو بعيدة العهد، أو لحجج أسلافهم ومورثيهم، فإذا طولبوها بإثبات مضمونها وسجلاتها تسمر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار، أو ربما حضرت الشهود فلم تقبل، فإن قبلت فملت به ما ذكر». (عبد الرحمن الجبرتي: مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، دار الكتب والمكتبات المصرية بالقاهرة، ١٩٩٨، ص ٥٧). وقد ورد نفس النص بلهجة مخففة في «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، دار الجليل، بيروت ٢، ص ٢٠٩ - ٢١٠).



إضافة إلى ما سبق يمكن الرجوع إلى مراجع عديدة تذكر بعضها أبو عبد القاسم بن سلام كتاب الأموال بتحقيق وتعليق خليل هراس مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة، ١٩٩٩، مواضع متفرقة ص ٩٦، ١٠٠، ص ١١ - ١٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣. ولهذا الكتاب أهمية عظيمة. الإمام الشافعي: الأم، الدار المصرية للتراث والتزجعة طبعة مصورة عن طبعة بولاق ١٢٧٢، الجزء الرابع ص ١٠٢ - ١٠٥، ص ١٩١ - ١٩٢. المازري (أبو الحسن) على بن محمد بن حبيب (البصري): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، المكتبة التوفيقية بدون تاريخ، ص ١٥١ - ١٥٧. أبو الفرج بن رجب الحافظ: الاستبصار في أحوال الخراج، دار الحداثة، بيروت ١٩٨٢، مواضع متفرقة خاصة ص ١٤ - ١٦، ص ٢٥ - ٢٥، ص ٧٢، ٧٣. موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٠ هـ، الجزء الخامس، ص ١١١ - ١١٨. ■

الظروف السياسية والاجتماعية. فقد اندلع صراع فقهي مشابه لما سبق في العصر المملوكي، حينما حاول سلاطين المماليك مصادرة أرض الوقف بعد أن تكاثرت حتى وصلت إلى عشرة قرابات من أرض مصر (أي ٤١، ٧٠ من إجمالي المساحة) في أواخر العصر المملوكي، ولجأ السلاطين إلى نظرية الفتح عنوة لتبرير ذلك الأوقاف والاستيلاء عليها وقد وقف معظم الفقهاء على اختلاف مذاهبهم السلاطين عدم أن ما منهم يتخذ موقفاً مغايراً عن ضعف ونفاق (د. محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص ٢٧٨، ص ٢٢٤ وما بعدها).

كذلك فعلى الرغم من أن الشيخ الشرفاوي الذي عاصر الحملة الفرنسية كان ينتمي إلى المذهب الشافعي فإننا نجده يخالف رأى أساتذته الذي ذهب إلى مصر (مثلاً مثل الحرب فتحت عنوة). فهو يقصر واقعة الفتح عنوة على المدينة فقط (أما قراها فتحت صلحاً) ثم يقول: «أعلم أن أراضي مصر دورها، وما يوجد منها بيد أحد، فيضى له بملكه مألوف، ولا يجوز ضرب خراج على ما بأيدي أهلها وذلك لأنها وإن فتحت عنوة، لكن لا تسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقفها، وما في بعض التواريخ أنه وقفها لا اعتبار به، لأن الأحكام الشرعية وما يتعلق بها لا تبني على مثل تلك التواريخ التي لم يلم بثبوتها، وحينئذ نقول فيما نجده بأيدي أهلها وفيما وقفه مملوكها أو غيرهم أنه يجوز أن يكون انتقل من الفتح عنوة بطريق شرعي لغيرهم وهكذا إلى أن وصل إلى ما هو بيده أو يجوز أن يكون مات القاتلون من غير وثة، فصار لبيت المال متصرف في الأمانة بالتمليك وغيره ما يجوز لهم من أموالهم، فيجوز إقرار أهلها على ما بأيديهم والحكم بصحة وقف المملوك وغيرهم ولا يجوز ضرب الخراج على ذلك (الشرفاوي على التحرير: حاشية شيخ محققين العلاقة الشيخ (عيسى البابي الحلبي بدون تاريخ، الجزء الثاني، ص ٤٢٢). ويلاحظ أننا إذا رأنا انقلاب من الناحية الفقهية فهو ينطلق من الواقع الملأ أمامه والمتمثل في أن الأرض بيد الناس، ولا يعتد بالروايات التاريخية (التي تذهب إلى أن أرض مصر وقف على جماعة المسلمين) ثم يحاول تفسير هذه الواقعة المألوفة أمامه وتفسير الاحتمالات التاريخية معينة تأسسها، وليس المكس. فالأحكام الشرعية في نظرنا لا يجب أن تبني على تلك الدليان المشكوك فيها والتي يكتفيها الواقع ثم إنه ثانياً يصل إلى حد إنكار حق الدولة في جباية الخراج نفسه.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الآراء قد سبق ما كان يسميه معاصرو الحملة الفرنسية محاولات لمصادرة حق الملكية القائمة لصالح ما أطلقوا عليه «الجمهور» (أي الجمهورية الفرنسية). فيذكر الجبرتي أن قادة الاحتلال الفرنسي شروعا في ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضاء، تحال إليه «القضايا في أمور التجار والعامة والأوقاف والمساكن، وجعلوا لذلك الديوان قواعد من الخبز، وأسلموا من الكفر، وعادهم من الظلم وأركاناً من البدع السيئة... وشروها في ضمنه شروطاً، وفي ضمن تلك الشروط شروطاً أخرى، وذلك بتبشيرهم الكثيفة، ولغاطهم السخيفة،

تلك الخلافة تنطوي على دلالات معنوية وحيقة الصلة بأن هناك

التبسا تاريخيا يحيط

بحقوق الملكية نفسها



تلقائي، ومن المعتقد أن أصل الحياة الإقطاعية كان هو نظام حياة الأرض الذي كان معروفاً في القرنين السابع والثامن باسم بريكار يوم precarium. وهو النظام الذي كان معمولاً به في أراضي الكنيسة على نحو خاص، ووفقاً لنظام الحياة الموقّعة هذه، كان مقدم الدين أو الأسقف الذي يمتلك مساحة من الأرض أكبر مما يمكنه أن يديرها بنفسه يسمح للمدنيين بالإفادة من هذه الأراضي لقاء إيجار معين، مع العلم أنه يمكن لأصحاب الأرض أن يستردوا متى شاءوا. لم يعرض كانتور للتطورات اللاحقة متنبهاً إلى التغير بأنّه، وكانت نتيجة للربط المتزايد بين الحياة الإقطاعية والإقطاع لنشأ جوع إلى الأرض في أوساط الأقطاع في المجتمع الإقطاعي. كما سعى (أي الأقطاع) إلى تأكيد الصفة الوراثية للأرض التي حازوها من سيدهم.

كذلك يقول بيرى اندرسون أن المفهوم الكلاسيكي لحق الملكية الروماني Quintary Ownership قد سقط من الأغوار المهمة للإقطاعية المبكرة ويؤكد أيضاً أن حقوق الملكية في نمط الإنتاج الإقطاعي كانت قائمة على «مبادئ حقوقية للملكية المحروطة والمراثية» الملكية لتقسيم السيادة، كما أن تطور الاقتصاد الكلاسيكي المبني على «مفهوم الملكية المباشرة» الذي سبقت فيه بجهود إعادة إحياء القانون الروماني، يتحدث الآن عن بين تلك الجهود «بتكرار اختلاف بين الملكية المباشرة Dominum directum وبين ملكية الانتفاع domum utile من أجل تعليل هيرازية الأقطاع، أي «الأتباع»، ومن ثم تعدد الحقوق على نفس الأرض. ومحاولة أخرى تميز التصور الوسيطى لملكية الأرض seisin بخصائص مبهمة بتوسط ما بين الملكية اللاتينية» latin property. وبين الحياة الملكية والسيادة التي تضمنت حماية الملكية من الاستيلاء الموقت ودعوى النزاع، بينما استمرت المبادئ الإقطاعية في تعدد حقوق الأرض في نفس الشيء» فتح حقوق الملكية seisin لم يكن مقصوراً على صاحبه (exclusive)، ولم يكن متعصفاً بصفة التصوّم perpetal، والعمدة الكامنة لظهور فكرة الملكية الحاصلة المطلقة كانت نتاج الحقبة الحديثة المبكرة. من كل ما سبق لا يكتشف لنا فقط عن حقيقة خرافة وجود حق الملكية الخاصة للملك للأرض على الطراز الروماني في أوروبا الإقطاعية، وبالنسبة لخرافة الخراب المطلق على الملكية الحاصلة للأرض في الشرق، وإنما يبين أيضاً من الخراب إلى أبعد نحو التخلص من الذهنية القانونية الضيقة.

فهيما نظام الملكية على الطراز

يكون هناك انسجام داخلي ووحدة في الهيكل بدلاً من ازدواج المعايير. يقول المؤرخ الإنجليزي فينوجرادوف: تنشأ عن العقد الإقطاعي ظاهرة خاصة بقانون ملكية الأرض، وذلك بالإضافة إلى ما بالقد في ذاته من صيغة سياسية، وهذه الظاهرة هي أنه يتولد من العقد تمييز ذو مغزى لتعصير من عناصر فكرة الملكية (dominium). ذلك أن الملكية في القانون الروماني اتسمت في معظم أيام العولة الرومانية بأنها وحدة معنوية مطلقة، فالشخص المالك لشئ من الأشياء - بما في ذلك قطعة من الأرض - له وحده حق الملكية المفردة المانعة. على حين تعين على رجال القانون في العصور الوسطى أن يعتبروا القطعة الواحدة مالكيين اثنين، متبوع وتابعه، ولأول حق الملكية المباشرة أي ملكية الربقة عند فقهاء

القانون. والثاني حق الملكية الانتفاعية، أي حق استعمال الأرض، وهي إنجلترا تجنب القانون ازدواج فكرة الملكية بالمشاركة بين ملكية الربقة وملكية الخدمة. فبدر أن ضرورة اعتبار نوعين من الملكية في جميع أحوال التملك أدى من طريق هي مياشز إلى إضعاف الملكية المطلقة للأرض، ولذا دارت قضايا الاختلاف في ملكية الأرض حول التملك بوضع اليد، وهو التملك المتعمد بالحاجة الفعلية، على حين اتخذ حق التملك بالحاجة المكتوبة يتضاءل تدريجياً.

ويقول كانتور إنه في البداية، لم تكن التسمية الإقطاعية Vassallage، ترتبط بملكية الأرض، فقد كان الأقطاع^(١٢) Vassals، يعينون في قلعة ذات جدران خشبية محيطة بفيهم سيدهم الذي يتكفل بإعصامهم وكسوتهم ولصليهم. وفي المرحلة الثانية من مراحل تطور النظم الإقطاعية تطوّر طبيعياً التسمية الإقطاعية والأرض. ويلاحظ أن الأقطاع سيستكون لاحقاً الشخصية الرئيسية لأمراء الإقطاع في أوروبا. ثم يقول كانتور «ولم يكن منح الإقطاع fief يعني أن يمنح الفصل الإقطاع كلفة حقوق ملكيتها. إذ كان له أن يفيد من كافة الأرض كمستأفكة له على خدمته... ولكن من الناحية القانونية كانت الأرض الأرض حقاً للسيد الذي يمكنه استعادتها إن لم يلتزم الفصل بالولاء له، وعندما يموت الفصل كان الإقطاع يعود إلى السيد بشكل

الهرمي الإقطاعي إلى تعدد الحقوق المعينة» على نفس القطعة الواحدة من الأرض وعدم النظر إلى الملكية باعتبارها وحدة معنوية مطلقة، بحيث تكون مقصورة لشخص واحد بصورة حصريه exclusively. بحيث يزيح من عداه وفق منطق العائون الروماني. إن الدولة في مصر تتمتع بحقوق الملكية بوصفها السيد الإقطاعي الأعلى، وتأسيساً على ذلك، فإن الدولة في مصر كانت تمتلك سلسلة بالشكل التي من تلك العلاج للأرض. كذلك كانت تتوسط تلك السلسلة الملكية الخاصة الإقطاعية للحق في مصر، ولكنها كانت مقيدة بحقوق الدولة من جهة وبحقوق الفلاحين من جهة أخرى. أما ملكية الفلاح الحقيقية فقد كانت تدل بحقوق الربع الإقطاعي للدولة وأمراء الإقطاع.

ولا تحصل من حق الملكية سوى الاسم والشكل من رابوية معمية. وإن كانت من رابوية أخرى ترتب له حقاً في الأرض يمكنه منها من الحصول على وسائل عيشه الضرورية، وتصبح في عصر التحول إلى الرأسمالية ذات أهمية قصوى بالانحسار له، حينما يجري تجريده من أرضه وتحويله إلى ممد ثم إلى بروليتاري.

ومن الحدير بالذكر أن هؤلاء الذين ينفون وجود الملكية الخاصة للأرض في مصر هم أنفسهم الذين يؤكدون وجودها في أوروبا الإقطاعية. فاستاد صادق سعد على سبيل المثال يتحدث عن أن أمراء الإقطاع في أوروبا كانوا يتمتعون بحق الملكية المطلق على الطراز المحدد وفق القانون الروماني، فيتمتع على «حق الأمير في التصرف في أرضه، وتقدمها مهراً لابنته، أو يورثها لأكثر أولاده، ولكن وجود تلك العناصر من حقوق التصرف، (والتي رأينا ما ينظرها في مصر) ليست دليلاً على أن نظام الملكية في أوروبا كان يتفق مع منطق المصانون الروماني، فوفق ما يتوجب إليه مؤرخو الإقطاع الأوروبيين أنفسهم لم تكن الملكية الخاصة الإقطاعية ملكية مطلقة، وإنما كانت مقيدة بأشكال متطورة كما قلنا فاعلمنا في مصر. الأمر الذي يعنى إنكار وجود الملكية الخاصة للأرض في مصر إنكارها بالضرورة في أوروبا، والعكس صحيح، حتى

لتطبيق نظام الالتزام) و١٧٧٧ (عام سابق على الحملة الفرنسية ١٧٧٧ - ١٨٠١) وهي بيانات مستخلصة من فئات الالتزام أي من وثائق لا شك في صحتها وتغطي بيانات عن الواقع بصورة أكثر وثوقاً. وقد بلغ عدد الملتزمين في السنة الأولى ١٧١٤ ملتزماً، ثم ارتفع إلى ٤٤٢٠ ملتزماً عشية الحملة الفرنسية. وهذه الزيادة لا تعود كلها إلى تمتع الالتزام بين الورثة، وإنما أيضاً إلى انتقال الأرض من يد لأخرى والبيع أو الشراء، هذا فضلاً عن ووروث كثير من المصنوع باسماء الأسماء، وليس باسماء الورثة، مما يؤكد محدودية تأثير عامل التمتع بالورثة على زيادة عدد الملتزمين. وبخص فئات الملتزمين بين دخول فئات جديدة ميدان الالتزام، مثل التجار والعملاء. والنسبة (بعد أن كان الأمر مقصوراً بشكل رئيس على المالكين والعسكريين) وهي فئات لم تكن في بداية الفطرة تحت وزناً له أهمية تذكر، حيث نجد عملة الحملة الفرنسية ٥٨٠ ملتزماً من النساء، ٣٠٧ من العلماء، ٥٧ من التجار، وقد تتبع د. عبد الرحيم أسباب دخول هذه الفئات ميدان الالتزام من واقع وثائق المحاكم الشرعية، فوجد أن التصرف بالبيع والشراء كان سبباً رئيسياً فيها، سواء فيما يتعلق بالفئات الأصلية من المالكين والعسكريين، أو الفئات الجديدة من العلماء والتجار والنساء، ودخول النساء تحديداً ميدان الالتزام يؤكد أيضاً حق الإرث حيث لم يعد التمتع مرتبط بالخدمة الإقطاعية كما كان الحال في بداية الأمر.

جـ- ملكية الدولة

نقبت في النهاية كلمة أخيرة حول ملكية الدولة، علا يعني إنكنا على إعلام على وجود أشكال معينة من حق الملكية لكل من الملاحين والمترمين، لذا نذكر حق الدولة في ملكية الأرض، كما فعل د. راشد البروي الذي سبق لنا التفتين برأيه في صدر هذا المقال، حيث يرى ملكية الأرض في مصر باعتبارها ملكية خاصة تامة مطلقة، وأن حق الدولة يعني سوى حق السيادة العليا لملعنى السياسي. وهي رأينا أنه من صواب الرأي التسليم بحقوق ملكية لكل من الأطراف الثلاثة (الدولة، الملتزمين، الفلاحين)، وليس إرجاع الملكية إلى طرف واحد من هؤلاء. وهذا الرأي امر معقول على الإطلاق من رابوية منطق القانون الروماني، أو القانون البرجوازي الحديث، ولكنه شديد العقوبة وفق منطق علاقات الملكية الإقطاعية، التي يؤدي الترتاب

يوميات النخبة .. أيام الانتداب



في حين عمد أصحاب الذكريات المنشورة إلى
تبييض سيرهم الذاتية. أو سير غيرهم من القادة والزعماء،
يصبح مفيداً دراسة اليوميات العفوية غير المنشورة



سـمـيـح حـمـودة

رئيس بلدية رام الله سالم الزعرور عام ١٩٤٣. وفيها إلى جانب المعلومات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة رام الله آنذاك، إشارات عديدة للعلاقات الوطنية والمحلية التي كانت قائمة بين أعضاء من النخبة الفلسطينية وبالأخص المسلمين والمسيحيين منهم. وهذه الإشارات مهمة للغاية للحديث عن التوافق بين هؤلاء الأعضاء ومحافظتهم على ثقافة العيش المشترك، رغم سياسة الانتداب التي سعت لتعزيز الولاء والانقسام الطائفي وتقويتها على حساب الولاء الوطني العام.

أوراق مصطفى أرشيد (١٩١٢-١٩٥٧)، وهي مجموعة كبيرة من الأوراق تركها هذا السياسي الفلسطيني الذي كان متشارفاً بأفكاراً لطلون سمادة (١٩٠٤-١٩٤٩)، وعضواً نشطاً منذ ١٩٣٣ في الحزب القومي السوري الاجتماعي. وقد تولى أرشيد زعامة الحزب سنة ١٩٥٦ لفترة قصيرة قبل وفاته بالسرحان في آب ١٩٥٧. وتضمّن أوراقه تعليقاتاً ومذكرات ومراسلات ووثائق رسمية وحزبية تعود لفترة الانتداب البريطاني ولعهد الأردني بعد نكبة فلسطين، كما أنها تتضمن مجموعة من الأوراق العائلية التي تعود للفترة العثمانية. وتكمن أهمية أوراق أرشيد في أنه شخصياً كالم وعائلته من أصحاب النفوذ في قضاء جنين، ومن المعارضين لزعامة الحاج أمين الحسيني وقرهه بالسلطة والقرار، وقد دفعت العائلة ثمناً باهظاً لهذه المعارضة في مرحلة الانتداب التي شهدتها الثورة العربية الكبرى سنة ١٩٣٨، حيث تم اغتيال شقيقه محمد وأحمد، والوثائق غنية بمذكرات ومراسلات بيّنه وبين عديد من الأشخاص في فلسطين وخارجها حول هذه المرحلة الحرجة من التاريخ الفلسطيني، وفيها دراسات تحليلية له شخصياً حول المجتمع الفلسطيني وقبائلاته، وبالأخص الحاج أمين والذي كان أرشيد يعتقد أنه صنعة بريطانية واحد عملائها في

كتابتها، إلا أنها مصدر غني لوضوح البحث، لما تتضمنه من تفاصيل ومعلومات عن شخصيات عربية وفلسطينية قيادية تعامل معها الحارث بحكم مركزه الوظيفي، كما أنها تقدم نموذجاً لحياة عضو يارز في النخبة الفلسطينية هو المعارف نفسه.

يوميات طاهر الفتياي (١٩١٠-١٩٧١)، وهي يوميات شخصية كتبها الفتياي خلال عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤، والفتياي فلسطيني من القدس تخرج من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وعمل في جريدة الجامعة العربية ثم عمل مدرساً في العراق قبل أن يعود سنة ١٩٤١ للقدس ليعمل في وظائف متعددة. وكان الفتياي محبتي الجول، وتخصص يومياته آراء ومواقف موالية للحاج أمين ومناهضة للمعارضة الناصرية (انصار حزب البلقاع)، كما تتضمن معلومات حول محاولات قام بها أعضاء من حزب الاستقلال، مثل رشيد الحاج إبراهيم وآخرون، لتجاوز سيطرة الحاج أمين على الحركة الوطنية، وإعادة ترتيب وضع القيادة الفلسطينية داخل فلسطين خلال سنوات الحرب العالمية الثانية التي كان فيها الحاج أمين في أوروبا.

أوراق ومذكرات داود الحسيني (١٩٠٣-١٩٩١)، والمذكرات في ثلاثة أقسام، قسم كتبه في الأربعينات وتعلق فقط بشؤون ١٩٣٣-١٩٣٣، يتحدث فيه عن دوره في الثورة وتسليح قادتها، وقسم كتبه خلال مكوثه في سجن الجسر في عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٦، وقسم ثالث كتبه عام ١٩٤٣، وهو عبارة عن ذكرياته المتعلقة بمرحلة مهمه من حياته، بما فيها علاقاته المتشعبة والواسعة مع قادة عرب وفلسطينيين معروفين، ونشاطاته السياسية والكفاحية خلالها.

دفتر يوميات سالم الزعرور (١٩٨٨-١٩٧٨)، وهو دفتر يوميات شخصية كتبها

من المفيد الحديث بصورة مختصرة عن أهم الوثائق واليوميات والأوراق غير المنشورة التي استند عليها. وسبب قيود المساحة المتاحة للورقة هنا فإنني سأكتفي لاحقاً ببعض الاقتباسات والإشارات لهذه المصادر دون توسع كبير، مع التأكيد على حقيقة أنها بمجموعها قد شكلت الركيزة الأساسية لاستنتاجاتي حول علاقات وتفاعلات النخبة الفلسطينية.

أوراق الحاج أمين الحسيني (١٨٩٥-١٩٧٤)، والمقصود بها مجموعة كبيرة من الأوراق التي تتعلق بالجلسات الرسمية الإسلامية الأعلى خلال فترة رئاسة الحاج أمين، وعلى ضفافه أوراق المجلس نفسه، فإن الأوراق التي عنفها هنا هي ذات العلاقة المباشرة بالحاج أمين وبناترباطاته والتصاله ومراسلاته، وهي أوراق تساعد كثيراً في فهم عقلية ونفسية الحاج أمين، وفي فهم مراحل بناء وتطور سلطته داخل الحركة الوطنية.

مذكرات عارف العارف (١٩٢٢-١٩٧٢)، في مقدمته لكتاب نكبة فلسطين والفردوس المفقود، والمنشر عام ١٩٥٦، ذكر العارف أنه اعتاد أن يكتب يومياته، ومن عهد الحرب والدراسة في الأسرانة، ويقول إنه قد جمع على ثوبين مذكراته في «يوميات متتابعة ما انقطعت منها يوماً واحداً خلال الأعوام الأربعين المنصرمة، لا يتوفر أمام الباحثين من هذه اليوميات سوى ما أودعه العارف في كلبية سائتة أفطوني ببريطانيا، والتي يشمل يوميات كتبها أثناء عمله كسكران لعموم شرق الأردن خلال الأعوام ١٩٢٦-١٩٢٩، ويوميات أخرى كتبها خلال عمله قائم مقام مدينة غزة في الفترة بين ١٩٣٣-١٩٤٠. ورغم أن هذه اليوميات قد تم تعديلها في فترة لاحقة على تاريخ

تتناول هذه الدراسة بالبحث والاستنتاجات العامة حول الموضوع، وهي تستند بالأساس إلى جملة من الوثائق والمذكرات واليوميات التي كتبها فلسطينيون لعبوا أدواراً مختلفة في المجتمع الفلسطيني خلال تلك الفترة. إن بعض هذه المصادر قد تم نشرها، بينما بعضها الآخر لم ينشر بعد، ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن العديد من كتب الذكريات المنشورة تروي أحداثاً معينة بصورة تختلف كثيراً أو قليلاً عن رواية نفس الأحداث في مصادر غير منشورة. وقد عمد أصحاب بعض هذه الذكريات بعد وقوع نكبة ١٩٤٨ إلى تبييض سيرهم الذاتية، أو سير غيرهم من القادة والزعماء، وإلى التأكيد على سفاوة سجلهم، وبالتالي عدم مسؤوليتهم عما حدث. لذا فإن الاعتماد على المذكرات واليوميات التي كتبت وقت الأحداث ولم تعرض لتعديلات وتعميمات اقتضاها النشر، تسمح للباحث بالفهم عميقاً لسير الأمور الموضوع، وفهمه ولذاك جوابية صورة أفضل بكثير مما تسمح به الذكريات المعدلة أو الوثائق الرسمية، والسبب في ذلك أن غير المنشورة وبالأخص اليوميات منها، كتبت بعفوية، وعبرت عن أفكار ومشاعر كاتبها سامة الحدث. وهي لم تكتب لتُنشر للعلن. وبالتالي لم تخضع لتعديلات وتغييرات قيودها على الكاتب.

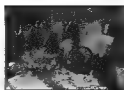
وقبل أن أتحدث عن الجوانب المختلفة لموضوع البحث، أود الإشارة إلى أن هذه الدراسة تنهج نهجاً شمولياً، حيث لا يقتصر الاعتماد على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للحياة، التي تتركز في مسيرة التاريخ. وهي النظم المسنونة عن إنتاج الأشكال المختلفة كما أنه سيكون



من اليمين الحاج أمين الحسيني محمود القزويني حميد مردم بك، ياسر بك الصلح في احتفال الجامعة العربية (القاهرة - يناير ١٩٥٨)



الحاج أمين الحسيني في القاهرة (يناير ١٩٥٨)



تمثل مأزق النخبة في استفادتها من الحكومة البريطانية، والذي كان يعني بالتالي الموافقة الكاملة على سياستها الانتدابية.. أو على الأقل مهادنتها في هذه السياسة والامتناع عن مواجهتها

والعملية لسياسات حكومة الانتداب. ويمكن أن نذكر من أعضاء هذا الصنف راغب وفخري النشاشيبي، أمين عبد الهادي، عارف العارف، روي عبد الهادي، حسام الدين جاز الله، رشدي وأخيه عادل الشؤا وسليمان طوقان.

الصنف الثاني عارض سياسة الحكومة البريطانية القائمة على أساس وعد بلور، ولكنه مع ذلك هادئاً وحاول أن يقيم علاقات تبادل مصلحة معها، يقوم خلالها بقيادة جماهير الشعب بطريق لا تتبنى العنف والثورة المسلحة بل تعتمد الأساليب السلمية والاحتجاجات اللاعنصرية، ووجه مع هذه المهادنة جُل أسلحته وخبرته ضد ما أطلق عليه السياسة الصهيونية للانتداب، فطالب الحكومة البريطانية بتغيير هذه السياسة والتخلي عن وعد بلور، إلى أنه قام إنشاء ذلك بإبقاء جسر الحوار والتعاون مع هذه الحكومة من أجل أن تستجيب لطلباته. ومن الأمثلة على هذا الصنف أغلب أعضاء اللجان التأسيسية للمؤتمرات الفلسطينية السبع، والحاخ أمين الحسيني، الذي نهج هذه السياسة منذ عام ١٩٢١ وحتى قيام الثورة العربية الكبرى عام ١٩٣٠. وأوراق الحاج أمين لثناء رئاسته للمجلس الإسلامي الأعلى دليل قاطع على نهجه هذا.

أما الصنف الثالث فكان منذ وقت مبكر يعتبر الانتداب البريطاني مسؤولاً عن مسؤولية تامة عن الوضع في فلسطين ومن نمو وتوسع قوة الحركة الصهيونية فيها، وطالب بالأعمال الثورية ضد الانتداب وضد الحركة الصهيونية. ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه مؤسس حزب الاستقلال الفلسطيني والشيع عز الدين القسام والذي كان عضواً في لجنة الحزب بحيفا، كما يتضح من مذكرات أكرم زعيتر.

محاور أساسية حول

النخبة الفلسطينية

امتازت النخبة الفلسطينية بالانقسام على المستويات الفكرية والسياسية. وجاء

مثل سائر النخب في الأقطار العثمانية، تنفتح على الغرب بتياراته الفكرية والسياسية المختلفة ويقيم حدائته ولبرائته وعلمانيته، وأخذت تنقل هذا التأثير للمجتمع الفلسطيني. وقد تعمق هذا التأثير بالحدائق الفريية والتسع مع خضوع فلسطين للاحتلال البريطاني المباشر. ونتيجة لهذا الافتتاح على الغرب فقد شهدت النخبة عمومًا انقساماً بين فئة تقليدية محافظة، غالباً ما كان أفرادها قد تلقوا التعليم في المعاهد العلمية العربية والإسلامية، وقد سعت هذه الفئة للحفاظ على الطابع الإسلامي للمجتمع، وبين فئة ثانية تلقت التعليم في المعاهد العلمية التبشيرية والأوروبية، وأسنت بالتغيير والتقدم من خلال الانقياس إلى الثقافة الأوروبية.

بقيت أسس إنتاج النخبة في العهد البريطاني هي الروابط والبنى العائلية. وبدلاً من استبعاد الناصب من الدولة العثمانية، أصبحت هذه الناصب تأتي من الحكومة البريطانية. وقد خلق هذا التغيير مشكلة لدى أفراد النخبة، إذ أن الحصول على هذه الناصب من الحكومة البريطانية يعني الموافقة الكاملة على سياستها الانتدابية، والعمل ضمن نظامها وقيمتها ومفاهيمها، أو على الأقل مهادنتها في هذه السياسة، والاحتناع عن مواجهتها، ولو بالثورة، بسبب دورها في إنشاء وطن قومي يهودي، الأمر الذي كان يتعارض مع مطالب وتطلعات الجماهير الفلسطينية، التي من المفروض أن تقودها هذه النخبة.

لقد خلقت هذه الإشكالية ثلاثة أصناف أساسية للنخبة السياسية الفلسطينية: الصنف الأول شامخ تماماً مع السياسة البريطانية، ولربما عارضها داخلياً عموماً إنشاء وطن قومي يهودي إلا أنه سكت صمتاً عن هذه السياسة. وقد استلم أعضاء هذا الصنف مناصب حكومية عدداً من خلالها الحكومة البريطانية بإخلاص، وتعاملوا سياسياً في الغالب مع الأمير عبد الله الذي نصبه الظهروا للولاة له. وقد امتنعوا في أغلب تاريخهم السياسي عن الاضطرار في الحركات الثورية، وعن المعارضة الفعلية

النخبة الفلسطينية

إن من المهم أن نحدد ماهية النخبة الفلسطينية ونفهم تنوعها الفكري والسياسي، وإن من المهم أيضاً أن ندرس وظائفها الأساسية التي اضطلعت بها في عهد الانتداب، وكيف كان تأثيرها على المسيرة التاريخية. وفي اعتقادي أن استيعاب هذه القضايا يتيح لنا المجال للإجابة على سؤال بالغ الأهمية وهو لماذا فشل المجتمع الفلسطيني تحت قيادة هذه النخبة في مواجهة المشروع الاستيطاني الصهيوني؟ وهو سؤال النخبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ وحتى يومنا الراهن، ويحث دورها الحالي في قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ونظام وعوامل إغراقها المستمر. ولن نقوم الدراسة هنا بالإجابة عن هذه المسائل ومناقشة تفاصيلها، بل سنكتفي بتقديم أطروحات مختصرة حولها.

موجز تاريخي

تركزت النخبة في عهد الانتداب أساساً في المدن الفلسطينية، وكانت اعتماداً وثقافاً طبقياً للنخبة الفلسطينية العثمانية. وقد حكم هذه الأخيرة الإطار العائلي بقيمه وعلاقاتها، إذ كان هم أعضاء النخبة العثمانية البحث عن مناصب ورفاهيات سلطانية تعلى لعائلات معينة الحق في تسلم وظائف دينية أو حكومية، أو الحق في جمع الضرائب والأغصان، مما سمح لها بالسيطرة على مزارع وقرى فلسطينية أصبحت مصدراً لثروتها وسلطتها ونفوذها. لقد كانت المرجعية السياسية لهذه النخبة هي الدولة العثمانية، ولقد تأثرت وتعاقلت مع التيارات الموجودة والمتفاعلة داخلها، وندجت في الشبكات الاجتماعية والاقتصادية المنتشرة في آنذاك. والمعروف تاريخياً أن النخبة الفلسطينية، رغم وجود الدولة العثمانية ذات الطابع الإسلامي، قد بدلت مثلها

المنطقة. وتضم الأوراق أيضاً دراسات أخرى حول السياسة البريطانية في الوطن العربي.

مفهوم النخبة

تمثل النخبة القيادة الأساسية في المجتمع، وهي التي تتولى إدارة الأمور في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتعليمية. ويمتاز أعضاء النخبة بامتثالهم بمستوى أعلى في العلم والمعرفة والخبرة العملية من غالبية العامة. والنخبة هي التي تقوم باتخاذ القرارات اللازمة في الأمور التي تخص المجتمع أو جزء منه. وحسب على الدين هلال ونفيس مسمد (٢٠٠١، ١٦١) فإن النخبة هي مجموعة من الأفراد الذين يقودون المجتمع، وهي مفهوم قديم النظم ظهر تاريخياً بالاحتاج إلى تنظيم ممارسة السلطة وعملية صنع القرار، وحسب مدارس فكرية مختلفة فإن النخبة تتولى عمليات القيادة والتوجيه ولديها قدرة تنظيمية فهي الجماعة الأكثر تنظيمًا في المجتمع.

النخبة هي أي مجتمع ليست كتلة متجانسة، بل هي تعبر عن فئات المجتمع المختلفة، اجتماعية ودينية، كما تعبر عن توجهات سياسية متباينة، فهي اعتماداً للنية الاجتماعية نفسها، وجزء لا يتجزأ من تركيبها. وهي ليست وجوداً قائماً بذاته، أو بصورة مستقلة عن الفئات والفرق المجتمعية المختلفة، بل هي امتداد عضوي لهذه الفئات والفرق، تستمد منها هي نفس الوقت الذي تغذيها وتخدمها وتعبر عن مصالحها. ويسبب هذا التركيب، فإن النخبة غالباً ما تحمل خصائص فكرية وميول وتوجهات متضاربة، واقع القواعد الشعبية، فقد استازنت النخبة الفلسطينية عموماً، كما كان حال المجتمع، بالولاة للعائلة، المحولة والعمل في إطار مصالحها وأهدافها، وضمن مقتضيات صراعاتها وتنافسها مع العائلات المعاليل الأخرى. ويتضح هذا الأمر بصورة جلية عند تحليل الأحزاب السياسية المختلفة، والتي لم تكن في غالبيتها سوى أحزاب مثالية.



9

الصف الأول من النخبة تماشى تماماً مع السياسة البريطانية، وتحالفوا سياسياً في الغالب مع الأمير عبد الله الذي نصبه البريطانيون أميراً على شرق الأردن

عوامل التأثير العربي

والدولية على النخبة

تعرضت النخبة الفلسطينية إلى تيارات فكرية وسياسية مختلفة منها العربية ومنها الموالية، فقد كان لهذه النخبة علاقات واتصالات مع القوى الفكرية والسياسية سواء في العالم العربي المجاور أو في أوروبا، وهذا أدى إلى بروز اتجاهات جديدة وإن كانت لم تستطع الحلول مكان النخبة القائمة على الأساس العائلي القديم، بل إن الكثيرين من أعضاء النخبة المتعلمة سخروا أنفسهم لخدمة الروابط والهوية العائلية، وللدفاع عن مصالح العائلة ونفوذها. ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك الأمير محي الدين الحسيني، خريج كمبرج في القانون وصاحب المنصب الرفيع في حكومة الانتداب، والعقيد السياسي الناضجة والعميقة، استعادة سيطرة عائلة العلمي على أوقاف الزاوية السعيدية في جبل الطور بالقدس، من أجل رفع مكانة العائلة بين عائلات القس، رغم أن هذا كان مخالفاً لقوانين الأوقاف التي تم إقرارها من قبل حكومة الانتداب. كما يمكن الإشارة هنا إلى الإدرواقي من نخبة عونية هي الهادي، خريج كلية الحقوق في باريس، والشخصية الاستقلالية المرفوعة، صاحب الخبرة السياسية الواسعة والعقلية القانونية الفذة، والذي تحلى بمستوى رفيع من الثقافة العالية. فرغم وجوده في أعلى سلم القيادة في حزب الاستقلال لم يتخل عن شعوره بالانتماء والولاء لعائلة عبد الهادي، ذات النصوص العريق في منطقة جنين، والواقعة في صف المعارضة للعائلة الحسينية في القدس. وقد كان هذا الشعور أحد الأسباب في التناظر بين عوني عبد الهادي والحاخ أمين الحسيني، وهو تناظر أثر سلبياً على العلاقة بين الحاج أمين وحزب الاستقلال رغم محاولات عديدة من قبل أعضاء مؤسسين في الحزب كعزة دورو، بناء جسور التعاون والتفاهم بين الحزبين وبين زعيم الحركة الوطنية، وقد

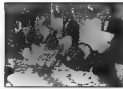
في مراحل عديدة من تاريخه السياسي، فتح الحاج أمين حوارات مع أعضاء النخبة الآخرين وعقد اجتماعات تشاورية معهم من خلال التشكيلات الوطنية المختلفة وأبرزها اللجنة العربية العليا التي تأسست في فترة الإضراب والثورة سنة ١٩٣٦. وكما يورد دورو في مذكراته فإن نقاشات حقيقية وصريحة كانت تعقد في هذه اللجنة، ومنها على سبيل المثال النقاش الذي جرى بين أعضاء اللجنة في ١٩/٣/١٩٣٦ حول بريقة وردت من الملك عبد العزيز بن سعود تتعلق بوقف الإضراب والثورة. وفي هذا الاجتماع كانت هناك مجموعة تخاف رأي المفتى بضرورة الاستمرار في الإضراب، وتفضل بقوة من أجل وقفه. ولكن هذه المساحة من النقاش لتجانب (Pee) بتقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧، وانضمام جزء من النخبة لعصف الأمير عبد الله الذي كان موافقاً على التقسيم وطامعاً في ضم القسم العربي من فلسطين لإمارته شرق الأردن، (وهو الأمر الذي سعى لتحقيقه بعض صدور قرار التقسيم الشهير سنة ١٩٤٧ وخلال الحرب التي تلت في عامي ١٩٤٧-١٩٤٨) ونضد فعلاً في كانون الأول ١٩٤٨). وقد لجأ الصغار المفتى منذ نهايات ١٩٣٧ حتى نهاية الثورة سنة ١٩٣٩ إلى سياسة وطارد الثوار المصعومين من المفتى، والذي بقي صامتاً وممتنعاً عن اتخاذ موقف على ضد هذه الممارسات، انصار المعارضة في كل المدن والقرى الفلسطينية. مُنحت هذه الفترة من التاريخ الفلسطيني حالة التقادم في النخبة، دفع بجزء لا بأس به من أعضاء النخبة ومن الأهلالي غير الميسمين للانتحاء للحكومة الإنجليزنية لحمايتهم من الاستبداد المتكررة على أرواسهم وممتلكاتهم من قبل المنتسبين للثورة، على اعتداءات تمت بشكل واضح بسبب حالة الفوضى التي عاشها المجتمع الفلسطيني في تلك الفترة، نتيجة لغياب القيادة المركزية القوية، وغباب البنية المؤسساتية العربية والراسخة.

هذا الانقسام لاختلاف التنشئة الثقافية والتعليمية لأعضائها، والاختلاف في الولاءات والارتباطات الاقتصادية والسياسية مع الحكومة ومع القوى والأحزاب المتعددة في العالم العربي. ولم تستطع النخبة السياسية الفلسطينية إنشاء أحزاب سياسية أو مؤسسات مجتمعية ناجحة وفعالة إلا في حالات نادرة. كما أنها افتقدت إلى شخصية مركزية تجمع حولها غالبية كبيرة من أعضائها، وتستطيع قيادة الشعب من خلال بناء قاعدة واسعة من ممثليه وزعمائه تسير معها.

لقد سعى الحاج أمين الحسيني ليكون هذه الشخصية، ولكنه فشل في مساعده لأن مفهومه كان يضمن ولاء الآخرين له ولطاعتهم لأوامره دون اعتراض. كما أن مفاهيمه الفكرية وتوجهاته الفلسفية المحافظة لم تتلاءم مع توجهات قطاع واسع من النخبة، والذي اتجه نحو الحداثة بمفاهيمها الليبرالية والتمورية. لذا فإنه رغم التزامه بالثبات الفكري الذي لا يفرط في الحقوق الطبيعية والتاريخية للشعب الفلسطيني، إلا أنه فشل في استمالة عدد كبير من أعضاء النخبة الماعلين والمؤثرين لصفه، ولا بد من الإقرار هنا بأن الكثيرين عملوا وانسجموا معه، ولكن ذلك كان لفترات قصيرة، وكان بالغالب ينتهي بالتصادم والتناظر. وتُحصل مذكرات عزة دورو ومذكرات عوني عبد الهادي، ومذكرات رشيد الحاج إبراهيم، ومذكرات محمد علي الطاهر، ومذكرات ذو الكفل عبد الطيف، بالإضافة الجديدة على فشل المفتى في إبقاء الجسور مع الآخرين. وقد فشل المفتى حتى في الحفاظ على ولاء أعضاء من عائلته له في بعض الفترات بسبب موافقه الحداثة والمعارضة مع مخالفته ومعارضيه، ومن ذلك خلافه مع جمال الحسيني وشقيقه توفيق، وأوداد حول المفتى من موسى اللطاسي (شقيق زوجة جمال) ومشورعه الإنشائي ومشروع الكتاب العربية للدعاية في أوروبا وأمريكا، ففي حين اعتبر المفتى موسى اللطاسي خائناً، وقف جمال الحسيني والحوثي والحزب العربي مع موسى، وداهموا عنه ودعموا مشاريعه السياسية والاقتصادية.

كان لهذا الفضل دور في تعميق الصراع داخل الحركة الوطنية ونخبها القيادية مما أدى إلى فشل ذريع في مواجهة الحاسمة مع الصهيونية بعد صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧. وواضح من مراجعة يوميات عوني عبد الهادي اقتناعه في مواقف عديدة بصحافة تفكير المفتى، وغبته في السيطرة على كل النخبة والتدخل في كافة التفاسير حتى العسكرية منها، بدل ترك الأمور لأهل الخبرة فيها

يبين السجل التاريخي من وثائق ويوميات ومذكرات، ومن أبرزها يوميات ومذكرات خليل السكاكيني ووصاف جوهريه وسالم الزعور أن النخبة الفلسطينية استطاعت تجاوز الانقسام الطائفي، وانسجم مسلموها ومسيحيوها في نشاطاتها ومؤسساتها وتشكيلاتها المختلفة، ولكنها فشلت في تجاوز انقسامها العائلي، وقد أعطت النخبية العائلية في المجتمع الفلسطيني فرصة لبريطانيين للاختراق ولجمع الانصار والمملاء لسياساتها ومخططاتها. وسعت الإدارة الانتدابية ليس فقط لتعزير الهوية العائلية على حساب الهوية الوطنية الجامعة، بل لإحداث الشروخ والانقسام داخل العائلة الواحدة، ويمكن لنا هنا أن نذكر المساعي البريطانية لتشتيت وحدة العائلة الحسينية، وإضفاء دورها القيادي في الحركة الوطنية من خلال تشجيع عناصر يعينها لانتهاج سياسة معادية للتوجه الوطني العام. ومثال على ذلك محمد بونس الحسيني وقريبه الشيخ عارف اللذان نشطا ضد زعامة الحاج أمين، ورغم أن فرع العائلة لا يرجع إلى ذات جذور عائلة الحاج أمين، إلا أن الحكومة كانت رغبة جداً في تعاونها معها لأنهم يحملان اسم الحسيني، الأول كان مديراً للمصرف الزراعي العربي، ونشط في أوساط حرب النفاق، واشترك مع رابع وفخر النشاعيس وسليمان طوقان في تشكيل الحزب في مؤتمر سان جيمس بلندن سنة ١٩٣٦، والثاني كان شيخاً للحرم القدسي الشريف، أي



الصنف الثاني عارض سياسة الحكومة البريطانية القائمة على أساس وعد بلفور. ولكنه مع ذلك هادئها محاربا لا اعتماد على الأساليب السلمية والاحتجاجات اللاعنيفة

بأن المظفر بنى معارضة من أموال التبرعات التي جمعت من الهند لإعمار المسجد الأقصى، وهو اتهام يصعب إثباته، إلا أنه يشير إلى عدم رضى المجلسيين عن المظفر. وأخيرا، يشير طاهر الفتياني في يومياته إلى أن المظفر رفض خلال الثورة الكبرى إيواضا شقيقه عبد السلام الذي كان منخرطاً في العمل العسكري ضد حكومة الانتداب واحتاج لكان للاختفاء بعيداً عن أعين الإنجليز. لاحقاً، انضم المظفر لمعسكر الأمير عبد الله وكان من مؤيدي ضم الضفة الغربية للملكة الهاشمية.

أما عجاج ثويني، والذي قام أيضاً ببناء بيت فخيم له في القدس من الأراضي، فقد صرف خلال فترة طويلة من حياته كزعيم مستقل، وساعم في دفع التيار الثوري في الحركة الوطنية من خلال مجلته العرب، وعضو المجلس التي أسسها ورأس تحريرها، وأصدر منها ستة وسبعين عدداً ابتداءً من ١٩٣٧/٢٧/١٩٣٧ وانتهاءً في ١٩٣٨/٤/٢٨، إلا أنه بدأ يتحرف نحو المعسكر الهاشمي منذ سنة ١٩٣٧، وتوج هذا الانحراف بنشاطه المؤثر للثلاثين خلال مؤتمر أريحا لضم الضفة الغربية للمملكة الهاشمية في كانون أول ١٩٤٨. ووفق عجاج علاقات الصداقة مع راجب النشاشيبي منذ عام ١٩٣٧، وأخذ يقترب سياسياً من أفكار المعارضة وأفكار التمثل منذ ذلك التاريخ، بعد أن كان في الماضي صوتاً ثورياً معروفاً بمعارضة الانتداب البريطاني وللمصهيونية، تهدت على ذلك كتاباته في مجلة «العرب»، ويمكن تتبع هذا الانحراف عن النهج المستقل الثوري إلى نهج التمثل من خلال اختلافات معسكرات عزرة دروزة منذ خلال يوميات طاهر الفتياني، والذي أطلق على عجاج ثويني لقب «المسوف على وطنيته»، وقد عالج معاج مديراً للإذاعة الفلسطينية في الأريجنينيات خلال الحرب العالمية الثانية، وساعم في الترويج للسياسة البريطانية خلالها. ثم عمل بعد النكبة مع النظام الهاشمي معديراً للإذاعة الأردنية ثم مديراً للمعلومات، وبقى في خدمة العرش الهاشمي إلى أن أعفاه رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى من منصبه بعد شهر من اغتيال الملك في ٢٠ تموز ١٩٥١.

وفيها حديث عن حفلاته الباذخة، والتي لا يستطيع أحد مجارته فيها، على حد تعبير السكاكيني. كما نثر على تفاصيل أخرى في مذكرات وأصف جوهرية تفاصيل من حياة راجب ومنها علاقته بعشيقته اليهودية العربية أم منصور. وجد الكثيرون من أعضاء النخبة أن التحول نحو هذا النمط من الحياة يستدعي اتباع نهج «الاعتدال»، مما كان يعني سياسياً الانضمام إلى معسكر الأمير عبد الله، والذي كان ينادي بسياسة الواقعية والتغزل وعدم الانجرار وراء العواطف، وهي آراء قلته وقد استعكره إلى الخضوع التام للسياسة البريطانية وإلى التحالف مع الحركة الصهيونية في مراحل متقدمة للحركة. بعض المكاسب. يمكن هنا الحديث عن تغير في توجهات كل من الشيخ عبد القادر الخفاجي (توفي في عمان سنة ١٩٤٩)، وعجاج ثويني (١٨٩٦-١٩٨٢)، عرف الشيخ المظفر، كما تشير مصادر عديدة وتكريرات معاصرين، مثل أحمد زكي الدجاني (١٩٨٩)، كآحد الموالين للحاج أمين الحسيني، وكان من أكثر الأصوات تشدداً في المحافظة على الحق التاريخي للأطراف الفلسطينية، وله مواقف عديدة بهذا الخصوص تضمنتها مصادره منشورة عديدة، إلا أنه في مرحلة لاحقة بدأ يتخلل عن هذا النهج. بين الدجاني (١٩٩٠) أن المظفر، والذي اعتمد باطل (١٩٦٠) الخفيف والكنكة وعمل القالب وبالبخل. قلل منذ ١٩٣٦ نشاطه السياسي، واهتم ببناء معارضة المشهورة في يافا في شارع جمال باشا. وبين مصادر أخرى منشورة وغير منشورة، مثل مذكرات عزرة دروزة، وأوراق المجلس الإسلامي الأعلى وأوراق المظفر (رشيد)، أن الشيخ المظفر قد أعلن أثناء انقلابه بناء معارضة في تنمية ثروته، دخل في صراع قانوني مع إدارة الأوقاف الإسلامية التي اتهمته بالاستيلاء على أرض وقفية في المدينة، كما لاحقه قانوني توفيق بسميس، وهو تاجر فلسطيني غني امتلك متجراً كبيراً في يافا، لعدم تنفيذ ثمن بضائع اشتراها من متجره ابتداء معارضته. أما شفيق الحوت (٢٠٠٤) فيقول إن أنصار المجلس الإسلامي الأعلى كانوا يشيعون

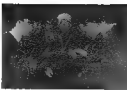
الحداثة الأوروبية. وأدى هذا التوجه إلى سعي أعضاء النخبة للحصول على مصادر ثروة تضمن لهم العبور لئلا هذا التحول، وهي الحقيقة أن جنون هذا التحول شئت للعهد العثماني المتأخر وإن لم تكن بارزة خلاله كما هو الحال في العهد البريطاني. لقد استلزم السعي للحصول على الثروة التوافق مع حكومة الانتداب البريطاني التي تحكمت في الموارد الاقتصادية لفلسطين، وبيع الفلاض عن الحاجة من الأراضي لشركات الاستيطانية اليهودية، وهناك بين الأوقاف الخاصة بالحاج أمين الحسيني أثناء عمله رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى ما يشير إلى توجه قطاع واسع من هذه النخبة نحو الحصول على مناصب حكومية أو شهادات من قبل الحكومة لضمان مصادر الثروة، وابتكر الاعتماد على الأراضي الزراعية كمصدر أساسي للرزق. وقد كان لوساطة الحاج أمين لدى الحكومة أثر كبير في تسهيل هكذا تعيينات، وهو الأمر الذي يشير إلى رغبة بريطانية في تعزيز سلطة المفتي لتضجيعه على الاستمرار في نهج الاحتجاج السلمي، وتقوية دوره كوسيط معتدل بينها وبين النخبة.

لقد كان تغير نمط الحياة وأصاحا في اهتمام العديد من أعضاء هذه النخبة ببناء مساكن فخمة لهم في الأحياء الجديدة التي انتشرت داخل وخارج المدن الرئيسية كاتنيس وبابلس وعكا ويافا، وتعكس الأوراق الشخصية للعديد من أعضاء هذه النخبة تغير نمط سلوكهم وحياتهم بحيث كانوا يهتمون بعيشهم في العصر الفكتوري. وهذا واضح مثلاً خلال قراءة مذكرات الدجاني عصر الصالح المرفوعي، والتي تشير إلى سعيه لاقتناء التحف النادرة والأثاث الفاخر وإقامة الحفلات الباذخة، وحتى إلى إقامة علاقات جنسية خارج إطار الزواج. وهو الأمر نفسه حول حياة راجب النشاشيبي زعيم المعارضة الفلسطينية (توفي في ١٠ نيسان ١٩٥١) والتي نجد تفاصيلها متشابهة في أوراق ومذكرات متعددة أحدها يوميات خليل المسكاكي في سنوات الاحتلال البريطاني الأولى،

مسؤولاً عن إدارة عمليات فتحه وإغلاقه، والأمور المتعلقة بالإدارة والتنظيف فيه، وقد ألهم بتقديم معلومات للحكومة عن الشوار وعن النصار الحاج أمين خلال الثورة الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩)، وجرى محاولة لاغتياله لم تكلل بالنجاح. في الإطار العربي انسجمت النخبة الفلسطينية مع التيارات السياسية والقومية المتعددة في الأقطار المجاورة. كمصر والعراق وسورية وشرقي الأردن، وبرز ميل واضح نحو الولاء للهاشميين، إلا أن هذا الولاء انقسم بين الانسجام إما مع الخط القومي والاستقلالي الذي نهجه الملك فيصل بن الحسين، أو مع الخط المنطوق أمام بريطانيا ومشاريعها وسياساتها في المنطقة، الذي نهجه شقيقه عبد الله. كما كان هناك في المقام تأكيد للملك عبد العزيز آل سعود، وقد انتشر في الأوساط الشعبية والقيادية أمل كبير في أن يلعب الملك عبد العزيز دوراً حاسماً في مجال إقناع بريطانيا، أو حتى إجبارها، ويلاحظ أن الموالين لنهج عبد الله لم يكونوا منسجمين لا مع فيصل ولا مع عبد العزيز. كما يلاحظ أن المفتي والنصار حافظوا على علاقات متينة مع الاثنين. وقد استفادوا من هذه العلاقات الجيدة مع الملك عبد العزيز خلال الثورة الكبرى في فلسطين وبعد فشل حركة رشيد الكياللي، واستفاد البعض منها للحصول على وظائف، خصوصاً جمال الحسيني، بعد نكبة ١٩٤٨.

تأثيرات الحداثة الأوروبية

تطورت النخبة السياسية الفلسطينية في ظل اتساع مساحة الاتصال والتأثر بالغرب الأوروبي. كما تطورت في ظل النمو الرأسمالي في فلسطين. وقد أتت أجواء هذا النمو الرأسمالي والتأثر الثقافي والعسكري بالعرب إلى توجه قطاع واسع وعريض من النخبة الفلسطينية نحو نعت اقتباس أو تقليد الثقافة الغربية، وتبنى سلوكيات وقيم النخب فيها، أي تبني قيم



الصف الثالث اعتبر الانتداب البريطاني مسؤولاً مسؤولية تامة عن الوضع في فلسطين وعن تصاعد قوة الحركة الصهيونية فيها. وطالب بالأعمال الثورية ضد الانتداب وضد الحركة الصهيونية

المرفوضي، عمر الصالح (٢٠٠١)، المراحل، بيروت
الجمهورية، واصف (٢٠٠٣)، القدس الثمنانية في
الدركاب الجوية، الكتبات الأول من مذكرات
الموسيقى واصف جوهري، ١٩٧٧-١٩٧٠، القدس،
الحاج إبراهيم، رشيد (٢٠٠٥)، الدفاع عن حيفا
واقصية الجهاديين، مذكرات رشيد الحاج إبراهيم،
١٩٨١-١٩٨٢، بيروت، مؤسسة الدراسات
الاسلامية.

الحسيني، داود، أوراق ومذكرات غير منشورة،
الحوت، بيان شحاش (١٩٩٢)، مذكرات عجاج
نويهي، ستون عاماً في المظلة العربية، بيروت
دار الاستقلال.

الزحوت، شفيق (٢٠٠٧)، بين الوطن والمنفى، من
يافا بدأ المشوار، بيروت، دار رياض الريس،
الضمان، احمد ركني (١٩٨٢)، مدينتنا يا فورة
١٩٦٦، د.م، وحدة البحث في المجلس الأعلى
للثورة والثقل والمنظمة التحرير الفلسطينية
دور، محمد هرة (١٩٩٣)، مذكرات محمد هرة
دور، بيروت، دار الحرب الاسلامي، ستة اجزاء
الزركلي، خير الدين (١٩٧٤)، عامان في عمان
مذكرات هاشميين في عاصمة شرق الاردن، القاهرة،
مكتبة العرب.

الزحور، سالم، دفتر يوميات لعام ١٩٤١ مخطوط
غير منشور، محفوظ لدى الباحث
زحير، اكرم (١٩٩١)، من مذكرات اكرم زحير
١٩٣٨-١٩٠٩، ج. بوليك، النضال ٢٢ من اجل امشي،
بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،
السكاكيني، خليل (٢٠٠٢-٢٠٠٠)، فلسطين
السكاكيني، تحرير اكرم سليم، سبعة اجزاء، رام
الله، مركز تحليل السكاكيني ومؤسسة الدراسات
الاسلامية.

العارف، عارف (١٩٧١)، نكبة فلسطين والعربوس
المفقد، ١-١٠، نكبة فلسطين العصرية
العارف، عارف ثلاثة اعمام في عمان، مذكرات
غير منشورة ومحفوظة في كلية سانت اشوش
بأكسفورد، بريطانيا.

العارف، عارف، يوميات غرة، مذكرات غير منشورة
محفوظة في كلية سانت اشوش بأكسفورد،
بريطانيا.
عبد الطيف، ود الكفل (٢٠٠٠)، مذكراتي، قصة
كحاشي من الثورة الفلسطينية الكبرى إلى حرب
١٩٤٨، عمان، دار جندباد.
غلوب، جون (٢٠٠٨)، جندي بين العرب، مشاهد
تاريخية وسياسية، ترجمة عادل العوا، عمان،
الاطلعية للنشر والتوزيع.
العصاير، طاهر، يوميات غير منشورة، محفوظة
في اترسب جمعية الدراسات العربية بالقدس
قاسمية، خيرية (٢٠٠٢)، مذكرات عوض عبد
الهادي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية
هلال، علي وسعد، بيجير، (٢٠٠٠)، العلم
المباسبية العربية، قضايا الاستعمارية والتحرير
بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

والثوار إلى معسكر المناولين لها ولهم،
وأنت في نهاية المطاف إلى تعاون افراد
من هذه العائلة مع الجيش البريطاني
في مطاردة وقتل قائد الثورة آنذاك عبد
الرحيم الحاج محمد، والذي كان على ما
يبدو خلف عملية الاغتيال.

في ايار ١٩٣٨، أطلقت النار على
أخوين وجهيين من إحدى قرى قضاء
جنين، فمات أحدهما فوراً، ومات الآخر
بعد يومين. وقد أثار الحادث سخط
وغضب مجموعة من المثقفين
الفلسطينيين، وكتبوا لشتيق
الحسينيين مغزى، وبهرت هذه الكتابات
عن سوء الحالة التي وصل لها الوضع
مع الاغتيالات، ومنها مثلاً ما كتبه في
١٩٣٨/٥/٢٢ الدكتور أنور الشقيري، ابن
الشيخ أسعد الشقيري وشقيق أحمد
الذي أسس لاحقاً منظمة التحرير
الفلسطينية، مغزياً صديقه:

«لك من الثقافة ما يساعدك على
تحمل الفاجعة. وليس على أن أعزك
وأوجه عاطفتك نحو الصبر وإيمانك
بالله. ولكن لا بد لي من أن أشاركك في
تجزئة الأمة كلها على ما حل بها من
الانحطاط وعدم تفسير الرجال
العاملين، فالمرء إذا لم يفقد رشدها
واختلج تخيلها بالجهل والفساد، ولا
حول ولا قوة إلا بالله».

في حزيران ١٩٣٩، تم اغتيال الدكتور
أنور الشقيري نفسه، وقد كتب أحمد
الشقيري في مذكراته تعليقاً مقارناً بين
موسى كاطم الحسيني والحاج أمين
الحسيني (في عمان موسى كاطم بكى
اناس كثيرين، أما في حياة الحاج فقد
أبكى اناس كثيرين). في ١٨/١/١٩٣٩ من
كتب لتيسير النجوى في ١٩٣٩ من
عمان لتيسير مصطفى ارشيد يعرب عن
قلقته عليه: «إن مقتل الدكتور أنور
الشقيري أثار وأسوس ومخاوف عليك
ولهذا أرجو أن تترك البلد المسور ولو
موقتاً وتحضر لعمان أو إلى دمشق».

قائمة المصادر والمراجع

ارشد، مصطفى، أوراق شخصية غير منشورة
محفوظة لدى زوجته.

اليهودية، يقول العارف، ولقد حدثني
عمر حسن صلحي الدجاني الذي انتدبه
الملك، خلال عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨، لاكتساب
الرائ العام في الولايات المتحدة أنه قام
في وقت ما -جديد قرار التقسيم- بجزر
الوسط بينه (أي بين الملك) وبين اليهود،
وأن الملك أبدى موافقته يومئذ على
تقسيم فلسطين شريطة أن يعطى القدس
كلها ويافا والجليل للفريسي، وأن اليهود
أفوا على طلبه خلا القدس، لقد أصروا
على أن تكون يهودية، ويذكر عوني عبد
الهادي في مذكراته (٢٠٠٣/٢٢٧) أن الملك
أصدر كتاباً مؤلفاً منه يأسر قوائمه
بالانحسار من الد والبرصة مما تسبب
في وقوعها فريسة سهلة للشوابع
الصهيونية التي ذهبت المات في الشوابع
اليهودية وفي مسجد دهش، والقارئ
ليومييات عارف العارف خلال عمله
الرسمي في عمان يعثر على أمير هاشمي
لا يملك من الكرامة أمام أسفاده الانجليز
شيئاً، مصروفه الخاص تابع للرفاقية
الانجليزية، وحين لا يستلم مخصصاته
من بريطانيا في موعدها لا يتوقع من
تقريبه نفسه بالدية الملوقة... (كما في
يومية ٩ تشرين الثاني ١٩٦٦)، وهي نفس
الصورة من الخضوع لبريطانيا والمثورة
على صفحات كتاب غير الدين الزركلي
(١٩٢٥)، عامان في عمان».

الاغتيالات السياسية

والشقاق النخبة

ملئت الاغتيالات السياسية في
فلسطين حالة تحول أساسية في علاقات
النخبة، وهي حالة يمكن أن نشهدها
بالطاقة. وبين السجل التاريخي أن
الأضر التي نجمت عن الهجوع لهذا
الأسلوب كانت أكبر بكثير من الفوائد
التي سعى متفادوها لتحقيقها. وقد كان
لهذه الاغتيالات دور في تقسيم الصف
الفلسطيني وإضعافه وقتله اللاحق في
مواجهة الصهيونية خلال حرب ١٩٤٧-١٩٤٨.
يمكن لنا هنا أن نذكر باختصار
حادثة اغتيال واحدة دفعت عائلة كبيرة
في منطقة جنين من معسكر دعم الثورة

يمكن أن يلاحظ التناقض الواضح
في مواقف عجاج من خلال إجراء مقارنة
بين صراعه مع الخلاص عباس حلمي
الثاني وبين تحالفه الملاح مع الملك
عبد الله. فقد كلفته مواقفه المؤنسية
السابقة الدخول في صراع قانوني مع
الخديوي المصري السابق عباس حلمي
الثاني والذي هاجمه نويهي بقوة بسبب
علاقته مع الصهيونية، ونشر ضده
مقالة فاضحة في مجلته «العرب»، مما
دفع الخديوي لإقامة دعوى تشهير ضد
نويهي أمام المحاكم الفلسطينية. ورغم
هذا الصراع مع الخديوي عباس نجد
عجاجاً يتحالف مع الملك عبد الله الذي
كانت علاقته الصهيونية أشد وأقوى من
علاقات الخديوي عباس، ومواقفه المناولة
للحركة الفلسطينية مشهورة ومعروفة
لجميع آنذاك.

يجدر الانتباه إلى هذا المقام في
عمليات تطهير السيرة الذاتية وتضي
صفحة الملك عبد الله وأغلب
التضاميين في مذكرات عجاج نويهي
التي نشرتها ابنته بيان عام ١٩٩٣ في
بيروت تحت عنوان «ستون عاماً مع
القافلة العربية»، وفيها تجد صورة
مختلفة تماماً للملك القليل مما صورة
إليه الوثائق التاريخية الموثوقة
والكثيرة.

ففي حين يسعى نويهي أن كان ضد
تقسيم فلسطين، نجد ما يشير إلى أن
حليفه الملك عبد الله كان مؤيداً لهذا
التقسيم وساعياً للحصول على حصة من
فلسطين النسيحة من خلال التناغم
والتحالف مع بريطانيا العظمى ومع
الحركة الصهيونية. يشير غلوب باشا في
مذكراته إلى سعي رئيس وزراء الملك عبد
الله لتوفيق باشا أبو الهدي، الحصول
مبكراً، وقبل دخول الجيوش العربية
لفلسطين، على موافقة الإنجليز على أن
يكون القسم العربي من خطة التقسيم
خاصاً بمنطقة القدس، ويشير عارف العارف
في كتابه نكبة فلسطين والفردوس المفقود
(١٩٦٦/١/١٢٥) وهو كتاب لا بد وأن
نؤيد فيه قراءه أو اطلاع على مضامينه،
إلى مساعي الملك عبد الله للتناغم
والاتفاق مع الصهيونيين للحصول على
ما يتبقى من فلسطين بعد إقامة الدولة

أحلام من أبي:

أفضل الكتب مبيعاً وفقاً لصحيفة نيويورك تايمز

باراك أوباما

أحلام من أبي

قصة عرق وإثنية



"كل به من الحُلم وبما للجمعة ما يتعلَّه بأبوك،
شباباً من نضك سواء أكتبَ أبيض أم أسوداً"
مليار ديت ليفيل

أحلام من أبي، قصة عرق وإثنية

باراك أوباما
كلمات عربية للترجمة والنشر - القاهرة
كلية أبو طلي
برامج الكتاب العربي - القاهرة، ٢٠٠٩
ترجمة: هبة نجيب مغربي، إيمان عبد
المنى نجم

Dreams from My Father: A Story
of Race and Inheritance
Three Rivers Press
(Re-released in 2004) 1995

من المهاجرين الذين يعملون باليومية، إلى جانات المصرفيين في البنوك، ذلك وجدت العمل مرمياً، غالباً لأن نطاق السياسات داخل الولاية يسمح بالتوصل إلى نتائج ملموسة توسيع خدمة التأمين الصحي لتشمل أطفال الفقراء، أو تعديل القوانين التي تقسب في موت الإبراء في ظل إطار زمني معقول. وأيضاً لأنه داخل مبنى المجلس التشريعي لولاية ماساتشوستس كبيرة مثل إلينوي يرى المرء كل يوم وجه أمة في حوار مستمر، أصوات من الأحياء المتخلفة المساكين، ومزارعي الذرة والموال، والعمال

مر ما يقرب من عقد من الزمان منذ نُشر هذا الكتاب للمرة الأولى، وكما أذكر في التمهيد الأصلي، تسببت لي فرصة تأليف هذا الكتاب وأنا في كلية الحقوق بعد انتخابي أول رئيس أمريكي من أصل إفريقي لحملة «هارفارد تو ريسيو». غمى أعصاب ذيلي نصيباً من مواضعاً من الشهرة تلقيت عرضاً من أحد الناشرين وحصلت منه على دفعة مقدمة من مبالغ التعاقب، وبدأت العمل وأنا أومن أن قصة عائلتي، ومحاولاتي لفهم تلك القصة، قد تحاطل بصورة ما صعود العنصرية التي كانت سمة التجربة الأمريكية. وأيضاً حالة الهوية غير الثابتة - الفترات عبر الزمن والصدامات الثقافية التي تمثل سمة حياتنا العنصرية.

وعلى غرار من يؤلف كتاباً للمرة الأولى غمرني مشاعر الامل والياس فور نشر الكتاب، أمل في أن يحقق الكتاب نجاحاً يتجاوز ما يجرول في أحلامي الشاب، وأيس من أن أكون قد فشلت في أن أقول شيئاً كان ينبغي أن أقوله. أما الحقيقة فكانت تقع في مكانة بين هذا وذاك: فجات الحفلات النقدية عن الكتاب إيجابية شيئاً ما، وكانت الجماهير تحضر للعمل الندوات التي نظمها الناشر وتجري فيها قراءة أجزاء من الكتاب، لكن المبيعات مهجرة. وبعد بضعة أشهر حصلت دعماً في حياتي المهنية وكنت قد ما من مستكفي في تأليف الكتاب سيكون قصيراً، لكنني كنت سعيداً بأنني خضت تلك التجربة وخرجت منها دون تماس بكرامتي.

من يتسنى لي الكثير من الوقت للتفكير طوال السنوات العشر التالية، فقد أدت مشروعي لتسجيل الناجحين في انتخابات عام ١٩٩٢، وبدأت العمل محامياً في مجال الدفاع عن الحقوق المدنية، وبدأت أدرس مادة القانون الدستوري في جامعة شيكاغو. واشترتيت أنا وروجنيتي منرتا، وورثنا مطبخنا العتيق ومناصبتين تشتملنا مصممة حمدة. وكنا مجاهد للبح ككالييف مبعثنا، وعندما أصبح أحد المقاعد في المجلس التشريعي في ولاية أليسوني شاعراً عام ١٩٩٦، ألتحقني شخص الأصدقاء أن أرتض نفسي، وبالفعل فزت بالمنفذ. حدرني المعض قبل أن أشعل النفس من أن السياسات داخل الولاية متفقد إلى العريق الذي ينضج من بطيرتها في واشتنطي، فالمرء يكحد لكر وراء الستار، وأغلباً في موصوعات تمنى الكثير للبعث ولكن رجل الشارع يمكنه أن يعرض طرفه منها دون أن يشوب تعرضه هذا شائبة (مثل اللوائح المتعلقة

مؤسسي ولا يمتلك ثروة شخصية - على أن إمكانية فوزي مسألة بعيدة المثال. وهكذا عندما فزت بأغلبية الأصوات في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي، في مناطق البيض والسود على حد سواء، وفي الصواحي وكذلك في شيكاغو، كان رد الفعل الذي تلا هذا يشبه رد الفعل الذي تلا انتخابي رئيساً لحملة «هارفارد تو ريسيو». وقد عبر معظم المعلقين عن دهشتهم وأملهم الحقيقي في أن يشير الانتصار إلى تغير كبير في سياساتنا العنصرية. وفي مجتمع السود كان هناك إحساس بالفخر تجاه الإنجاز الذي حققته، فخر يمتزج بخيبة الأمل لأنه بعد خمسين عاماً من قضية براون ضد مجلس التعليم، وبعد أربعين عاماً من إقرار قانون حق التصويت، لا تزال نحتل بإمكانية (و فقط إمكانية، لأنه كانت لا تزال أمامي الانتخابات عامة صعبة قادمة) أن أكون الأمريكي الوحيد من أصل إفريقي في مجلس الشيوخ والثالث على مدار التاريخ منذ مرحلة إعادة التأسيس التي تلت الحرب الأهلية الأمريكية. الثابتني، كانت ثباتي عائلتي وأصدقائي، مشاعر الصبر من هذا الاهتمام، وكنا دعاً نصي الفرق بين بريق تقارير وسائل الإعلام وحفلات الحياح العادية المصنوعة كما نعيشها في الواقع.

وبالضبط مثلما أثارت تلك الموجة من الشهرة اهتمام الناشر قبل عقد من الزمان تسببت هذه الجولة الجديدة من الأخبار الصحفية في إعادة نشر الكتاب مرة أخرى. ولأول مرة منذ سنوات أخذت نسخة من الكتاب وقرأت بعض الصفحات لأرى إلى أي مدى تغير صوتي بمرور الزمن. وأعترف أن كنت أشعر ببعض الخجل من حين لآخر كما رأيت كلمة أسأت اختيارها أو جملة مشوهة أو تعبيراً عن العاطفة يبدو متلفاً أو مبالغاً فيه. وكانت داخلي رغبة ملحة كي أحذف من الكتاب ما يقرب من خمسين صفحة. فقد أصبحت أكثر كبرياء إلى الاختصار. ولكنني لا أستطيع حقاً أن أقول إن الصوت الذي يتردد في الكتاب ليس صوتي. وإلى كنت سأكتب القصة بصورة مختلفة إلى حد بعيد اليوم كما كنتها قبل عشرة أعوام، حتى وإن كانت بعض الفقرات تبت أنها غير مناسبة سياسياً، وهو ما يخلق ساحة لتعليقات الخبراء وأبحاث المراهضة.

ما تعبر بالطبع قديراً شديداً وقاطماً هو الصياغ الذي قد بلغ فيه الكتاب الآن. لقد بدأت أكتب في ظل خلفية يعجزها وادي السليكون، وهازار البروصة، واتغير سور برلين. وخروج مانيديا من السجن

قصة عرق وإراث

باراك أوباما

واهيريقيا، تساعد النساء على شراء ماكينات الخياطة أو يقرضن حلوب أو الحصول على فرصة للتعليم قد تمنحهن موطئ قدم في الاقتصاد العالم. وكان لديها أصداؤه من كل مكان، وكانت تنزّه سيرا على الأقدام وتحلق في القمر وتلعب في الأسواق المحلية في دلهي أو واكاش عن شيء صغير مثل وشاح أو قطعة خبز منقوشة بجمها لتتحقق أو يسمع ناظرها. وكنت التقارير وقرارات الروايات وأرسلت أطفالها وحملت ناصحها.

كنا كثيرا ما نرى بعضاً، هفتلنا لم تنقطع، وخلال تأليف هذا الكتاب، كانت تقر المودات وتصمم القصص التي أسأت فيها، وتحرص على عدم التعليق على وضعي لها لكي تهرع إلى تفسير أو دفاع عن الصفات الأقل جاذبية في شخصية أبي. وقد تعاملت مع مرضها ببطء وعناية، وساعدتني أنا وأختي على أن نستمر في حياتنا، رغم حوفا ورهصنا وانقباضات قلبنا المجاعة في بعض الأحيان أفكر أنني لو كنت أعلم أنها لن تنجو من مرضها، كانت سأكتب كتاباً محتوماً، إلى تأمل في الآب، الغالب، وأكثر محاولة بالأم التي كانت موجودة دائماً في حياتي. وإلني أراها في استنق كل يوم، فرحتها وفدقتها على التحب، ولي أحوال أنا أصف كيف لا أزال في غاية الحزن لرحيلها. وأعرف أنها كانت أعجب وأكرم روح فرفتها في حياتي، وإني أدني لها بأجل ما في ❧

الجنوبي من شيكاغو. كيف يكون الطريق ضيقاً بالنسبة لهم بين الدار والغصب العام، كيف يتنقلون بسهولة إلى أحضان العصف واليابس، أعلم أن رد فعل من يمتلك القوة على هذه الفوضى - التي يكون إما رضا متبلد الحزن أو، عندما تريد تلك الفوضى عن حدودها، تطبيقاً صارماً غير عاقل للقوة، وإصدار أحكام باللسن ضد أطول، ومزيد من العناد الحربي المتطور غير مناسب لهذه المهمة. وأعلم أن المتعصب واعتناق الأصولية والقبلية يحكم علينا جميعاً بالهلاك

وهكذا تحول ما كان مجهوداً داخلياً شخصياً من جانبي لتعهم هذا الصراع والمحو على مكاشي هي يلتقي مع مناظرة شعبية أوسع مجالاً، مناظرة تورطت فيها معنينا، مناظرة ستشكل حياتنا وحياة أطفالنا لسنوات طويلة قادمة.

أما التماهات السياسية لكل هذا فهي موضوع كتاب آخر، فدعوني أخفي مدناً من هذا بملحوظة شخصية معظم شخصيات هذا الكتاب تظل جزءاً من حياتي، وإن كان بدرجات متفاوتة، عمدًا وأطفالاً وخارجياً ومعلمًا.

الاستشارة الوحيد هو أمي، التي فقدناها بمرض وخشيته بسبب مرض السرطان بعد بضعة أشهر من نشر هذا الكتاب. كانت قد قضت السنوات العشر السابقة تعمل ما تحب، فكانت تحبب العالم، تعمل في القرى النائية في آسيا

المطارات الخاوية أولئك الذين غمرتهم مشاعر الارتياح الهائلة غير المتوقعة وهم يمتألون الأبرياء

ولكن ما أعرفه هو أن التاريخ قد أعاد ذلك اليوم حاملة معه الانتقام. وأنه في الحقيقة، كما يدركنا هو لكن أن الماضي لا يموت أبداً ولا يطفئ تحت الثرى، بل إنه حتى ليس ماضياً. هذا التاريخ الجماعي، هذا الماضي، يمس ماضى مباشرة. ليس فقط لأن فتايل القاعدة قد تركت بصماتها بطلا غريبة على بعض معالم حياتي، المبادئ والمفردات والوجه في تروبي وبالي وماهاتنا. ولم يكن ذلك فحسب لأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول تسببت في أن يصبح اسمي هدفاً لا يقاوم للشرطة من أفسار الحزب الجمهوري شديدي الحماس، بل أيضاً لأن الصراع العنصري - بين عوالم الرخاء وعوالم الفقر المدقع، بين الحديث والقديم، بين الذين يعتقدون تروبياً الشديداً والانتصار والمسيب للمشكلات ويتمسكون بجموعة من القيم التي ترتبطاً معاً، وأولئك الذين يسمون تحت أية راية أو شعار أو نص مقدس، إلى يقين ويتسبب بمرار الفوضى تجاه من يُدسوا

مثلاً - هو الصراع الموضح على نطاق أصغر بين قديم الكتاب. أعلم، ورايت بنفسي، الياس والاضطراب الذي يعمره به المعاجز، كيف يشوهان الأطفال في شوارع جاكارتا أو نيروبي بالطريقة نفسها تقريباً التي يشوهان بها حياة الأطفال في الجزء

بخطي ثابتة متأينة ليقود دولة، وتوقع اتفاقيات السلام في أوسلو، وعلى المستوى المحلي بدت المناظرات الثقافية، حول الأسلحة والإجهاض وموسيقى الراب، قوية للغاية لأن سياسة نيل كليبتون «الطريق الثالث» وهي سياسة دولة الرفاهية المتقلصة التي تفقد الطموح العظيم وتموزعها القوة الحارمة. بدت أنها نصف إجماعاً ضمناً واسع النطاق على المسائل المتعلقة بنقوت الحياة اليومية، إجماع متوافق عليه حملة جورج دبليو بوش في فترة رئاسته الأولى بمباسبتها المحافظة الرحيمة، وعلى المستوى العالمي أعلى المؤلفون نهاية التاريخ، ويوزن نجم السوق الحرة والديمقراطية الليبرالية، وزوال الكراهيات القديمة والحروب بين الأمم لتحل محلها المجتمعات الفعالة والمشارك من أجل الحصول على نصيب في السوق. ثم في الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ فتح العالم

ومعاشري في الكتابة لا تؤهلني لوصف تلك اليوم، والأيام التي تلتها، كانت الطلدارت مثل الأشياء تختفي بين الحين والآخر، أفيار البرجس كشلال يتدفق بالصور البهية، أناس يتكسومهم الحزن يجمعون الشوارع، والألم والخوف، ولا انتظار بالي أفهم العممية الشديدة التي كانت تحرك الإبراهيميين في ذلك اليوم والى أن لزال تحرك إخوانهم الذين وفدري على القصص، على الوصول إلى فلوب الآخرين، لا يمكن أن تفتقر تلك

من جديد، ويرى عن بداية إدراكه للمخاوف والظنون التي لم تكن موجودة في حينها في العالم الأسود الكبير والعالم الأبيض بل كانت تستعمل في نفسه أيضاً.

انتقل أوباما إلى شيكاغو ليعمل في وظيفة منظم للمجتمع الأهلي مقطوعاً بالرغبة في فهم القوى التي أسهمت في تشكيله وأيضاً في فهم أسطورة أبيه. وهناك عمل في مواجهة خلفيات الصراع السياسي والعرقى العنيف من أجل إخماد نيران اليأس المتصاعدة في تلك النقطة الفقيرة من المدينة. وهكذا تتحد قصته مع قصص من يعمل معهم لا يتعلم قيمة المجتمع وضرورة معالجة الجراح القديمة وإمكانية وجود الإيمان في غمرة المحن. وفي كينيا تعود رحلة أوباما إلى نقطة البداية من جديد حيث يلتقى أخيراً مع الجانب الإفريقي من عائلته ويواجه الحقيقة المرة لحياة أبيه. يتكشف أوباما أنه مرقيط، ارتباطاً لا مفر منه بأشقاء وشقيقتا يحصل الحميم بينهم وبينهم بعد السفر إلى بلد يفاسي بشدة من الفقر المدقع والصراع القبلي وإن كان شعبه يواصل الحياة بفعل روح التحمل والأمل، وفي النهاية وعن طريق تبني لثقافتهم المشترك - ينتج في جمع شمل إرثه المتفرق.

نشر باراك أوباما هذه المذكرات المتهبة بالعواطف التي تهز المشاعر هزاً قبل أن يصبح الرئيس الأمريكي المنتخب الرابع والأربعين بسنوات، وقد تصدرك الكتاب قائمة أفضل الكتب مبيعاً التي تصدرها صحيفة نيويورك تايمز عندما كتب طباعته عام ٢٠٠٤. يحكي كتاب «أحلام من أبي» سعي أوباما للدوب لفهم القوى التي أسهمت في تشكيله كابن لأب إفريقي أسود وأم أمريكية بيضاء وهو السعي الذي انطلق في من قلب الولايات المتحدة إلى مسقط رأس جدته في قرية اليجو الإفريقية الصغيرة. يبدأ أوباما قصته في نيويورك حيث يسمع أن والده - وهو الأب الذي عرفه كأمطورة وليس كرجل - التي مصرعه على إثر حادث سيارة. اجتزت هذه الأنباء سلسلة من الذكريات حيث يسترجع أوباما تاريخ عائلته غير المألوف بداية من هجرة عائلة أمه من بلدتها الصغيرة بولاية كانساس إلى جزر هاواي، ومروراً بمشاعر التي نشأت بين أمه وبين طالب كيني وإعد شاب، وهو الحب الذي اشعلت جذوته بفعل براعة الضياف والبارور المؤيدة للانتماء العرقي التي سادت في مطلع ستينيات القرن العشرين. ويرى أوباما كيف أن والده رحل عن هاواي وهو لم يزل في الثانية من عمره بعد أن عادت الحقائق المريرة المتعلقة بالرق والسلمة تظل بوجهها

تهتم وجهات نظر، بتحريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ❦

الجنرال يعقوب والفارس لاسكاري

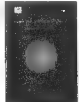
داليم شفيق غريال
تقديم محمد عيسى
القاهرة دار الشروق، ٢٠٠٩، ٦٨ صفحة



المعلم يعقوب أو الجنرال يعقوب كما أطلق عليه الفرنسيون والفارس لاسكاريان المعاصر الأوروبي ظلا حكاية شعبية أسطورية تناثرت أخبارها في شتيا الكتب إلى أن توفر عليها المؤرخ الكبير شفيق غريال ليحول القصة الحقيقية التاريخية للجنرال يعقوب القبطي الصعيدى الذى تعاون مع الفرنسيين وفاد فرقة عسكرية تقاثل في صموهه، ثم خرج معهم عندما دخلوا عن مصر مشكلا مع جدو طرفه، الوالد المصرى، الأول والذى ذهب إلى أوروبا باحثا عن تأكيد لاستقلال مصر عن الدولة العثمانية عام ١٨٠١، ليصبح السؤال: هل كان يعقوب مجرد عميل للخدمة الفرنسية، أم متانصلا مصريا يحلم باستقلال بلاده، أو حتى شخصية أسطورية لم يكن لها وجود أصلا؟ بخفة الورد والهيرالية الباحث يتناول شفيق غريال كل هذه الأسئلة وغيرها، مدعما بحثه بالحجج والوثائق

التحول الديمقراطي في سوريا والخيرة الإنسانية

تحرير جورج بيران ورمضان ريادة
القاهرة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٩، ٣٠٠ صفحة



نبدو التحريه الإنسانيه بعد فرانكو وكأنها تجربة تحتل حيزاً خاصاً في تجارب التحول الديمقراطي في العالم، لا سيما لجهة الحيلولة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي كانت عليه إسبانيا أيام فرانكو وما هي عليه إسبانيا اليوم كما أنها تعد من أبجج تجارب التحول الديمقراطي الامم نحو الديمقراطية.

معارنة بتجارب تحول أخرى جرت في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية. على ضوء هذه المقارنة نطلعت في إسبانيا حلقة نقاشية بعنوان «استكشاف استراتيجيات دعم الحركة الديمقراطية في سوريا للاستفادة من التجربة الإسبانية، في مدينة طليطلة التاريخية الساحرة الروعة والجمال في مايو ٢٠٠٩، وقد كانت ثرية وغنية للغاية، إذ جمعت عدد من الباحثين والناشطين السوريين، وعددا من السياسيين والمثقفين والعلماء الإسبان، الذين كان لهم دور محوري في عملية التحول الديمقراطي في إسبانيا، وذلك للنظر في إمكانية استضافة سوريا من تجربة التحول الامم الإسبانية.

الذرة الاجتماعية لماذا يزداد الأشرار شراء والفقراء فقرًا؟

مارك كوكان
ترجمة: احمد على بدوي
تقديم: حامد عمار
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية بالاشتراك مع مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ٢٠٠٩



الكتاب ليس كما يبدو عنوانه دراسة اقتصادية فقط، بل هو دراسة علمية في سلوك الأفراد من البشر، وكيف تتشكل الكتلة البشرية من مجموعة من أفراد، وأى خلل في سلوك الفرد ينتج عنه سلوك جماعي قد يؤدي إلى كارثة، كما أنه دراسة تحاول فهم الكوارث الطبيعية التي لا يستطيع البشر التنبؤ بها أو مواجهتها أو حتى فهمها، وكيف يفقد القادة الكبار صبرهم إلى كوارث اجتماعية بالحروب بقرار فردي، وذلك التحدي الرئيسي في عصرنا هو فهم التنظيم الجماعي وقوانين التطور، فلم يحدث من قبل أن واجه الجنس البشري مشاكل بخطورة تلك التي يواجهها اليوم، بدءاً من زيادة حرارة الكون، وما يلحق بالبيئة من تدهور وموتاً إلى ما استوفى مجده من مصاعبة أعداد الأسلحة النووية وأواعها، وكلها مشاكل ناجمة على هذا النحو مباشرة عن تدهور انتمتلكها الاجتماعية الجماعية.

والكتاب في كل فصوله العشرة، ويوصل نظراته العزيمانية إلى المدة الإنسانية، كما

يقول د. حامد عمار، مؤكلاً رأية الناس كترت في مادة اجتماعية يمكن أن تفتح كسر كبير من الأزمات، التي تبثت مرة تلو أخرى في جميع المجتمعات الإنسانية، ويتمثل هذا في نشوء الطبقات الاجتماعية والتدفق الجائر الذي يتسبب به حلول الثروة في أيدي القلة.

ويدعم الكتاب نظراته بكثير من التجارب الإنسانية والمعالج الرياضية في تفسير السوي من الأحداث، وفي نقدها من التحيرات والاضطرابات البربرية. كما حدث في رومانيا وفي يوغوسلافيا من عمليات القتل والتبذع، ولا تسمى النماذج الأمريكية الذي ارتكب فظائع الصحف والإذلال للأسرى في سجون أبو غريب.

وفي هذا السياق يثير المؤلف قصيته الأحداث الكبرى في التاريخ، وهل هي من صنع القادة أم من صنع الشعوب أم هي القوة الأساسية والاقتصادية والاجتماعية وتحركاتها السكانية والتأثيرات الحضارية شتمة الأفاق. وقد يسكب القادة الوفود فوق المهدى، حين يتزعزع النظام القائم، فيسحقون بيسند القوى الاجتماعية والإعلامية والتربوية حول أسطورة يظهر فيها السبب الحقيقي لتدهور الأوضاع إنما هي القوية معينة أو فئة معينة، وبذلك يتسحجون في التعاليل بالاضطرابات الاجتماعية.

هذا الكتاب لقي صدى مدياً وقت صدره في أمريكا وقال عنه رئيس تحرير مجلة «واير»، ومف كتاب الدليل الطويل لا جدوى من كل محاولاته لتفسير أفعالنا.. لأننا هي النهاية لا نذكر ولا نتصرف، لا أكثر. لكن هذا الكتاب نجح من خلال أمثلة وأدوات في جعلنا نشعر بأن قوة كبيرة تدفع في العمل لتقديم نصير افضل للامم.. وقالت عنه الصحفية الأمريكية إن قراءة هذا الكتاب تتيح لنا فرصة رصد لحظة من الثورة القادمة في العلوم الإنسانية.

مسارات السلطة والمعارضة في سوريا نقد الرؤى والممارسات

حازم بهار
القاهرة: مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، ٢٠٠٩، ٢٤٦ صفحة



خلال عقد التسعينيات برزت المنطقة

العربية، ومن ضمنها سوريا، كاستثناء من الموجة العامة لتسول الديمقراطية التي سرت في العالم منذ نهاية عقد الثمانينيات، وكانت التحولات الخاصة بالأوضاع السياسية والحقوقية الداخلية في بلدان المنطقة سلبية في عمومها، خلال العقود الأربعة الماضية كبرت سوريا كموقع إقليمي وكدور سياسي خارجي، لكن بالنهج الذي سارت عليه الأمور، كنا هي المحصلة أمام خسارة حقيقية مبرجة لإنسان هذا البلد ولؤاسات المجتمع كافة.

هذا النهج بدأ مع إعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية منذ عام ١٩٦٣، وتوسيع التصديق على الأحزاب السياسية في سياق «الجهبة الوطنية التقدمية، واحتكار العمل السياسي من حرب البعث، الحزب القائد للدولة وللمجتمع كما جاء في الدستور النائم لعام ١٩٧٣، وتبعية سائر الأحزاب للجهبة له والهاء المهيوم الديمقراطية لعمل السياسي، ومن ثم تلمت تحت وطأة القوانين السلطانية المتتابة فئات اجتماعية مستفيدة مباشرة منها، ومراكز قوى متعددة لها مصالح حقيقية في بقاء التسلسل واستمراره، وطال التهميش كل قطاعات المجتمع التي ارتدت إلى مستوى التطلعات الدنيا، بعد أن كان الشان العام، خطراً ومخها.

لماذا التمثل الآخرين إلى الديمقراطية وتأخر العرب؟

دراسة مقارنة لدول عربية مع دول أجنبية
بهرت. مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩، ٢٠٤ صفحة



يحتوي هذا الكتاب الدراسات والتقارير والداخلات التي يصدها اللقاء السنوي الثامن لدراسات الديمقراطية في البلدان العربية، وكان موضوعه هو: الانتقال إلى نظم حكم ديمقراطية، دراسة مقارنة لدول عربية مع دول أخرى.

ويطرح الكتاب سؤالاً محورياً هو: لماذا انتقلت دول عدة في جنوب وشرق أوروبا وأمريكا اللاتينية ومنحوب آسيا وأفريقيا إلى الديمقراطية بينما تأخر العرب، ولإجابة من هذا السؤال تصدى

وذلك عند تلقى سلسلة الكلمات الشكلية المتحركة في النص المكتوب

٢٢

الامن الغذائي العربي مقاربات إلى صناعة الجوع

سالم توفيق الجعري
بيروت مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٩، ٢٧٠ صفحة



يرى المؤلف أن أوضاع الأمن الغذائي العربي، وثلث في مطلع الألفية الثالثة إشكاليات معقدة متجاذبة بين الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وتراكمت خلال سنوات القرن العشرين، ولا سيما في النصف الثاني منه، فهدت هائلة البرامج الأساسية إلى النمو والتنمية للأوطان إلى تدنية أعباءعدام الأمن الغذائي، وأباحت من سبل معالجة النقص والجزر النسيب في الغذاء، سواء على صعيد الفرد أو المجتمع، وتقدم هذه الموترات نمط السياسات الاقتصادية الزراعية في البلدان العربية وتباينها من حيث أسس نشأتها وتكوينها المعاصر، لئلا، يتخطى من السياسات الاقتصادية العربية اعتماد برامج وقائية للأمن الغذائي في مواجهة التغيرات المحتملة من جراء تحرير التجارة الزراعية، ويعتقد المؤلف أنه يمكن حصر فاعلية هذه السياسات في مستويين الأول: تفعيل السياسات الاقتصادية القطرية، أو سبما فيما يخص دور الدولة في المساعدة بهذا المجال، والثاني، اعتماد سياسات قومية تسعى إلى إيجاد تكتلات اقتصادية وإعانة على الصعيد الإقليمي.

ويؤلي المؤلف الدراسات المستعقبة في مجال الغذاء أهمية بالغة بصفتها جزءاً من مستقبل الرؤية الاقتصادية للاقتصادات الاجتماعية لأفراد المجتمع العربي، ويعترض أن تعتمد عليها استراتيجيات الأمن الغذائي في البلدان العربية، وترتبط بها دراسات استشراف إمكانات وسائل تنظيم الأوضاع الأمنية للعداء، سواء من حيث السياسات أو البنى المؤسسية، مع الأخذ بنظر الاعتبار المكاتب الداخلية واعتبارات الخارجية، لتؤدي مجتمعة بنية تستهدف حصص النقص من الغذاء وبنمية الفقر والضعف على الأغصان، ولا سيما في البلدان العربية الأقل نمواً.

٢٣

ستصبح مستقبل أدوات تدريس علمية وعلمية لكل طالب علم.

٢٤

الشوكولاتة

تأليف: سيمون سارتر
ترجمة: نيل شليبي
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩، ١٧٨ صفحة



يتتبع هذا الكتاب الذي تُرجم إلى عدة لغات رحلة الشوكولاتة، انطلاقاً من حقول الكاكاو في غرب أفريقيا حتى وصولها إلى المستهلكين في مئات الأشكال والمراكات، ليروي قصص البشر الذين يقفون وراء كل مرحلة من مراحل هذا الطريق. وقد نُقل المؤلف بين كل محطات هذه الصناعة، وأطلع على العديد من الأبحاث والتقارير السرية والعلمية ليقدم كتابه المهني الذي يلقى الضوء على كواليس عالم الشوكولاتة من عمالة الأطفال التي تشبه سوق الرقيق، والقصد والسلع الأساسية، ومضاربات البورصة، وتركيز السلطة في أيدي الشركات العالمة التي تمثل نوعاً من المافيا.

٢٥

التأويل سيلاً إلى الترجمة

ماريان لودوير وديانكا سيليكوفيتش
ترجمة: فايزة القاسم
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٩، ٢٢٨ صفحة



التأويل سيلاً إلى الترجمة، يعنى فهم ما وراء الألفاظ ثم التعبير عن معنى منعتق من المادة اللغوية. تستند المقالات المجمعة في هذا الكتاب إلى مبدأ رئيس يقضي بأن عملية الترجمة تحل في نفسها، أيًا كانت اللغات أو نوع النصوص، فالانتقال من نص ما إلى نص آخر هو عملية مستقلة في حد ذاتها عن اللغات، وهي لا تختلف في عملية القول أو فهم الكلام في نقل التواصل الأحادي اللغة. بيد أن ملاحظة هذا المفهوم تكون أسهل عبر إعادة التعبير عن النص في لغة أخرى مما هي عليه في اللغة نفسها.

الفلسفة الحديثة في النظر إلى التاريخ، جمع فيه بين جهود الفلاسفة وجهود المؤرخين في بناء لفظة التاريخ. وفي سعيه إلى بيان خصوصية التاريخ العربي، في مضامينه ومصادره، جاءت بحوثه الثلاثة: كتابية التاريخ العربي، والبحث في التاريخ العروبي، وفقرات التاريخ العربي: نظرة شاملة، حيث قدم في هذا الأخير نظرية متكاملة لتحطيم التاريخ العربي، وتقسيم فتراته المختلفة، استناداً إلى طبيعة التطور في التاريخ العربي واتجاهاته. وفي سياق رعاية المؤلف بمناسج المؤرخين جاءت هذه "دراسة في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ومؤلفها ابن إسحق، والجغرافيون العرب وروسيا، وكتب الأنساب وتاريخ الجزيرة، وباس خلدون والعرب، وكتابات التاريخ عند العرب، المعركة والمنهج، وفيه قدم المؤلف إطاراً شمولياً لكتابات التاريخ عند العرب، تناول فيه فكرة الكتابة التاريخية العربية، وأهم مناهجها، منذ عصر نهضتها في العصر العباسي إلى العصر الحديث، وأهم المشكلات التي واجهتها.

٢٦

الحداثة الفلسفية مفردات مختارة

إعداد وترجمة: محمد سيلا وصيد السلام
بنيد الهادي
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر،
٢٠٠٩، ٢٢٠ صفحة



إن التطور الحضاري والسياسي الثقافي الذي تواجهه الأمة العربية اليوم، كان الحافز الرئيس الذي دفع كل من الدكتور محمد سيلا والدكتور عبيد السلام منفتحاً على جميع النصوص من الفكر العربي الحديث والمعاصر ونشرها في كتاب يكون بمثابة مرجع قيم لكل طالب وفارئ يرغب في التعرف على الفلسفة الغربية. إن هذا الكتاب هو مجموعة من النصوص المقدمة للترجمة بدقه عالية، حول الفلسفة وتاريخها، وحول أهم القضايا التي عرفها ذلك التاريخ مثل الشعور والاشعور والأيدولوجيا والتشيز والعلم واللغة والبنية والسيوية والذات الإنسانية... إلخ.

فهذا الكتاب هو بمثابة دواء تفتينا الروح الفلسفية من جهة وروح النقد والتساؤل من جهة ثانية، ونضعها إلى تلك الفكر الغربي، وفحصه ونقحه وتقييمه من خلال تلك النصوص التي

عدها من الباحثين العرب لمهتئين أساسيتين: الأولى: معرفة الأسباب التي كانت وراء نجاح الكثير من حالات الانقلاص الحكم الديمقراطي في جنوب وشرق أوروبا وأمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وإفريقيا، واستحلال العروبي والدورس من هذه التجارب، والثانية: دراسة العقبات التي تحول دون إتمام حالات انقلاص مماثلة في دول عربية شرعت في عمليات انقلاص سياسي، غير أنها لم تشهد حالات انقلاص حقيقية ومكتملة نحو الديمقراطية. ولعل من أهم استنتاجات هذا الكتاب هو أن الانتقال إلى الديمقراطية في البلدان العربية يتطلب توافقاً بين القوى السياسية التي تشدد التعبير السلمي على النظام الديمقراطي وأساسه ومبادئه وألياته وضوابطه المعارف عليها كنظام بديل لتنظيم حكم الفرد أو القلة. وهذا التوافق يتطلب بدوره، إيمان هذه القوى ذاتها بالديمقراطية، واعتدال خطابها السياسي، وانفتاحها على جميع القوى. ثم تكتلها من أجل توسيع قاعدة من يرون في الديمقراطية مصلحة لهم، والضغط على السلطة بهدف حلحلة تبايناتها، وإضفاء جبهة الداعمين لها، ودفعها إلى القبول بالانتقال فعلاً إلى الديمقراطية.

٢٧

أوراق في التاريخ والحضارة أوراق في علم التاريخ

عبد العزيز الدوري
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٩، ٢٢٠ صفحة



يتكون هذا الكتاب من أربعة عشر بحثاً، تنظم في باب البحث في التاريخ، من حيث هو علم ومفهوم، ومسج، وتكتيات، فهي إطار تدريس التاريخ العربي يسجل المؤلف ملاحظات أساسية، وتوجيهية، من أبرزها: اعتبار تاريخ الأمة متصل بالثقافة، وليس تاريخ أسر تعاقبت على الحكم، وإثارة الروح العربية وخلق الثقة في نفوس الطلاب، وبحث الروح العلمية المتجددة في صحة المعلومات، واستثمار التحليل والنقد في فهم العقد التاريخي.

وفي سياق استعلاء مفهوم التاريخ جاء بحث المؤلف: نظرة إلى التاريخ، الذي قدم فيه إطاراً عاماً لأراء المناهج الأساسية والاجتماعية المختلفة ومفاهيمها في تصوير التاريخ، ثم جاء بحثه بلفظة التاريخ، الذي تضمن عرضاً تاريخياً لأشهر مدارس

أبناء رفاعة

تأليف بهاء طاهر

القاهرة دار الشروق ٢٠٠٩ ٣٠٠ صفحة



ربما يكون أدق وصف لهذا الكتاب هو صعود الدولة المدنية والحضارة. فالجرح الأول منه مكرس لبيان خطى التقدم التدريجي خروج مجتمعنا من ظلام العصور الوسطى إلى انوار الحداثة والديمقراطية. وحاول الكتاب أن يبين الأوزار التي لعبها المثقفون لإحداث هذه التحولات التاريخية على امتداد قرن ونصف القرن الفكري للدولة النمائية التي يتغزل بها الآن الكثيرون على غير علم، رغم أنها قد انشبت بمصر على الهلاك كما بينه هذا الكتاب

مدارات الحداثة

محمّد سيلا

بيروت الشبكة العربية للأبحاث والنشر

٢٠٠٩ ٢٦٤ صفحة



يصم هذا الكتاب مفالات تعكس

اهتمامات امية كتبت مناسبات وظروف متباينة، كما أنها تتناول موضوعات ومفاهيم متنوعة. منها ما يتعلق بموضوعات فلسفية تاريخية. كملسمة اللغة والبيئية والديمقراطية. ومنها ما يتعلق بمفاهيم الذات والحداثة والأيديولوجيا. فالسلسلة ليست مجرد تاملات في المفاهيم الكبرى، أو سباحة في سماء المفاهيم الجردية. إنها انفتاح على الواقع لهم واستيعاب مكوناته واتجاهاته.

فهذا الكتاب يطرح مجموعة من معطيات الفكر الغربي والفكر المعاصر في محاولة للاقترب من الواقع الجديد بمنظور شمولي.

مسئولية المرء عن قصيره الناتج عن قصيره

محمد بن عبدالله بن محمد المرزوقي
بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر،
٢٠٠٩ ٥٧٤ صفحة



إن هذا الموضوع، وإن بدا جديداً في اسمه وعنوانه وأسلوب عرضه، إلا أن أصله كان محل رعاية الفقهاء، فحرضوا له بالبحث في أبواب متفرقة من كتب العقيدة وأصوله. ولكن في عصورهم، وبدا أن الحياة كانت تنقسم باليساطة، رأينا تناولهم للموضوع جاء بشكل محدود ومقتضب. ذلك أن الأضرار ما كانت تكثر في حياة بسيطة، إذ إن التضررات في أغلبيتها كانت غالية من التعقيد.

أما في الوقت الحاضر، ومع كثرة الناس من جهة، وتكاثر وسائل النقل

والمواصلات والأوتار الميكانيكية من جهة أخرى، ازداد الموضوع أهمية، حيث صاحب استخدام هذه الوسائل والتقنيات حوادث وأضرار غير مقصودة وناتجة من قصير المرء. فهذا الكتاب يعرض القواعد العامة التي يمتثل بها المرء في منع حصول الضرر مع مسؤولية المرء في منع حصول الضرر مع التقيد بمقتضيات العدالة. كما يجمع كل ما تفرق في كتب الفقه ويضعه تحت عنوان واحد، لتصبح نظرية متكاملة قلقة على تأصيل فقهي.

»

أوراق في التاريخ والحضارة أوراق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي

عبد العزيز الدوي
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية،
٢٠٠٩ ٣٦٦ صفحة



في هذا الكتاب أربعة عشر بحثاً مختصراً، تشكل في مجملها إطاراً وإساساً مميزاً لدراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

ففي بحثه، «نشوء الأصناف والحرف في الإسلام»، تناول المؤلف بدء تنظيم أهل الصناعات لأنفسهم، وأهمية هذا الأمر في الكشف عن هوية الأمة. وجاء بحثه عن «نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام»، ليؤكد أن تنظيم الضرائب في خراسان تصمم مبدئياً الجزية المشتركة، بالإضافة إلى الضرائب الأخرى. ووصل في بحثه، «نظام الضرائب في صدر الإسلام... إلى تثبيت أسس النظام المالي في بلدان الخلافة الإسلامية، وأتبع ذلك

بثلاثة بحوث تلخص دراسته وأراءه عن التنظيمات المالية (الضرائب) في عصر الأقاليم الإسلامية، فكانت البحوث على التوالي: «التنظيمات المالية لعمر بن الخطاب...»، «تنظيمات مصر في الخطاب/الضرائب في بلاد الشام، والضرائب في العراق في العصر الأموي، وفقى موضوع الأرض ضاية المظف، وما يتصل بها من تدابير عملية تتناسب ووضع الأمة، فكان بحثه عن «نشا الإقطاع في الشام... الضوء على طبيعة المجتمع العرسي في الشام، ولأسيما الخطوط المبرزة في فترة التكوين، وحد بحثه، «في التنظيم الاقتصادي في صدر الإسلام، الخطوط العريضة المتصلة بالأرض في إطارها التاريخي.

وفي بحثه، «دور الوقف في التنمية، ومستقبل الوقف في الوطن العربي، إجهاد لفكرة الوقف وتنشيطها رسمياً وشعبياً. وما لذلك من أثر حيوي في عملية التنمية، مع اقتراحات لتوسيع أفق الوقف وتطويره إدارياً وفقهياً. ولقد بحثه «المؤسسات العامة في المدينة الإسلامية»، والمدينة الإسلامية، بعض الخطوط المشتركة عن نشاطات المدينة الإسلامية، إلى جانب بروز دور العامة فيها، وجاء بحثه (في تقديم كتاب) «التاريخ الاقتصادي للبلاد الحبيبة، تعبيراً عن نظريته الشمولية الهادفة إلى دراسة الاتجاهات وتحليل التباينات، والاهتمام بتوضيح الاستمرارية والترابط في التاريخ الاقتصادي.

»

موسم الأمطار الغريزي

محمد لقاح

القرب: منشورات مقاربات، ٢٠٠٩، ٣٩

صفحة



حرفاً أخضر
اضل من الرؤيا
وأثير مكنون
داعص أفضان الوجدان
وعطر مغفوق لا يتكرر...
يدك اليمينية سدى إلى قلب
أبيته في جهة يمتد
قد ناله منك التمسكين،
وعلى الزفة
حاول قلب فتان
تسكنه أحزان أن يرقى بالأضياء



أحيرا أن تعيش في القدس الحرة
لتشهد بمعصية تجربة التهويد
والاستلاب، ربا التي شاركت في
العديد من المعارض الفنية في مدن
مختلفة كانت قد واجهت حملة
شراسة من الجالية اليهودية في
فرنسا قبل عامين عندما أقامت
معرضا ضم ٥٩ لوحة زحاحية بعدد
ستين الكبة، تميزت بالرسم على
ألواح الزجاج بالشكولاته المرة
تسجيدا للون الدم الجاف تمبيرا عن
جرح شعيبا التاريخي الذي مازال
مفتوحا.

تحت سماء

في عدد يونيو الماضي وفي إطار مقال «أرض المصطفى بين الحداثة والمعاصرة، للباحثة الفلسطينية عاذلة العايد هنية. سب هذا العمل الضئيل للغاية رولا حلواني في حين أنه من أعمال الفنانة ربا بشارة التي عرفت باستخدامها الخامات المحلية كالصبا، والخبز، والتوابل، في تركيبات هنية ذالة. ربا التي كانت قد حصلت على الماجستير في القانون الحديثة من جامعة نيويورك اختارت

مقتبس.. جوته والرب



الأعمال الكاملة

إبراهيم العجلوني

عمان - الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ٢٧٤ صفحة

سيفيسفا من الأردن

كان الشاعر الألماني (جوته) يرى أن الله قد منح العرب أريضة أشياء لا تقدر بثمن وهي:

- العمامة، التي هي خير من تيجان الملوك والأباطرة.
- السيف، الذي يضيء عن الأسوار الشاهقة والحصون الشنيعة.
- الخيمة، التي هي رمز الحرية والإيثار، وعنوان الحياة في الضفر الجديب.
- الشعر، الذي تطرب له أسماع الكرام وتبهج له نفوسهم.

وقد ظهر أثر الثقافة الإسلامية في أدب (جوته) على نحو بارز، وفي ديوانه المسمى «الديوان الشرقي للشاعر الغربي، شواهد كثيرة على ذلك، ولعل مقطوعته الشعرية التي عنوانها «الحرية، أن تكون أكثر صلة بالأسلوب القرآني واستدعاء به.

دعوني أنطلق على منهوة جوادى السباح وابقوا أنتم في عقر مدركم وتحث حياكم، إلى لأركض جذلاً في الفضاء الشاسع ليس فوق عمامتي غير الكواكب، وما جعلت الكواكب هدى لكم في البر والبحر إلا لتكون السماء أيد الدهر قبله أنظاركم أجمعين.

وإذا كان الشرق قد اتخذ لدى الشاعر الألماني، في القرن الثامن عشر، هذا الطابع الروحي القريب من الرومانسية المنبجعة على أشدها آنذاك، فإنه - أي الشرق - قد اكتسب في أدب شاعر ألماني معاصر بعداً فلسفياً ذا حمى تاريخي رهيف، وديتر جلادة، شاعر ألماني مكث في بلدنا الأردن ثماني سنوات طويلاً، لم يترك فيها معلماً تاريخياً أو مشهداً حضارياً، إلا كانت له منه وفقات تأمل واعتبار، وقد أتى هذا كله في مجموعة شعرية حملت اسم «سيفيسفا» خواطر من الأردن.

ولعلني لا أبالغ إذا ما قلت بأن هذه الربوع الأردنية التي يمر بها وقد انطفت إلى أعين بعضنا الدهشة، ومات فيها ألق الحب، قد أوجت إلى هذا الشاعر الغربي ما لم توجه إلى أكثر شعرائنا، وأنها قد انعكست على نفسه شعراً صافياً يتميز بالقدرة على اقتناص روح الأشياء، وبث الحياة في الحجر الأصم.

وكم كان جميل أن نسمع مثل هذا الشعر من شاعر أردني، يلتفت إلى جمال بلاده، ويستطيق ترانيتها وجاراتها، ويقرأ وجود أطفالها ورجالها ونسائها، ويتقن التحديق في وجه تاريخها الجليل.

نحن على أي حال مدعوون إلى المخول في عالم «ديتر جلادة»، وهو عالم نألفه وتحبه، ونشجع الشاعر أن قد أثاره بالكلمة المضينة والروح التنبئية، متمسكين بما إذا كان الجمال الساكن في قلب هذه الأرض العربية، سيمر على أسلات الأقلام، أو أن بلابل الدوح ستظل خرساء في حين تردد الأوجاع أصداً تفريد الطيور من كل جنس.

حقاً.. إن الألف، لقلادة، وجدنا أو نزعنا رداًها ونحن نتملى أوطاننا.

إبراهيم العجلوني

دعوة صريحة للعرب المسيحيين إلى الانخراط في العمل من أجل الإسهام في حضارة المستقبل، كما أسهموا في قيام الحضارة قبل الإسلام، ويعدده؟

تاريخ علم الفلك القديم والكلاسيكي

جان بيار فردي

ترجمة: د. ريماء بركة

بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩، ٢٢٢ صفحة



يرسم هذا الكتاب المراحل الأساسية لتطور علم الفلك الغربي منذ عصر اليونان (مع ما تأثروا به من الحضارات القديمة) حتى عصر لعق الميكانيك السماوي في العصور الكلاسيكية، وهو يعرض لوحة عامة لتاريخ هذا العلم بكل قواعده الأساسية التي يركز عليها علم الفلك الحديث، كما يركز على الاكتشافات التوافقية التي شهدها علم الفلك في تاريخه الطويل ويقدم - بالإضافة إلى الأحداث العالمية المتعلقة به - أبرز العلماء الذين طوَّروا دراسة الأجرام السماوية وأحدثوا انقلابات عظيمة في رصد السماء وتوحيد بنيتها وقوانينها. ولا ينسى مؤلف هذا الكتاب أن يربط تطور هذا العلم بعلوم الرياضيات التي كانت في أساس عدد كبير من الاكتشافات الفلكية.

ما بعد النضج

كينيث س. ميفيس

ترجمة: صباح منقيل الدملوجي
بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٩، ٢٢٦ صفحة



هل بدأ ينتهي عصر النفط؟ يبدو أن هذا شيء محتم، وقد لا يكون الاحتياط إلا على توقيتات، وإذا ما حدث ذلك فما هو البديل؟ هل ستتوقف عجلة الصناعة والنقل الذين تحركهما الطاقة النفطية؟ أسئلة تترك صناع القرار الاقتصادي والصناعي والسياسي في مختلف قطار العالم، وتؤثر في حياة كل فرد سواء أكان في

البحر أو الجبل. ناس المقهى فتونك تحير شعراً غراماً فالتشعر لديهم ليس سوى صغر يتقذى بالأوهام. من ديوان للشاعر المغربي محمد لقاح

ساطع العصرى الدين والعلمانية

أحمد ماضي
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩، ١٢٧ صفحة



يسلط الباحث الضوء على مسألتين اثنتين، من مسائل كثيرة، تناولها أبو خلدون ساطع العصرى، في كتاباته الفنية بالأولف والتفريات، وعلى رأسها التأسيس لمفكر القومي العربي، أما المسألتان فهما، الدين، والعلمانية. فالعصرى، إذ يميز بين الميس القومى والدين الأمم، يرى في الثاني العالمية والإنشاق، والاول إلى إبداع رابطة أعم من روابط اللغة والتاريخ، كما يميل أتباع الدين الأممى كثيراً إلى معارضة القوميات، وفي هذا السياق يذكر المسيحية والإسلام، ويستند العصرى أن الأديان الأممية والعالمية لم تستطع أن توجد القوميات، حتى عندما بلغت الذروة في سلطنتها، ويذهب إلى أنه الصلة القومية بين الدين، واللفة، وعلى هذا فالعربية التي انتشرت كثيراً بواسطة الإسلام، لكن يبقى تأثير الدين في اللغة متفبراً. مجلة من التأسلات التي تثير نقاشاً في هذا الخصوص، ولعل أبرزها ما كان يؤكد العصرى القومى أن الحضارة العربية كانت قومية، ولا دينية، في أن معنا. أما العلمانية في نهج وكتاباته ومواقفه، فقد كانت صريحة إلى أبعد الحدود، وهي سرائ الباحث نابعة من الظروف التي كانت سائدة في الدولة العلمانية أولاً، والتي تعززت وتطورت بعد رجوعه إلى الوطن العربي، لذا، يتفق العصرى في علمانيته مع طه حسين، رغم انتقاداته له، فهو يتفق معه بشأن الفصل بين السياسة والدين، في «السياسة شيء والدين شيء آخر»، ولا يمكن إقامة الحدود، بصورة من الصور، وينسجم مع هذا ما ذهب إليه العصرى من فصل الحلق بين العلم والدين، مؤكداً أن هذا الفصل لا يفرض بصورة حتمية إلى اللادينية أو إكراك الدين أو التصلب منه، فكل ميدانه وودور، وبالنظر إلى نضدها العلمانية ضد، أكد أن الحضارة العربية لم تكن دينية، بل مدنية (علمانية)، فهل هذا

الجهاد

تأليف جمال البنا
القاهرة دار الشروق ٢٠٠٩
١٢٦ صفحة



الكتاب الذي بين يديك يختلف عن

جميع الكتابات والتصورات عن «الجهاد» فالجهاد - كما ترى هذه الدراسة - كان في الماضي والخاص من أكبر الموضوعات التي أسسها فهمها، وأن هذا أصبح الجبال في العصر الحديث لأن يتفهم من نقطة الشريعة. وأن يتفهم من الشريعة في الخارج، وأن يتفهم تناوله والتعامل معه المستشرقون والجماعات الإسلامية على السواء؛ وإن استهدف الأولون الكيد للإسلام، واستهدف الآخرون الانتصار للإسلام.

وجاء هذا الخطأ في الفهم لتحيته للخطأ بين الجهاد، والقتال، واعتباره موصوعاً واحداً، بل وتطبيع القتال على الجهاد ومعالجة الجهاد باعتباره قتالاً...

من هنا ينطلق هذا الكتاب الذي يقوم على التصحيح الذي بين هذين المصطلحين في القرآن والمبينة والتاريخ الإسلامي.

■

دوليات

رواق عربي

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، عدداً ٥، ٢٠٠٩



تصدرت قسم المراسلات هذا العدد دراسة حول مسيرة المعسكر والصيف ركني نجيب محمود الذي أثار جدلاً واسعاً في حياته وبعد مماته وصل إلى اتهامه بالكنغر والإلحاد، متيناً مدرسة فكرية تتلخص بالملكي الوضعي دي الزهري واشتد الجدل حول موقفه مما يسمى بالثأيريهوما أو الدين وبورها الذي زاد محابيه في سبيل النهضة العلمية والعلمية

أكد محمد السيد سعيد فيكتب هذا العدد حول تحولات الثقافة العربية من حقوق الإنسان حيث يشير لأشياء الضال من أجل التحول الديمقراطي في الوطن العربي ولعل ثم هذا بالثأيريهوما مع تحولات تصفية تتلخص بالحصار والطاعة الإسلامية السياسية في ثأيريهوما السياسية معيداً عن الشافعية بينما يتلخص الثأيريهوما القوي واليساري أخطاء جديد نحو الليبرالية والدخل الديمقراطي للإصلاح. هذا بالإضافة إلى أن ما يشهد الواقع العربي من أحداث تتعلق بالثقافة في العلاقة مع الآخر وأيضاً مشكلات تتعلق بقضايا المرأة والأقليات والمهمشين مما أندر نتجولات في الشطاطي مع هذه العصا وفي الثقافة العربية شكل

عام، هذا بينما يرد عليه في نفس الموضوع مجموعة من الباحثين. ملف العدد هو رعد ورد وتحليل للوضع الحقوقي في عدة دول عربية منها مصر ولبنان وتونس والسودان كل هذا تحت عنوان «تحولات المشهد الحقوقي في العالم العربي»، يحتوي العدد أيضاً على مراجعة بشأن تعليم الأديان والمعتقدات في المدارس العامة بالإضافة إلى مجموعة وثائق تخص موقف مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان من طلب المحكمة الجنائية الدولية للقبض على رئيس جمهورية السودان.

شؤون عربية

القاهرة، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، صيف ٢٠٠٩



يصمم الملف السياسي لهذا العدد موضوعات متنوعة تحت عنوان «مناهة الخلافت العربية وما لم مصر العربي، يناقش الكاتب كيف أن القادة العرب قد اتفقوا على التمسك وتسوية الخلافت وتعزيز العلاقات وذلك في أكثر من جهة عربية، مع ذلك فإن الأمور ليست هادئة والخلافت العربية العربية موجودة بحدثة الامر الذي يتم في إطار حالة من التشرد العربي الداخلي والإقليمي المناهضة من صمود خارجي وارتداد أغلب النظم العربية على السلطة العربية من غياب البعد القومي، وأن هذا الوضع يهدد الاستقرار والأمان فإنه

يحتاج إلى تغيير الأنظمة الداخلية، وفي الملف أيضاً تذكير بمبادرة السلام العربية المطلقة من بيروت ٢٠٠٢ والتي وضعت إطاراً للتسوية في الصراع العربي الإسرائيلي ولقد أعاد أديانها التأكيد على أهمية هذه المبادرة أثناء وباريته للأردن ويرى الكاتب في العمل بها فرصة لتغيير سياسة أمريكا الشرق أوسطية وجعلها أكثر توازناً، هذا إلى جانب موضوعات حول مراكز القوى الجديدة بالشرق الأوسط ودور كل من تركيا والسعودية الأمريكية الجديدة أما الملف الاجتماعي فيناقش بالأساس الفقر وإشكالية التنمية والديمقراطية في ظل العولمة فبعد عرشه المظاهر المتخلفة من العولمة فإنه أيضاً وفي نفس الإطار يتناول عن أولوية الدول الصغيرة في أي من التنمية أم الديمقراطية التي فرضها العولمة؟؟ في الملف أيضاً رؤية لكيفية تفعيل منظمات المجتمع المدني لمكافحة الفساد وتحقيق التنمية المستدامة في البلدان العربية.

وفي العدد أيضاً ملف كامل حول القرصنة البحرية ويطورها مع التركيز على وجهها في البحر الأحمر وتأثير عمليات القرصنة الصومالية على أمن البحر الأحمر والأمن القومي العربي، أما في الملف الخاص يتضمن العدد موضوعات متميزة حول الدبلوماسية في تعريفها وعلاقتها بالسياسة الخارجية للدول بالإضافة إلى الترجمة سؤال التكامل الثقافي العربي، وأخيراً نقل لكتابات إسرائيلييه توضح المصهوم الإسرائيلي لكلمته «المحور» وكلمة «الإرهابي» وكلمة «المدني» وذلك تحت عنوان إسرائيلي: «المدني والحاربي» العدد أيضاً يتضمن دراستين الأولى حول تداعيات الأزمة المالية العالمية على الدول العربية والثانية حول طبيعة القومية الكردية: هل هي انضمام أم لا؟ مع إدراج حالة كردستان العراق كتمنوح،

■

وعبدا عن السياسة والاقتصاد يعرض العدد لحياة عميد مجلتي لبنان، ركني ناصيف،

شئون عربية معاصرة باللغة الإنجليزية

Contemporary Arab Affairs
بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، أبريل - يوليو ٢٠٠٩



يتضمن هذا العدد مقالات قيمة وغنية علمياً وثقافياً في مجالات متنوعة منها:
• صراع على الشرعية: الإخوان المسلمون ومبارك ١٩٨٢ - ٢٠٠٩ للدكتور هشام الموصي.
• خيارات إسرائيل التاريخية للدكتور عزمي بشارة.
• الديمقراطية الثأيريه والتشتيت النسائي في الدول العربية للدكتور هنا صوفي.
• التحدي التي تواجه الاقتصاد الريعي والعالي للباحث صبري راير السعدي.
• هذا بالإضافة إلى مقالات أخرى ومفاتيح إحصائية وبيبلوغرافية حصرية ومراجعات كتب مهمة.
• هذه المجلة في نافذة واسعة لكل المختصين والمهتمين بالشؤون العربية المعاصرة والرائحة وإنعاده الإقليمية والدولية.

■

كتب فرنسية

مستقبل آخر. والكاتب بيير داردوت
فيلسوف وكريسستيان لغال عالمة
اجتماع.

Théorie anti-utilitariste de l'action: Fragments d'une sociologie générale.

النظرية ضد الفعالية في
الاجتماعي

Alain Caille
Editions La Découverte: 191 pp,
2009



ما الذي يدفع المسائل الاجتماعية
إلى التفسير؟ محركاتها هل تتبدل
حصراً، والآب بأكمله وكل الفنون وكل
الأفلام قد لا تكفي لوصف ذلك. العلوم
الاجتماعية والفسلفة تحتاج بأن يكون
لها علامات تسمح لها بتحديد البؤبؤ
الرئيسية للفعل، وهذا، نفس سرها
الجدالات المركزية لتلك السلوكيات.
الرأى بمفهومه الواسع لهيمنة يرى أن
السلوك الإنساني يفسر بالضرورة
ويشكل حصرياً بالمنفعة. سواء كان ذلك
على الصعيد الاقتصادي أو الجنسي أو
بالحفاظة أو السلطة أو المكانة. وكما
يوضح كاليه في ذلك العمل الشائق
والهام عن الفعالية، ظاهرة ضد الفعالية
في الفعل بالعكس لتربط بالظاهر أن
ذلك التخليص الضيق الأفق يبدو غير
محتمل. فهو يترك بشكل حاسم الأبعاد
الأساسية التي تهم الإنسان لأنه هذا هو
بدقة الارتباك بالذاكرة الضعيفة
للمصالح. ما يجوز أن المسائل
الاجتماعية المفردة يمكن تعميمه على
كل المجتمعات. بالعملية الدينية
والسياسية، يوضح الكاتب هنا مفهوم
نظامي. وهكذا، نظرية ضد الفعالية للعمل
والفعل الاجتماعي ينبغي أن تتطوّر
على إجابة لكل علم الاجتماع العام الذي
يمكنه القطع عن المماريات الاقتصادية
الهيمنة بشدة اليوم حول التاريخ
والحيات في المجتمع.

والآن كاليه هو بروفييسير
السوسيولوجي في جامعة باريس اوست
ومؤسس ومدير مجلة الحركة ضد
الفعالية في العلوم الاجتماعية وله
العديد من الأعمال المنشورة في فرنسا.

العالم فهي لفتته وفي تلك الشروط. أي
مستقبل ننظر؟ هل الشركات الكبرى هي
السيد الجديد للعالم؟ هل شمة دورنا نظم
يبقى للعودة أن لثعبه؟ هل يتم سحق
الطبقات الوسطى بالبلدان الغنية؟ هل
بالإمكان تغيير الرأسمالية، أي مصير
لمناطق العالم التي تنهار الآن تحت ظل
الفقر والحروب؟ دون تنازلات ولا أفكار
مبسطة، يحاول بيير نويل جيراود الرد
على تلك التساؤلات بشكل واضح
للقرائ المتوسّط. والكاتب هو أستاذ
الاقتصاد بجامعة مين باريس وقد نشر
له كتاب المساواة بالعالم وتجارة
التراخيص.

La nouvelle raison du monde : Essai sur la société néolibérale المنطق الجديد للعالم، دراسة حول الاجتماع النيوليبرالي

Pierre Dardot et Christian Laval
Editions La Découverte: 497 pp
2009



بعد الأزمة المالية لعامي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨
أصبح من المعتاد التحدث عن سوق يدار
بواسطة نظم. ما ذلك العمل مع ذلك
أنه بعيد عن الجنون الحقيقي، تلك
القوضى تعكس تقاعلاً ما وتكشف عن
تحول شامل وجلي. ذلك المتحضر، وهو
سبب الرأسمالية المتعاصرة، واستغلال
النيوليبرالية في حد ذاتها. وبأسفل
محتواها الفكري وظروف نشأتها
السياسية والاقتصادية الكتاب يطرح
العديد من مناطق سوء الفهم الذي
يحيط بها: النيوليبرالية ليست العودة
للنيوليبرالية الكلاسيكية ولا إصلاح
الرأسمالية الخاصة التي قد تعيد إغلاق
المرحلة الكثيرة، فثمة ضرورة لفهم ما
تحمله حقا النيوليبرالية من مستجدات.
فيمينا عن النظر لسوق كمعطيات
طبيعية تحجم دور الدولة فهي تثبت
كهدف إنشاء مسيرة وجعل من الشركة
النموذج للأمر. من خلال طرق متعددة
النيوليبرالية تبو مفروضة كالمناطق
الجديدة للعالم الذي يؤكد على دور
المنافسة ذلك المنطق ينبغي الإشارة
لامتناده للديموقراطية. فهو يدخل
أشكالاً جديدة للتكييف الهيكلي تمثل
بمعارضها تحدياً سياسياً وثقافة جديدة.
فقط كذا تلك الفلسفة سوف يسمح
بإقامة معارضة حقيقية لها وفنتح

يمكن أن تلوعها. فذلك التنوع هو الذي
يسمح للعناصر الذين يطرح العديد من
القضايا والإسارات والتواجد في العديد
من المراكز المشتركة. فذلك التنوع مع ذلك
قد يخاطر بعدم تجديد تلك الحركة إذا لم
يتم تطوير القضايا المشتركة التي تأسس
المشاعر السياسية المشتركة. بالمقابلة ما
هي القيم الأخرى التي يمكن تقاسمها
على المستوى العالمي قيم ديموقراطية؟
لكن أي ديموقراطية نريدها؟
ديموقراطية التصويت أم الأمام الأفراد
أم الأخلاق والثقافات؟ ديموقراطية
تشاركية مباشرة للرأى أم مزيج من كل
هذا؟ تلك التساؤلات تطرح في قلب
حركات اليسار الجديد في نفس الوقت
الذي يتم فيه غزو الشرق الأوسط باسم
الديموقراطية، فهل ينقلب السحر على
الساحر ونرى على الساحة ديموقراطية
بديلة على كوكب جديد. هذا هو الموضوع
الذي يتناوله هذا العمل المهم
الديموقراطية التي ترونها لكريسستوف
اجيتون المتأمل الفخاس.

La mondialisation : Emergences et fragmentations العولمة: الظهور والتفتت

Pierre Noel Giraud (ed)
Editions Sciences Humaines:
157 pp, 2008



مع تصاعد حدة الأزمة المالية
والانزلاق المتصاعد المتعلق بالتغير المناخي
والإفقار المتواصل في العديد من
البلدان، تنسخر من الآن فصاعداً
المنشآت حول العولمة تحت قائمة
المسائل الأكثر جذرية يصعد مستقبل
العالم بل والرأسمالية. والنيوليبرالية
الاقتصادية والسياسية لا تبدو أنها تمثل
الحل الأمثل لمواجهة تلك الإشكاليات.
والعولمة الحالية لها سوابق، بيد أنها تبدو
متفردة. ولتدخال بين الأجنحة الثلاث
للعولمة - عولمة الشركات وعولمة المالية
والرسمية- يبدو أنه يعبر عن تعميم
للتنافس؛ طرح المنافسة بين الشركات
الشاملة في مجال المنافسة والتنافس بين
الشركات الكبرى من كبرى المستثمرين
المؤسسين للقيادة الشاملة للسوق؛ تلك
العمليات تعمق حالات عدم المساواة
وتقلل بشكل عملي حالات أخرى. فهي
تحيد الظهور السريع للكيانات الجديدة
وتؤذي إلى التنشيط. العولمة لا توجد

Entretiens du XXIe siècle: Politiquement incorrects

محاورات القرن الحادي والعشرين
Daniel BENSARD et autres.
Textuel: 383 pp, 2008



يخشى الكتاب أنه بالوقوع بين اليات
السوق واليات الهيمنة، تنتهي السياسة
بأن تختفي شأماً من العالم. فذلك
التوحش يبدو اليوم مؤكداً بالضعف
المعلن للسياسات في مواجهة العنف
الاقتصادي، غياب السياسة، العودة لقوة
الفلسفة وللأخلاقيات وللدين. حركات
المقاومة للأثار الاجتماعية والبيئية
للعولمة الليبرالية تبدو أنها تضع صفاء
الحركات الاجتماعية في مواجهة شولب
المماريات السياسية. تحول الالتزامات
والمماريات الثقافية وتطور الحوار بين
الفلسفة والسياسة والإنتاج الاجتماعي
والنفدي لمعرفة والتجديد الجديد
الاجتماعي والسياسي، فمبدأ كشأنها في
عام ٢٠٠٩ صحيفة ضد التيار تهتم بتلك
المسائل. ومحاورات كيري مع باحثين
بالعلوم الاجتماعية وفلاسفة وعلماء
ونشطاء الحركات الاجتماعية تبني
إخضاع ممارساتهم للمساءلة السياسية.
ويجتمع تلك المحاورات يتم وضع اليد
على العديد من الإشكاليات المتعلقة
بالفعل السياسي على مستوى مختلف
مجالات المعرفة. بهذا الشكل، ذلك العمل
التاريخي الهام لا يدعي توصله لتحليلات
ولا استنتاجات ختامية لكن يفترض
تقديم مادة للتفكير على أصناف قرن
جديد مثقل وغير يقيني.

Quelle démocratie voulons-nous?: Pièces pour un débat

أي ديموقراطية نريده؟
Alain Caille, Christophe
Aguigon et Roger Sue
Editions La Découverte: 142pp,
2005



قوة وشراء الحركة المناهضة للعولمة

أوروبا والإسلام

طارق رمضان



المنافشات الحماسية المستقطبة التي تتبناها وسائل الإعلام وبعض الدوائر السياسية، فعلى النقيض مما تصوره المجلات الدائرة، سنجد أن أداء المسلمين الأوروبيين طيب للغاية اليوم، والمستقبل يبشر بخير أعظم.

إذا كانت البلدان الأوروبية رغبة في الاستمرار على صندلها في احتضان حقوق الإنسان الصالحة المتساوية وتجنب أي إضراب قد تدفعها إلى الانزلاق نحو العنصرية وكرهية الأجانب، فلا بد وأن يسارع كل الأوروبيين إلى العمل، ويتعين على المسلمين الأوروبيين أن يتجنبوا تغذية «عقلية الضحية»، وأن يسبقوا بمسؤولياتهم داخل مجتمعاتهم، ومن الأهمية بمكان أن يحرص المواطنون الأوروبيون، المسلمون وغير المسلمين

على السواء، والحكومات الأوروبية، على تحاشي أي شكل من أشكال العنصرية، وهنا يلعب التعليم دوراً محورياً، فلا بد وأن تكون المناهج المدرسية أكثر شمولاً (لنساء وأطفالاً مسلمين)، التعليم، ينبغي تدريب الصحافيين على رصد قصص النجاح، وليس المشاكل فقط، وفي كل الأحوال فإن الخطاب الذي يرسم ارتباطاً ضيقاً بين كلمات مثل «غير قانوني»، وإجرامي، و«مهاجر»، و«مسلم» لا بد وأن يظفر إليه باعتباره أداة لتغذية الخوف وردود الفعل الكراهية للأجانب.

إن المسلمين يواجهون عنصرية جديدة، ويتعين عليهم أن يتناصروا من أجل الحصول على حقوقهم، ولكن ينبغي عليهم أن يفعلوا هذا جنباً إلى جنب مع أقرانهم المواطنين وفي العديد من المجالات، مثل السياسة الداخلية والخارجية، والتعليم، والإعلام، والنشاط الاجتماعي. كما يتعين على الأوروبيين أن يكفوا عن الشعور بالرضا عن أنفسهم في اعتقادهم الراسخ بأنهم محصنون على نحو أو آخر ضد أي انبعاث جديد للعنصرية أو خيانة حقوق الإنسان الأساسية، وأخيراً، يتعين على المسلمين أن يكفوا عن التعامل مع مشاكلهم (أو التفاعل معها) في معزل عن الآخرين. ■

لدراسة قامت بها مؤسسة پيو Pew للاستطلاع مؤخراً فإن 49 ٪ من الأوروبيين ينظرون إلى الإسلام من منظور سلبي. ومن بين هذه الإشارات دلالة على أن الحوار الحالي بات محققاً بجرعة من التمييز ذلك الهوس بشكر «الاندماج» رغم أن الأغلبية العظمى من المسلمين الأوروبيين يلتزمون بالقانون واحترامه، ويعرفون لغة البلد الذي يعيشون فيه، ويخلصون لذلك البلد (رغم أنهم قد يميلون أحياناً إلى التقادير، منهم من ذلك كمثل بقية إخوانهم من المواطنين).

إن الإشارة على نحو لا ينقطع إلى «المواطنين من أصول مهاجرة»، أو إلى «الجمعة الضيقة» لا تحمد إلا كأداة لتعزيز الفكرة القائلة بأن المسلمين ليسوا أوروبيين «حقيقيين»، أو لا يشعرون بأنهم «في ديارهم». إن مثل هذا الكلام يعنى ضمناً أن المسلمين الأوروبيين لا بد وأن يتجنبوا، ولا يطمحوا، وهذا التمسك للمسلمين باعتبارهم «الأخر»، والأجنبي، يشكل عاملاً محورياً في التحريض على التمييز في الوظائف أو في أسواق الإسكان.

وبعيداً عن الخوف وانعدام الشعور بالأمان، فمن الأهمية بمكان أن نعتد على الحقائق والأرقام لكي نبرهن على أن الموقف، سواء على المستوى المحلي أو الوطني، أفضل كثيراً مما تصوره

ثقافية/دينية/عرقية غامضة ومتلصبة بهذا الشكل وكيفية للتفاسع عن العمل، إن لم يكن العمل الضلل.

لا شك أن الأبعاد الثقافية والعرقية والدينية قد تشكل عوامل ثانوية قابعة لا بد من وضعها في الاعتبار، ولكنها ليست الأسباب الرئيسية لمعضلة التمييز على الحكومات الأوروبية بدلاً من الإصناف إلى اللغة الخطابية التي يتشظى بها التمييز المتطرف أن تروى نفسها على تبني سياسات قوية وخلاقة في التعامل مع المشاكل الأساسية في التعليم (المدراس) المتفصلة أو مدارس الدرجة الثانية، والمناهج الدراسية، وما إلى ذلك، وفرض العمل غير المتساوية، واضمحلال الديمقراطية.

في الواقع، وعلى التقيض مما تحول إلى حكمة تقليدية شائعة (والتي تقوم لأفلاس من مقترحات أحزاب اليمين المتطرف باعتبارها نظريات طبيعية مسلم بها) فإن الشباب الأوروبي المسلم ليس لديهم مشكلة في الاندماج، بل إنهم يشعرون بالإحباط الشديد بسبب غياب (أو فشل) السياسات الاجتماعية القادرة على تلبية احتياجاتهم.

وهذا الفضل لا يعني أن نوعاً جديداً من العنصرية، كراهية الإسلام، بات الآن سائداً. ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر أن بعض الأفراد يتعرضون للتمييز استناداً إلى «دينهم» (ووفقاً

■ أصبح الحضور الإسلامي المتنامي في أوروبا يشكل قضية مركزية في مختلف البلدان الأوروبية. والمنافشات العديدة التي تفتت في مختلف أنحاء القارة بشأن «التعددية الثقافية»، أو «العلمانية»، أو حتى «الهوية»، تكاد ترتبط دوماً بهذا العامل «الإسلامي». ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا الربط نابعاً من تعصب، إذ إن هناك علاقة أساسية قائمة بين «القيم» و«الوقائين» من جهة، وبين «الثقافة» والتنوع، من جهة أخرى. والحقيقة أن أوروبا تحتاج إلى ما هو أكثر من النقاش حول «الإسلام» والمسلمين، إنها تحتاج إلى حوار جاد مع نفسها بشأن هذه العلاقة، وذلك لأنها تواجه أزمة واضحة. إن السؤال المناسب هنا هو: هل نستطيع أوروبا أن تنقل متوافقة مع قيمها (الديمقراطية، والمساواة، والعدالة، واحترام) إلى آخر ذلك، وفي الوقت نفسه تتحمل وتستوعب مواطنين جدد ينتمون إلى خلفيات ثقافية وديانات مغايرة؟ أو بمبادرة أخرى، هل الأوروبيون مؤهلون فكرياً ولغوياً وثقافياً لمواجهة التحدي المتمثل في المزاوجة بين قيمة المساواة وهذا التنوع المتنامي على الدوام في تركيبة المواطنين الأوروبيين؟

الواقع أن نقضة الانطلاق هنا واضحة، إذ يتعين على الحكومات أولاً ألا تخلط بين المشاكل الاقتصادية الاجتماعية (البطالة، والعنف، والتمييز، وما إلى ذلك) وبين القضايا المتعلقة بالثقافة والدين. أو بمبادرة أخرى، لا ينبغي لنا أن ننفي بعداً ثقافياً، أو دينياً، أو إسلامياً، على المشاكل الاجتماعية. وحقيقة أن غالبية الأوروبيين الذين يواجهون البطالة أو التهميش الاجتماعي هم من السود أو الآسيويين أو من أصل شمال إفريقيا أو من المسلمين لا تعني أن أديانهم أو أعراقهم أو ثقافتهم تفسر أوضاعهم. إن أي نوع من أنواع العنصرية الثقافية أو الدينية أو العرقية يشكل خطورة بالغة في هذا السياق؛ فالبطالة والتمييز يعكسان عملية اقتصادية، اجتماعية، ونحن نحتاج إلى تبني سياسات اجتماعية واقتصادية واضحة لحل مثل هذه المشاكل، أما أن نلجأ إلى تسميات

أحدث إصدارات

دار الشروق



مدينة نصر، سيتي ستارز مول، ت. ٢٥٤-٢٥٤-١٦٥٥٤٧٧٩
 الجزيرة، هريت مول - ٣٥ شارع الجزيرة، ت. ٣٥٤٧٧٩-٣٥٤٧٧٩
 الإدارة، ٨ شارع سينما مصر - مدينة نصر، ت. ٢٥٤٧٧٩-٢٥٤٧٧٩
 www.shorouk.com email: dar@shorouk.com

وسط البلد، ١ ميدان طلعت حرب، ت. ٢٥٢-٢٥٢-٢٣٢٣٢٣٢٣
 مصر الجديدة، ١٥ شارع بغداد - الكويزة، ت. ٢٥٢٣٢٣٢٣-٢٥٢٣٢٣٢٣
 الإسكندرية، ١٥ شارع ستيفانو مول، ت. ٢٥٢٣٢٣٢٣-٢٥٢٣٢٣٢٣
 ش. محمد كمال مرسي، من ش. الخلف أحمد صند العريش، الكنديس، ت. ٢٥٢٣٢٣٢٣

قرش
للدقيقة



كلم أي محمول في مصر بـ



للخطوط التجارية فقط



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt
www.telecomegypt.com.eg

- سعر موحد لجميع شبكات المحمول.
- بدون اشتراك إضافي أو التزامات مسبقة.
- بسعر يصل لـ ٢٠ قرش للدقيقة على حسب الاستهلاك.

مع المصرية للاتصالات .. كل الشركات هتتكلم أرضي
لمزيد من المعلومات اتصل بـ ١١١ بسعر المكالمات المحلية